الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة2 لونيسي علي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

إسهام علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري

"الجامع لابن البيطار" أنموذجا

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة العربية

إعداد الطالب: بلال الحباس

إشراف الأستاذ: أ/د: سعيد بوخاوش

السنة الجامعية:2023-2024

إهداء

إلى والدي الكريمين

إلى زوجتي ورفيقة دربي

إلىفلذات كبدي وقرة عيني

حفظكم الله جميعا ورعاكم

إليكم أهدي ثمرة جهدي هذه

شكر وعرفان

أحمد الله عز وجل على أن وفقني لإتمام هذه الرسالة، فلولا توفيقه ومنه وكرمه علي لما تم هذاالعمل.

ثم الشكر الجزيل موصول لأستاذي المشرف أ/د سعيد بوخاوش على كل ما قدمه لي من نصح وعون وتوجيه، كما أشكره على صبره علي وطول باله معي.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للجنة التي ستقرأ هذا العمل وتناقشه، وتصوب ما وقع فيه من خطأ وتجبر النقص الذي اعتراه، فبارك الله في جهودهم جميعا.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٨

مقدمة:

إن دراسة التراث العلمي العربي عموما والتراث المعجمي بصفة خاصة، ليس من قبيل الحكاية، بل هو ضرورة تمليها علينا التحولات الحضارية التي تمر بها الأمة العربية، لذا وجب العمل على العودة إلى ما أنجزه أسلافنا وأبدعوا فيه، ومد حبل الصلة بين أبناء هذا الجيل والمقومات الحضارية العربية القديمة وبعث روح الإبداع العلمي والحضاري في نفوسهم.

ومن واجبنا البحث في التراث العلمي العربي وكشف مكنوناته، إذْ ما تزال الكثير من المخطوطات العلمية العربية محفوظة في المكتبات العربية والغربية لمّا يتم تحقيقها و نشرها، وهي تحوي مادة علمية قيمة، خاصة ما تعلق بالطب والصيدلة وعلم النبات. وما حُقق منها إما نشر في طبعات رديئة، أو لم يحظ بالاهتمام اللازم دراسة وتحليلا.

وقد طال الإهمال جانبا مهما من الإنتاج العلمي متمثلا في المعاجم المختصة في العلوم المختلفة، وبالتحديد المعاجم المختصة في الطب والصيدلة، حيث كان الإنتاج المعجمي العربي (معاجم لغة عامة أو معاجم مختصة) غزيرا وحظي باهتمام بالغ من قبل العلماء، إلا أن ما بين أيدينا الآن يعد شيئا قليلا إذا ما قورن بما هو مكنون من مخطوط في المكتبات.

ونحن اليوم في أمس الحاجة للرجوع إلى تراثنا العربي في المجالات العلمية بشكل عام وفي مجال الطب والصيدلة بشكل خاص للاستفادة من منهجهم في التأليف والتعليم وتعريب العلوم، فالتجربة العربية الإسلامية في هذا المجال تعد رائدة وداعية إلى الاقتداء بها، وأفضل ما يمكننا الاقتداء به هو تجربة ترجمة العلوم وتعريب المصطلحات الأعجمية وإدخال ما يمكن إدخاله في النظام اللغوي العربي، أو البحث عما يقابلها من ألفاظ عربية فصيحة، خاصة ونحن نعيش الآن

مشكلة تعليم العلوم من طب وصيدلة وغيرهما باللغات الأجنبية، ووضعنا قطيعة بينها وبين اللغة العربية مستندين على حجج واهية وغير علمية. ومن خلال الاطلاع على التراث الطبي والصيدلاني العربي، نجد أن العرب قديما واجهتهم المشكلة نفسهاالتي نواجهها اليوم ـ وربما أسوأ ـ وهي جهل العرب بهذه العلوم وعدم اهتمامهم المعمق بها (دراسة وتأليفا)، وبالتالي افتقار لغتهم إلىالكثير من المصطلحات والعبارات التي تدل على مفاهيم تلك العلوم، لكن العلماء العرب تعاملوا مع هذا النقص بطريقة مكنتهم من امتلاك ناصيتها والتفوق على من كان لهم السبق فيها كاليونان والفرس، عن طريق ترجمة الكتب إلى العربية وتعريب المصطلحات وتعليمها بلغتهم العربية.

وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أن أولالمعاجم العربية التي أُلفت كانت في اللغة العامة، وهي معاجم قائمة بذاتها تستجيب لمعايير الصناعة المعجمية وتؤدي وظيفتها في حفظ ألفاظ اللغة وشرح معانيها، أما المعاجم المختصة فقد تأخر ظهورها مقارنة بمعاجم اللغة العامة، ويرجع سبب تقدم ظهور المعجم اللغوي إلى معالجته للمادة اللغوية العامة التي تعد متن اللغة العربية. أما المعاجم العلمية والفنية المختصة فقد تأخر ظهورها بسبب كونها تعالج مادة مصطلحية لم يكن للعرب عهد بها من قبل كمصطلحات الطب والصيدلة، والرياضة، والفلسفة، ومصطلحات الفلك، والكيمياء، وغيرها من العلوم التي لم يعرفها العرب إلا بعد ازدهار حركة الترجمة، حيث احتاج العلماء العرب إلى شرح المصطلحات الوافدة من لغات أخرى كاليونانية والفارسية والسريانية... ووضع مقابلات عربية لها ما أمكنهم ذلك.

وينتمي بحثنا هذا إلى مجال الصناعة المعجمية، أو المعجمية التطبيقية، ويقابلها المعجمية النظرية أو (علم المفردات) كما اصطلح عليها بعض الدارسين. وتختص المعجمية

التطبيقية بتأليف المعاجم، وتقوم على مبحثين أساسين وهما (الجمع والوضع)، حيث يعمل المعجمي على جمع المادة التي سيحتويها معجمه من مظانها وهي ما يعرف بالمصادر، كما يندرج تحت هذا المبحث المستويات اللغوية التي تنتمي إليها ألفاظ المدونة، أما المبحث الثاني وهو (الوضع)، ويتمثل في عنصرين أساسين هما الترتيب والتعريف. ويمكن تصنيف المعاجم من خلال هذين المبحثين، فالمعجم اللغوي العام هو الذي جُمعت مادته من مصادر لغوية عامة، وصنفت ألفاظ مدونته ضمن ألفاظ اللغة العامة، أما المعجم المختص ـ علميا كان أو فنيا ـ فيمكن تصنيفه كذلك من خلال النظر إلى مصادره ولغته الخاصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون، والتصنيف الثاني يكون من خلال مبحث الوضع، حيث تنقسم المعاجم إلى مدارس تحدد من طرق ترتيبها لمادتها، فنجد معاجم الموضوعات والمعاجم التي ترتب ترتيبا ألفبائيا أي على حروف الهجاء... وهناك تصنيفات عديدة تندرج تحت هذا الباب.

تعتبر المعاجم العربية التي تصنف ضمن المعاجم المختصة أقل تأليفا وانتشارا واهتماما من المعاجم اللغوية العامة، وهذا راجع إلى حاجة الناس إلى المعاجم العامة بحكم أن المادة اللغوية التي تعالجها تخص جميع فئات مستخدمي اللغة، وفي المقابل فإن المعاجم المختصة في علم من العلوم أو فن من الفنون لا تستعمل إلا في نطاق ضيق، ومستعملوها غالبا ما يكونون من أهل الاختصاص، وهذا ما يفسر عدم شهرتها مقارنة بالمعاجم العامة. ومن الأسباب التي أعانت على انتشار المعاجم العامة اعتمادها على مصادر لغوية تعد أفصح النصوص اللغوية العربية وهي القرآن الكريم وبعض الحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي والشعر الإسلامي وما رواه النحاة واللغويون مشافهة من العرب الفصحاء وهو ما سماه الحاج صالح التحريات الميدانية، حتى تاريخ انقضاء الفصاحة في القرن الثاني الهجري في الحضر والقرن الرابع الهجري في البادية. أما المعاجم المختصة فقد احتوت على مصطلحات أخذت أغلبها من مصادر ظهرت

بعد عصر الاحتجاج، وهي في مجملها مصطلحات مرتبطة بعلوم لم يكن للعرب عهد بها، وبهذا كانت لغة المعاجم المختصة في معظمها من الدخيل والمعرب والمولد، وهذه الظاهرة (ظاهرة المولد والمعرب والدخيل في اللغة) من أعقد الظواهر التي وقف عندها العلماء منذ تأسيس الدرس اللغوي العربي وإلى يومنا هذا، ولا زالت محل خلاف وأخذ وجذب بين الدارسين.

ومن منطلق هذا التباين في الاهتمام بالمعاجم المختصة مقارنة بالمعاجم اللغوية العامة، وعدم عناية القدماء وحتى المحدثين بهذا الصنف من المعاجم، ارتأينا أن نشتغل على هذا المبحث المهم في مجال صناعة المعجم العربي، وفي مجال تطوير اللغة العربية وربطها بالعلوم المختلفة، والعمل على مواكبتها للمتطلبات الحضارية الحديثة.

وسنحاول من خلال بحثنا هذا الوقوف على خصائص الصناعة المعجمية العربية المختصة، وإظهار الجهود الكبيرة التي قام بها العلماء العرب في هذا المجال، فالمعجم العربي المختص ليس نادرا أو قليلا بل هو كثير وغزير يحتاج إلى من يعمل على إبرازه ورفع الجهالة عنه.

وحتى نحقق هذا الهدف حددنا عنوانا لبحثنا وهو: "**إسهام علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري"الجامع لابن البيطار" أنموذجا**. والظاهر من خلال العنوان أننا حددنا دراستنا بفترة زمنية تبدأ من القرن الرابع الهجري إلى غاية القرن السابع الهجري، وهذه الفترة هي بداية الصناعة المعجمية المختصة واكتهالها إلى أن تصل إلى أعلى درجات النضج في القرن السابع الهجري، واخترنا مدونة الجامع لابن البيطار كأنموذج يظهر ازدهار التأليف المعجمي المختص ونضوجه.

وما يميز هذه الفترة المتقدمة من التأليف المعجمي العربي، أنها كانت جهدا عربيا خالصا، وإبداعا من لدن عقول عربية يمكن اعتبارها مرجعا وقاعدة نبني عليها عملنا في زمننا هذا. واختيارنا البحث في الصناعة المعجمية القديمة سببه النضج الذي لمسناه في تجربة القدماء، وما يقابله من ضعف بيّن في الجهود المعجمية المختصة الحديثة، حيث لاحظنا أن المعاجم العلمية المختصة الحديثة هي في مجملها معاجم ثنائية اللغة تعمل على نقل المصطلح الأعجمي إلى اللغة العربية، في حين نجد المعاجم التراثية ترتكز على أهم أساس للمعجم وهو التعريف أو الشرح.

وقد اخترنا من بين المعاجم المختصة المعاجم العلمية، وبالتحديد المعاجم المختصة في الطب والصيدلة، واستثنينا بقية أنواع المعاجم المختصة كالمعاجم الفنية، والمعاجم التاريخية، والمعاجم الخاصة بعلوم أخرى كالفلك والرياضيات، أو المعاجم التي تختص بمصطلحات علم من العلوم، كمعاجم الأسماء والأفعال وغيرها... إلا أننا تطرقنا إلى كل ما سبق ذكره في إطار البحث النظري لإبراز مراحل ظهور المعجم المختص عموما وتأثير تلك التجارب في نضج المعجم العلمي المختص.

وقد انطلقنا في بحثنا هذا من إشكالية رئيسية هي: تعد الصناعة المعجمية العربية عملية لغوية حيوية تعمل على تنمية اللغة وحفظها، ويعد المعجم العلمي المختص مدخلا إلى العلوم ورابطة مهمة بين اللغة والعلم والمعرفة، وانطلاقا مما سبق ذكره، نتساءل عن مكانة المعجم العلمي العربي المختص عند العلماء العرب القدماء، وكيف نشأ وتطور وما هي الآليات التي قام عليها، وما هو دور علماء الأندلس في إثراء هذا النوع من المعاجم؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية أسئلة فرعية هي:

ـ ما هي الإرهاصات التي سبقت نشأة المعجم العربي المختص؟

ـ هل المعجم العلمي المختص يتميز عن غيره من المعاجم اللغوية والفنية؟ وفيم يتمثل هذا التميز والاختلاف؟

ـ كيف ساهم علماء الأندلس في نشأة المعجم المختص في الطب والصيدلة؟ وكيف ساهموا في تطويره؟

ـ ما مكانة ابن البيطار العلمية وما دوره في إثراء الصناعة المعجمية من خلال جهوده في هذا المجال وعلى رأسها معجمه الجامع؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، قسما رسالتنا إلى أربعة فصول، وقسمنا الفصول إلى مباحث على الشكل التالي:

الفصل الأول: الموسوم بـ: **إرهاصات المعجم المختص في التراث العربي**، وجعلناه فصلا تمهيديا وخصصناه للحديث عن إرهاصات المعجم المختص في التراث العربي وقسمناه إلى أربعة مباحث، جعلنا المبحث لغريب القرآن، والمبحث الثاني خصص لغريب الحديث، وانتقلنا إلى المبحث الثالث وكان موضوعه الرسائل اللغوية، أما المبحث الرابع فخصصناه لمعاجم الموضوعات.

الفصل الثاني: **المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص والمعجم الفني**، كان عبارة عن مقارنة بين المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص والمعجم الفني، حاولنا من خلاله الوقوف على خصائص كل نوع من أنواع المعاجم المدروسة، والمقارنة بينها وإظهار نقاط الاتفاق والاختلاف بينها. وقسمناه إلى مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى المعاجم اللغوية

العامة والمعاجم المختصة، وعملنا على التعريف بهما وعقد مقارنة بينهما. أما المبحث الثاني فخصصناه للمعاجم العلمية المختصة بشكل عام والمعاجم المختصة في الطب والصيدلة على الخصوص، وعملنا على إظهار الفرق بين أصناف المعاجم التي تشترك في كونها خاصة وتختلف من حيث الموضوع الذي تعالجه.

الفصل الثالث: تحت عنوان: **جهود علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة**، وقد خصصناه لجهود علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة، وقسمناه إلى أربعة مباحث هي: المبحث الأول كان للحديث عن الحياة اللغوية والعلمية في الأندلس، محاولين الربط بين النهضة اللغوية والعلمية والثقافية في الأندلس في تلك الحقبة وتأثيرها في الصناعة المعجمية العلمية بشكل خاص، أما المبحث الثاني: فجعلناه للحديث عن بداية ظهور المعجم المختص في الأندلس بشكل عام، وكيف كان أثره في نشأة المعجم المختص في الطب والصيدلة، وخصصنا المبحث الثالث: للحديث عن المعجم المختص في الطب والصيدلة في الأندلس، وقمنا بعملية جرد للمعاجم المختصة في الطب والصيدلة ودراستها من حيث المنهج والموضوع، وختمنا هذا الفصل بميحث رابع خصصناه لجهود ابن لبيطار المعجمية، حيث قمنا بإراز إسهاماته في معاجم المصطلحات الدوائية، وأظهرنا عنايته بهذا الفن وتميزه فيه.

الفصل الرابع:**دراسة تطبيقية لمعجم الجامع لابن البيطار**، خصصناه للدراسة التطبيقية لمعجم الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، وعملنا على إبراز منهج ابن البيطار الذي اتبعه في وضع معجمه، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، خصصنا المبحث الأول: للحديث عن حياة ابن البيطار والتعريف بكتابه الجامع، أما المبحث الثاني: فكان عبارة عن دراسة تطبيقية

للمعجم من خلال دراسة قضيتي الجمع والوضع في معجم الجامع وما تعلق بهما من المصادر التي جمعت منها المادة، واللغة التي غلبت على المعجم من حيث العموم والخصوص أو الفصيح والعامي والدخيل والمولد، أما ما تعلق بالوضع فقد أبرزنا منهج ابن البيطار في ترتيب معجمه، و طريقته في تعريف مصطلحاته، وخصصنا المبحث الثالث للحديث عن ظاهرة الاقتراض اللغوي ومعالجة المصطلحات الدوائية في معجم الجامع، حيث قمنا بإحصاء اللغات الأعجمية التي اقترض منها ابن البيطار والعاميات العربية التي أوردها في معجمه، كما بينا منهجه في معالجة المصطلحات الدوائية وشرحها.

واختتمنا بحثنا بخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج التي وقف عليها بحثنا، وذيلناها بأبرز التوصيات التي ارتأينا أنها مفيدة لمن أراد الاشتغال بصناعة المعجم، أو لمن هم في خضم هذا الميدان.

وللتعامل مع خطة البحث التي رسمناها اتبعنا المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المدروسة وهي صناعة المعجم المختص، من خلال جرد المعاجم التي هي موضوع البحث ودراستها واستخلاص مناهجها، وبما أن بحثنا في التراث فقد احتجنا إلى المنهج التاريخي للرجوع من خلاله إلى المعاجم التي ألفت قديما من أجل دراستها، كما اعتمدنا على المنهج المقارن للمقارنة بين مختلف المناهج المتبعة في صناعة المعاجم، والمقارنة كذلك بين مختلف المدارس المعجمية وأنواع المعاجم المختلفة.

وقد وقفنا خلال بحثنا هذا على دراسات سابقة خصصت لجانب من جوانب بحثنا، أبرزها وأهمها الجهود الجبارة التي قام بها الباحث إبراهيم بن مراد، فقد كرس جزءا كبيرا من أبحاثه لدراسة المعاجم العربية المختصة، وخاصة المعاجم التراثية منها، مما أفادنا كثيرا في بحثنا هذا،

وحاولنا الاستفادة قدر الإمكان من تجربته دون الوقوع في التكرار أو المماثلة، ومن المؤلفات التي درس فيها ابن مراد المعجم المختص نذكر: "المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري"، و "دراسات في المعجم العربي" و كتاب "المصطلح المعجمي في كتب الطب والصيدلة". ويكاد يكون إبراهيم بن مراد وحده من اهتم بهذا النوع من المعاجم من الباحثين المحدثين، وقدم جهدا كبيرا من أجل إظهار أهميتها وإخراجها إلى ساحة البحث والتحقيق، مع بعض الجهود التي قام بعض الباحثين في مقالات منشورة في مجلة المعجمية الصادرة عن جمعية المعجمية بتونس والتي يرأسها إبراهيم بن مراد.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات ونحن ننجز هذا العمل ومن أبرزها قلة الدراسات التي أنجزت حول المعاجم المختصة في الطب والصيدلة، وكذلك صعوبة الوصول إلى العديد من المعاجم في هذا المجال بسبب ضياعها أو بسبب بقائها على حالها المخطوط ولم تحقق أو تنشر بعد، وحتى المخطوط منها يوجد أغلبه في مكتبات أجنبية يصعب الوصول إليها.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف: أ/د. سعيد بوخاوش على ما بذله من جهد لتوجيه هذا العمل وإثرائه، كما أشكره على صبره معي وتقديمه الدعم المعنوي والعلمي حتى تم هذا العمل، بارك الله في جهده وعلمه وعمره.

بودواو في: 10 سبتمبر 2024

الفصل الأول:

إرهاصات المعجم المختص في التراث العربي

تمهيد:

تعد اللغة العربية من أهم اللغات الإنسانية وقد اشتد عودها بعد مرور قرون عدة، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم للبشرية جمعاء، مما جعلها لغة عالمية ومكنها من فرض نفسها على الجميع، فتهافتت شعوب الأمم على تعلمها والاهتمام بها.

ومع بداية عصر تدوين اللغة وجمعها بدأت تظهر المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن وغريب الحديث والرسائل اللغوية التي جمع فيها النحاة واللغويون العرب أسماء الأشياء كالنبات والحيوان وكل ما يتعلق بهما، مع شرح معانيها وتبيان فصيحها ومُعرَّبها وإظهار خصائصها.

وكانت هذه المدونات عبارة عن خزائن جُمعت فيها اللغة العربية الفصيحة التي كان العرب يستعملونها في حياتهم اليومية ويتواصلون بها، وكذا الموروث اللغوي النثري والشعري وخاصة الشعري منه، وعلى هذا المبدأ نفسه نشأت المعاجم اللغوية العامة، لكن ما شذ عن هذه القاعدة هو تأليف المعاجم المختصة في العلوم المختلفة، إذ لم يكن القصد الأساس من تأليفها جمع اللغة وشرح معاني مفرداتها، وإنما كان الهدف منها شرح مفاهيم مصطلحات علمية جديدة لم يكن للعرب سابق عهد بها.

ويمكننا القول إن معاجم الغريبين والرسائل اللغوية هي من الإرهاصات الأولى للمعجم المختص، خاصة الرسائل اللغوية التي صارت مصدرا للكثير من المعاجم المختصة في الطب والصيدلة وعلى رأسها معجم (الجامع) لابن البيطار.

المبحث الأول: غريب القرآن

بدأ اهتمام العلماء العرب بالتأليف في الألفاظ ومعانيها منذ نهاية القرن الأول الهجري، وكان أول اهتمامهم بألفاظ القرآن الكريم، فعكفوا على البحث في دلالاتها وتأويلها وتدوينه، ويمكن القول إن هذه الجهود هي أولى بوادر التأليف المعجمي العربي بصفة عامة، والتأليف المعجمي المختص بصفة خاصة. ومع أن التأليف في الغريب والتأليف في معاجم الطب والصيدلة يختلفان في المادة المعالجة إلا أنها يتفقان في مسألة الاختصاص بنوع محدد من المفردات التي تنتمي إلى حقل مفهومي واحد.

1 ـ الغريب لغة: غرب بفتح الراء بعد، والغريب الغامض من الكلام،ومنه كلمةغريب. ورجل غريب: بعيد عن أهله ليس من سائر القوم. قال طهمان بن عمرو الكلابي:

وإني والعبسي في أرض مذحج غريبان شتى الدار مختلفان

وكل ما ورد في معنى (غرب) يفيد البعد، وإن أضيف إلى الكلام أفاد الغموض، والابتعاد عن الذهن.

وقد وردت مادة (غرب) في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعا، بصيغ متنوعة تبلغ ثلاث عشرة صيغة، نذكر منها: غربت (الكهف/17)، وتغرب (الكهف/86)، والغروب (ق/ 39)، وغروبها (طه/130)، والمغرب (البقرة/115 -142-177-258) (الكهف/86)، (الشعراء/ 28)، (المزمل/9)...

والغريب:" الغامض من الكلام"[1]، ويقول الأزهري:" الغريب من الكلام: العُقْمِيُّ الغامض"[2].

وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى:چگ گ گ ں ں چالفيل" كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب"[3]وقال ابن سيده:"وعنقاءُ مُغْرب، ومُغْرِبة، وعَنْقاء مُغْرِبٍ، على الإضافة عن أبيعلي: طائر عظيم يبعد في طيرانه"[4]

أما الزمخشري فقد عرفه بقوله:"تكلم فأغرب، إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول فلان يُعْرب في كلامه ويُغْرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغَرُب كلامه، وقد غَرُبت هذه الكلمة، أي غمُضت فهي غريبة..."[5] فالغريب هو الغامض من الكلام، الذي يحتاج إلى إيضاح وتفسير.

2 ـ الغريب اصطلاحا:

ورد مصطلح الغريب الذي يهتم بدراسات القرآن والحديث والأثر فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، حين قال:" من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل"[6]. وهذا وصف لمجلس من مجالس العلم لابن عباس.

---

[1] ـ الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج4، ص411.

[2] ـ الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت عبد العظيم محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب،ج8، ص115.

[3] ـ البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت عبد السلام محمد هارون، ج7، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1996، ص 132.

[4] ـ ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج5، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص508.

[5] ـ الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد ، أساس البلاغة، ت محمد باسل عيون السود، دار الفكر العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1998، ج 1، ص697.

[6] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 2001، ص13

وهناك من اللغويين من يعرف الغريب من الكلام بأنه ما غمض معناه وبعد، وقال بهذا مجموعة من اللغويين منهم: القلقشندي، وحاجي خليفة، من القدماء، ومن المحدثين: محمد بن يعقوب التركستاني، وعبد الفتاح البركاوي[1]. وهذا التعريف يتفق مع التعريف اللغوي.

ويرى فريق آخر أن الغريب ما قل استعماله، نذكر منهم الزجاجي، والآمدي وابن الأثير، ومن المحدثين، تمام حسان[2].

أما السيوطي فيعرف الغرابة بقوله:" والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنَقّر عنها في كتب اللغة المبسوطة"[3].

فالغريب من خلال ما سبق من تعريفات هو ما غمض معناه وبعد، أو ما قل استعماله أو الكلمة الوحشية التي لا يظهر معناها.

3 ـ بداية التأليف في غريب القرآن:

وأول تجربة معجمية عند العرب هي ما ألف في غريب القرآن الكريم، وعنيت هذه الدراسات بشرح ما استشكل على العرب في بداية القرن الأول الهجري من ألفاظ القرآن الكريم، فعمل الدارسون على شرحها والبحث عن دلالاتها وتأويلها، وأول من اشتغل بهذا الفن هو الصحابي عبد الله بن عباس (ت68 هـ).

---

[1] ـ هيثم زين مرسي، معاجم الغريبين في العربية، دار النشر للجامعات القاهرة، ط1، 2017، ص17.

[2] ـ هيثم زين مرسي، معاجم الغريبين في العربية، ص18.

[3] ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1 المكتبة العصرية، 1998، ص186.

وقد أورد السيوطي فيالإتقان حديثا عنه قال:"وأخرج الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن أعلمه إلا أربعا: غِسلين وحنانا وأواه والرقيم"[1]، كما نسب إلى عبد الله بن عباس كتابان في الغريب الأول هو"مسائل نافع بن الأزرق في غريب القرآن" ويعتبر أجوبة على أسئلة في ألفاظ من غريب القرآن امتحنه بها نافع بن الأزرق الخارجي (ت. 65هـ)، وهو مخطوط يتواجد بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية وبرلين كما توجد نسخة بالظاهرية، كما أن لابن عباس كتابا في "غريب القرآن"، نقحه عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان (ت. 114هـ)[2].وذكرلأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (141هـ/758م)[3] كتابا في غريب القرآن ويعد من أوائل من اشتغل بهذا العلم، كما نسب العلماء كتابا في الغريب لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (189هـ / 805م)[4]. وقد نسبت الكثير من الكتب في الغريب إلى مؤلفين كثر إلا أنه لم يثبت صحة نسبها إليهم أو أنها مفقودة ولم يصلنا منها شيء، نذكر منها "غريب القرآن" الذي نسبه ابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ)، وغريب القرآن لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك العدوي المعروف باليزيدي.

كما أحصى حسين نصار مجموعة من أسماء اللغويين المتوفين في القرن الثالث الذين ألفوا في هذا الميدان وذكر منهم: أبا محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 202 هـ)، والنضر بنشميل (203 هـ)، وأبا عبيدة معمر بن المثنى (221هـ)، والأصمعي (213 هـ)، والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (215 أو 221هـ)، وأبا عبيد القاسم بن سلام (224هـ)، ومحمد بن سلام

---

[1]- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج1، دار الفكر، لبنان، 1996، ص285.

[2]- أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1993م، ص07.

[3]- حسين بن محمد نصار، كتب غريب القرآن الكريم، ص327.

[4]- نفسه، ص328.

الجمحي (231هـ)، وأبا عبد الرحمان عبد الله بن محمد العدوي المعروف بابن اليزيدي (تلميذ الفراء)، وابن قتيبة (276هـ) وثعلب (291هـ) ومحمد بن الحسن بن دينار الأحول، وأبا جعفر أحمد بن محمد بن يزداد الطبري[1]. وقد فقدت هذه الكتب جميعا سوى غريب ابن قتيبة[2]. من الواضح أن الكثير من كتب الغريبَيْنِ فقدت ولم تصل إلينا لسبب من الأسباب، لكن هذا لا ينقص من أهمية ذكرها وتوثيقها، فحتى وإن لم نستفد من عينها إلا أن غزارة التأليف فيها يبين لنا قيمة هذه الشروح والتفاسير ودورها في تهيئة أساس للمعجمية العربية.

ومما يؤكد لنا قِدم التأليف في الغريب ـ رغم عدم اليقين من تاريخ كتابة أقوال ابن عباس ونسبة كتاب زيد بن علي ـ كتاب غريب القرآن الذي ألفه أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت 141هـ)، ألفه في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة[3].

ونجد الكثير من المؤلفات في غريب القرآن نُسبت إلى علماء في القرن الرابع الهجري، وأشهرهم أبو طالب المفضل بن سلمة (308)، وابن دريد (321 – 223)، ولم يتم كتابه، وأبو زيد أحمد بن سهل البلخي (322)، ومحمد بن عثمان الجعد (322هـ) ونفطويه (323هـ)، ومحمد بن عزير السجستاني (330)، وأبو عمرو محمد عبد الواحد الزاهد (345)، وأبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة (260–350)، وأبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري النقاش (351)، وإسحاق بن سلمة بن وليد الأندلسي (368)، وأبو الحسن إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي من طبقة ابن درستويه، وعلي بن سليمان الأخفش.

ووصل إلينا من كتب هذا القرن كتاب ابن عزيز، الذي روى أبو البركات الأنباري أنه صنفه "في خمس عشرة سنة، وكان يقرأه على شيخه أبي بكر بن الأنباري، فكان يصلح له فيه

---

[1]ـ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط4، 1988م ،ج1، ص34.

[2]ـ نفسه، ص34.

[3]نفسه ، ج1، ص33.

مواضع. وقد طبع هذا الكتاب الأستاذ مصطفى عناني عام 1936 م وعنوانه نزهة القلوب.ومنهج ابن عزيز في كتابه هو تقسيم الحرف الواحد في ترتيبه إلى ثلاثة أبواب، فيقدم المفتوح، ثم المضموم، ثم المكسور، ولا يعتبر الحرف الثاني وما بعده، فيورد الألفاظ المبدوءة بالحرف الواحد مختلطة في غير نظام.[1]

أما علماء القرن الخامس الهجري ممن ألفوا في غريب القرآن نجد: أبا القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني، وأحمد بن محمد المرزوقي (431)، ومكي بن أبي طالب القيسي (355-437)، ومحمد بن يوسف الكفرطابي (353)، وعبد الواحد بن أحمد المليحي (463).[2]

وألف في الغريب من علماء القرن السادس محمد بن عبد الرحمان البخاري الزاهد (546هـ)، وابن الجوزي حيث ألف كتابا سماه "الأريب"، ولم يصل إلينا هذا الكتاب[3]. كما ألف ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي (582هـ)، وقد ذكر أنه سار على نهج أبي عبيد الهروي وألف في الغريبين. إلا أنه لم يصل إلينا اسم الكتاب ولكن قيل إنه: (كتاب كبير في غريب القرآن والحديث)[4]. كما كان للحافظ محمد بن ناصر السلامي (550هـ) مؤلف في الغريبين وسمى كتابه "التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف في كتاب الغريبين" وله اسم آخر ذكره بروكلمان أيضا "التنبيه على خطأ الغريبين"، وله نسخة خطية بدار الكتب المصرية، تحت رقم 56 لغة تيمور، ونسخة أخرى في مكتبة الظاهرية

---

[1]- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 35-36

[2]- نفسه ، ص .36

[3]- نفسه، ص 37.

[4]- هيثم زينهم مرسي، معاجم الغريبين في العربية، ط1، ص40

بدمشق برقم 1598 لغة. وقد نشره وليد محمد السراقبي بالمجمع الثقافي بأبي ظبي وأعادت دار كنوز إشبيليا بالرياض نشره بتحقيق حسين بن عبد العزيز بن عمر باناجه.[1]

وممن ألف في غريب القرآن في القرن السابع، نجد ابن عساكر المالقي (632هـ)، وهو القاضي العالم صاحب الفنون الكثيرة، أبو عبد الله محمد بن خضر الغساني المالقي المالكي بن عسكر. وكتابه " المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي"[2]. كما نجد عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة (606هـ)، وأبا محمد عبد الرحمان بن عبد المنعم الخزرجي (663هـ)، ومحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي[3]. وذكر حاجي خليفة كتاب الرازي فقال:" ذكر فيه أن طلبة العلم وحملة القرآن سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب، ورتبه ترتيب الجوهري، ضم فيه متنا من الإعراب والمعاني، وفرغ من تعليقه في سنة 668، ولأبي الفرج بن الجوزي كتابسماه الأريب"[4].

واستمر التأليف في غريب القرآن خلال القرن الثامن الهجري فنجد حاجي خليفة أثنى في (كشف الظنون) على مؤلف ابن السمين الحلبي الذي ألف كتابه الموسوم بمفردات القرآن، إذ يقول:"ولابن السمين الحلبي أيضا مفردات القرآن، وهو أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن"[5].

ويمكن القول إن كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (276هـ). هو في حقيقة أمره تتمة لكتاب "تأويل مشكل القرآن"[6]. ويعتبر كتاب ابن قتيبة عمدة من عمد كتب الغريب، وقد اعتمد معظم الذين جاؤوا بعده على كتابه واختصروه واستفادوا منه.

---

[1]. هيثم زينهم مرسي، معاجم الغريبين في العربية، ص40-41.

[2] . نفسه، ص 44.

[3] . حسين نصار، المعجم العربي، ص37.

[4] . حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة لندن، ج4، ص 331.

[5] . نفسه، ج4، ص331

. ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية [6]بيروت، المقدمة ص أ

وقد أنبأنا ابن قتيبة في صدر كتابهعن غرضه الذي امتثله فيهفقال:"وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد"[1].ونجد أن ابن قتيبة التزم في وضع كتابه بالمنهج الذي سطره لنفسه وذكره آنفا، مما جنبه الإطالة والتوسع في شرح الكلمات وذكر الشواهد الحديثية وتخريجاتها.

ويتضح لنا من هذا القول أن ابن قتيبة اتخذ من منهج الاختصار دون إخلال طريقا لتيسير كتابه للناس، وكما أنه ابتعد عن الاستشهاد للفظ الشائع في الاستعمال تجنبا للإطالة، وتجنب الإكثار من الشواهد خدمة لغرضه الأول وهو الاختصار.

وويوضح ابن قتيبة تقسيمه لكتابه بقوله:" نفتتح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فنخبر بتأويلها واشتقاقها. ونتبع ذلك ألفاظا كثر ترددها في الكتاب، لم نر بعض السور أولى بها من بعض. ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله: إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا، بحمد الله"[2].

ولم يراع في تفسيره لأسماء الله الحسنى أي ترتيب، كما فعل ذلك في الجزء الثاني من تقسيمه، فنجده ابتدأ بسورة الجن والناس... أما في قسم الغريب فقد سار على ترتيب سور المصحف.

واتبع ابن قتيبة في تفسيره طريقة اللغويين والمفسرين، فيبدأ بشرح الألفاظ لغويا، ثم يأتي بالشواهد الشعرية والأحاديث النبوية وأقوال العرب، ثم ينتقل إلى التفسير القرآني، باقتباس أقوال المفسرين.

---

[1] ـ ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ، المقدمة.

[2] ـ نفسه، مقدمة ابن قتيبة، ص3.

أما عن مصادره، "فقد اعتمد ابن قتيبة على كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، أكبر اعتماد، وانتفع بهما انتفاعا عظيما، حتى إنه في بعض المواطن كان ينقل لفظهما بنصه وفصه"[1]. ولم يكن ابن قتيبة ناقلا لما في الكتب دون تمحيص أو نظر، بل كان ينتقي ويأخذ ويذر وينتقد. ونجد هذا المعنى في قوله:" ونبذنا مُنكَر التأويل، ومنحول التفسير. فقد نَحَلَ قوم ابن عباس، أنه قال في قول الله جل وعز:(إذا الشمس كورت): إنها غُوِّرت، من قول الناس بالفارسية: كُورْبِكِرد. وقال آخر في قوله:(عينا فيها تسمى سلسبيلا): أراد سلني سبيلا إليها يا محمد... مع أشابه لهذا كثيرة، لا ندري: أمِن جهة المفسرين لها وقع الغلط؟ أو من جهة النَقَلة"[2].

وهذا المثال يوضح لنا قوة شخصية ابن قتيبة العلمية، ويظهر جليا أنه ليس بحاطب ليل. وأنه عالم محقق وناقد لا يأخذ كل ما يجد في الكتب على أنه حقيقة مطلقة.

ومن أوائل من كتب في غريب القرآن ـ من منطقة المغرب العربيـ ابن الحداد أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني القيرواني وهو من علماء القرن الثالث الهجري[3].

وكتابه في غريب القرآن سماه بـ (توضيح المشكل في القرآن)، إلا أن كتابه هذا لم يعرف عنه شيئا، ولكن من خلال عنوانه يظهر جليا أنه سار على نهج من ألف في مشكل القرآن الكريم وهو معالجة الألفاظ المشكلة في القرآن كما فعل ابن قتيبة وغيره.

كما كان لأبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي القيرواني الذي ولد ونشأ في الأندلس (437هـ)، كتاب في الغريب (شرح مشكل غريب القرآن)، وكان قد ألفه في مكة المكرمة عام 389هـ ابن الجزري في طبقات القراء، وقال القفطي إنه في ثلاثة أجزاء[1].

---

[1] ـ ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ، المقدمة ص ج.

[2]ـ نفسه، ص4-5.

ـ يوسف أحمد المطوع، نحاة القيروان، حوليات كلية الآداب، كلية الآداب جامعة الكويت، الرسالة 25، [3]الحولية6، 1985م،ص36 .

كما نسب لمكي كتاب (العمدة في غريب القرآن)، اعتمد في ترتيبه على ترتيب المصحف، حيث ابتدأ بالفاتحة وختمه بسورة الناس. ومن خصائص هذا الكتاب الاختصار في شرح ألفاظ القرآن شرحا قاموسيا لا يتجاوز في أغلبه ذكر الكلمة ومرادفها.

وفي هذا يقول يوسف المرعشلي في تصديره لكتاب العمدة:"إنه يمتاز عن غيره من كتب الغريب بإيجازه الشديد، فهو مختصر في فنه كما أنه سديد الأراء يختار أولى الأقاويل وأرجحها عند أهل التفسير واللغة، ولا يجنح للضال من الأقوال ولا للمنحول من التفسير"[2]. ولا يستغرب هذا الكلام في وصف الكتاب إذا علمنا أن العمدة هو مختصر من كتاب المشكل من غريب القرآن للكاتب نفسه والذي ذكرناه آنفا.

ومنهج مكي في ترتيب كتابيه (تفسير المشكل والعمدة) واحد، حيث يبدأ بذكر غريب سورة الفاتحة ثم البقرة وهكذا إلى آخر سورة في القرآن الكريم. والفرق بين الكتابين أن المؤلف بدأ بمقدمة في تفسير المشكل إلا أن العمدة يبدأ مباشرة دون تقديم، والاختلاف الثاني هو الاختصار في العمدة مقارنة بتفسير المشكل.

---

[1] ـ عبد العلي الودغيري، المعجم في المغرب العربي إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، مطبعة النجاح الجديدة المغرب، ط1، 2008، ص 79-80.

[2] ـ مكي أبي محمد بن أبي طالب القيسي، العمدة في غريب القرآن، شرح وتعليق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981م، ص4.

المبحث الثاني: غريب الحديث

لا اختلاف بين الناس في أن علم الحديث من أشرف العلوم الإسلامية قدرا، لهذا اشتغل به الكثير من علماء المسلمين أولهم ومتأخرهم. يذكر ابن الأثير في مقدمة كتابه "النهاية" أهمية علم الحديث ومنزلته من بين العلوم يقول:"فلا خلاف بين أولي الألباب والعقول، ولا ارتياب عند ذوي المعارف والمحصول، أن علم الحديث والأثار من أشرف العلوم الإسلامية قدرا، وأحسنها ذكرا، وأكملها نفعا وأعظمها أجرا"[1]. وقسمه ابن الأثير إلى قسمين: أحدهما معرفة الألفاظ، والثاني معرفة معانيه. ويرى أن معرفة ألفاظه مقدمة في الرتبة على معرفة معانيه، لأنها الأصل في الخطاب وبها يحصل التفاهم، فإذا عُرِفتْ تَرتَّبتِ المعاني عليها فكان الاهتمام ببيانها أولى[2].وهذه إشارة واضحة إلى أن الغريب المقصود بالدراسة والموجب للعناية، هو غريب اللفظ لا المعنى.

وأول من ألف في هذا الموضوع على رأي الخطيب البغدادي هم من ذكرهم في كتابه (تاريخ بغداد) حيث قال:" وكتاب غريب الحديث: أول من عمله: أبو عبيدة معمر بن المثنى وقطرب والأخفش والنضر بن شميل، ولم يأتوا بالأسانيد."[3]. كما ذكر مؤلفا لأبي عدنان النحوي البصري في غريب الحديث غير أنه زاد على من سبق ذكرهم بذكره للأسانيد، وصنفه على أبواب السنن والفقه، كما أشار إلى صغره[4]. وهذا الوصف (الصغر) ينطبق على كتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى، وهو أول من ألف في غريب الحديث كما جاء في كتاب (النهاية ج1)، إذ جمع

---

[1] ـ ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت الطناحي، دار الحلبي، ط1 ، ص3

[2] ـ نفسه، ص3.

[3] ـ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية بيروت، ص405

[4] ـ نفسه، ص405.

ألفاظ غريب الحديث والأثر وهو كتاب صغير، ولم تكن قلته لجهله بغريب الحديث وإنما كان ذلك لأمرين:"أحدهما أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه، فإنه يكون قليلا ثم يكثر، وصغيرا ثم يكبر. والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عم، ولا الخطب قد طم"[1]. ومن الأسباب التي لم يذكرها ابن الأثير سببٌ ذكره الخطيب البغدادي في ما أوردناه عنه آنفا، وهو عدم إتيانه بالأسانيد، وهذا ما قلل من حجم الكتاب.

ثم ألف بعده النضر بن شميل المازني كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أي عبيدة. وكانت المؤلفات في هذه الفترة متقاربة في حجمها ومادتها، ولم يزد أحدهم على الآخر إلا بالشيء القليل.

واستمر الحال على ما هو عليه إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلامالهروي (224هـ) وهذا في القرن الثالث الهجري، حيث ألف كتابه (غريب الحديث) وجمع فيه عامة ما في كتب السابقين، واهتم بذكر الأسانيد وتفسير الألفاظ الغريبة في الأحاديث، وأتمه في أربعين سنة[2]. وصار هو القدوة في هذا الشأن وقد روي عنه أنه قال":إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة، وهو كان خلاصة عمري"[3].وقد ذكر بعض الباحثين أن أول من صنف في الغريبين أبو عبيد الهروي[4]. إلا أن هذا القول ليس دقيقا لما أوردناه فيما سبق من مؤلفات في غريب الحديث قبل الهروي، كأبي عبيدة والنضر بن شميل وابن قتيبة...

---

[1] ـ ابن الأثير، النهاية، ص5.

[2] ـ فوزي يوسف الهابط، المعاجم العربية موضوعات وألفاظ، الولاء للطبع والتوزيع، ط1، 1996م، ص39.

[3] ـ ابن الأثير، النهاية، ص6.

[4] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 2001، ص62.

ثم استدرك على كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي وصنف تكملة له الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني (581)، وسماه (تتمة الغريبين) أو (المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث)[1]

كما كان للزمخشري (538هـ)، ما يقوله في هذا الموضوع، فألف كتابا في غريب القرآن سماه (الفائق)، وكان ترتيبه لمواده على الحروف الهجائية، ملتزما بالحرفين الأول والثاني في الأبواب والفصول، فالحرف الأول يحدد الباب الذي ترتب فيه الكلمة، والثاني يحدد الفصل، أما داخل الفصول يضع الكلمات بدون ترتيب[2].

ويمكن القول إن هذه الفترة (القرن السادس الهجري)، اتسمت باتساع ترتيب مواد كتب غريب الحديث على الحروف الهجائية، بعد أن ساد قبل هذه الفترة الترتيب على منهج الأسانيد.

إلا أن هناك من ألف قبل هذه الفترة على المنهج الهجائي، فنجد شمر بن حمدويه (255هـ)، "صنف كتابا كبيرا جدا رتبه على حروف المعجم ابتدأ فيه بحرف الجيم، لم يسبق إليه"[3]. وهذا يدل على أن الترتيب المعجمي كان معروفا قبل القرن السادس، والذي يؤكد ذلك، ترتيب الخليل لمعجمه على حروف الهجاء.

كما نجد من صنف على المنهج الهجائي خلقا ليسوا بالقليل، منهم: محمد بن عمر الأصفهاني (581هـ)، وله كتاب المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، وله كتاب آخر في هفوات الغريبين. كما أن لعبيد الله محمد بن علي بن هارون الغساني (632هـ)، كتابا بعنوان الزيادة على غريب الهروي، ألفه على المنهج الهجائي، وهو عبارة عن تتمة لكتاب الهروي[4].

---

[1] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، ص63.

[2] ـ يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، ص53.

[3] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر، ص 64.

[4] ـ نفسه، ص66.

ومن الكتب التي ألفت على هذا المنهج، كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، وقد رتبه على حروف المعجم وفق ترتيب المغاربة، وقد وصف الكتاب بأنه لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب لكان قليلا فيه[1].

وقد عد الباحث السيد الشرقاوي مجموعة من المناهج في ترتيب كتب غريب الحديث لموادها، وجعلها ثمانية مناهج هي:

1 ـ منهج الأسانيد: وهو أقدم منهج اتبعه مؤلفو هذه الكتب، وهذا المنهج هو صون من التحريف والتدليس، ومحاربة الوهم.

2 ـ المنهج الثاني وهو التأليف في الغريبين: غريب القرآن والحديث، فكما أن كتبا انفردت بالتأليف في أحد الغريبين، ألفت كتب كثيرة وجمعت بين الغريبين في مؤلف واحد.

3 ـ منهج الترتيب الهجائي، وهي الكتب التي رتبت على حروف الهجاء، وهذا المنهج اتصف بالقلة في القرون الأولى، غير أنه انتشر في القرن السادس وصار كثيرا.

4 ـ المنهج الرابع: وهو نوع من التأليف يتصل بشرح حديث معين أو مجموعة من الأحاديث لها صفة خاصة، وهذا المنهج يتعرض كذلك لمجموعة من الأحاديث تتسم بصفة واحدة تجمعها كالأحاديث الطويلة، وممن ألفوا في هذا النوع نجد ابن الأثير الذي ألف كتابه (منال الطالب في شرح طوال الغرائب).

5 ـ المنهج الخامس: وهذا المنهج يعتمد على شرح غريب كتاب من كتب الأحاديث، أو مجموعة من الكتب، أو شرح غريب نوع معين من أنواع الحديث النبوي الشريف. ويعتبر أصبع بن الفرج (225هـ) هو أول من ألف في هذا النوع، كتابا سماه (تفسير غريب الموطأ).

---

[1] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر، ص 66.

6 ـ المنهج السادس هو الاستدراك: وهذا المنهج في التأليف يتناول ظاهرة الاستدراك من مصنف على مصنف آخر. وقد ألف ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) استدراكا على كتاب أبي عبيد.

7 ـ المنهج السابع: إصلاح الغلط، والرد، والمشكل: ويبرر الباحث جمعه بين هذه الفروع الثلاثة بوجود رابط فكري ومنهجي بينها.

8 _ المنهج الثامن: الاختصار وإعادة الترتيب والتهذيب، وهذا النوع يغلب عليه الجانب التعليمي، فالهدف منه هو تقريب المادة العلمية للدارسين وتيسيرها لهم، ولغير المتخصصين. وممن ألف في هذا النوع، أبو عبيد القاسم بن سلام، حيث ألف كتابه الموسوم بـ (غريب الحديث)[1].

ومن أمهات الكتب في غريب الحديث، (غريب الحديث) لأبي سليمان الخطابي حمد ابن محمد البُسيّ(388هـ). وهو ثالث أعظم الكتب في غريب الحديث: الأول كتاب أبي عبيد والثاني كتاب ابن قتيبة[2].

لكن السِّلفي يجعله أعلى منهما مرتبة حيث قال في كتاب الخطابي :"وكتابه في غريب الحديث ذكر فيه مالم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كتابيهما"[3].وهذا طبيعي لأنه تأخر عنهما في تأليف كتابه وأفاد منها أيما إفادة، وزاد على ما جاء في كتابيهما.

ويعزز هذا القول ما قاله الخطابي في مقدمة الكتاب:" واتسق الكتاب فصار كنحو من كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه، ونحوت نحوهما في الوضع والترتيب، وابتدأت أولا بتفسير أحاديث

---

[1] ـ السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر، ص 53-77.

[2] ـ نفسه، ص125.

[3] ـ الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البُسي، غريب الحديث، ت عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ج1، دار الفكر، دمشق، 1982م، ص4.

الرسول ﷺ، ثم ثنيت بأحاديث الصحابة، وأردفتها أحاديث التابعين، وألحقت بها مقاطع من الحديث، لم أجد لها في الرواية سندا، إلا أنها قد أُخِذت عن المقانع من أهل العلم والأثبات من أصحاب اللغة، وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة ملحونة ومحرفة عن جهة قصدها"[1].

وهذا المنحى في اتباع كتابي ابن قتيبة وأبي عبيد كان في الترتيب والوضع، ولم يكن في المضمون والتفسير، وأشار إلى هذا الخطابي في مقدمة كتابه بقوله:"ولم أعرض لشيء فسر في كتابيهما إلا أن يتصل حرف منه بكلام، فيذكر في ضمنه، أو يقع شيء منه في استشهاد أو نحوه"[2]. وهنا نجده يستثني من ذكر ما جاء في كتابي ابن عبيد وابن قتيبة، إلا ما جاء للاستشهاد بقولهما.

أما منهج الخطابي في تأليف كتابه، فيورد الحديث، ثم يتبعه بسند واحد له، أو في أحيان كثيرة يأتي بسند آخر، ثم يفسر الكلمات اللغوية، ويستشهد على تفسيرها بحديث آخر، أو بعض حديث، أو آية قرآنية، أو بيت من الشعر أو الرجز، كما أنه في كثير من الأحيان يقوم بشرح الكلمات الغريبة في شواهده. وله في الفقه نصيب، حيث يسجل بعد الشرح ما كان في الحديث من الفقه.

ومن منهجه كما سبق في كلامه ألا يكرر ما جاء في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة، مما تعرضا له من أحاديث أو تفاسير، إلا أن يكون الحديث غير مشروح، أو أن يقوم بترجيح أحد القولين اللذيناختلف فيهما صاحباه.

---

[1] ـالخطابي، غريب الحديث، ص48-49.

[2] ـ نفسه، ص48.

المبحث الثالث: الرسائل اللغوية

تعتبر الرسائل اللغوية من بين أوائل ما ألف العرب فيما يمكن أن يعتبر نواة للمعجم المختص، فالرسائل اللغوية ألفت في مجال واحد من المجالات، وهذا يعتبر تمهيدا لمفهوم الحقل الواحد في المعاجم المختصة.

يرى إبراهيم بن مراد أن الرسائل المؤلفة في صفات النبات والحيوان يمكن اعتبارها ـ من بعض الوجوه ـ رسائل في المصطلحات الدالة على أعيان النبات ومحيطه، وعلى أصناف الحيوان وأجزائه[1].

وتعتبر هذه الرسائل مصادر للكثير من الكتب التي ألفت في لأدوية والغذية، خاصة الرسائل التي كانت في النبات والحيوان، كما كانت الألفاظ التي احتوتها هذه الرسائل اللغوية ملجأ للأطباء والعشابين من أجل إيجاد مقابلات عربية فصيحة للألفاظ الأعجمية التي احتوتها كتب الطب والصيدلة اليونانية والفارسية.

منالكتب اللغوية التي دونها العرب نجد الرسائل التي ألفت في ظواهر فردية، وأخرى على المعاني والموضوعات. وبحسب رأي حسين نصار،أن الرسائل التي ألفت في المعاني والموضوعات هي من أقدم ما ألف الدارسون في اللغة العربية، إن لم يكن أقدمها[2].

وكان منهج من ألف هذه الرسائل الموضوعاتية، هو جمع الألفاظ التي تنتمي إلى موضوع واحد، مثل كتاب النبات، والحيوان، والجماد. وكان التأليف أيضا في أصناف من المواضيع، كالخيل، والإبل، والحشرات...[3]

---

[1] ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ص26.

[2] ـ حسين نصار، معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت، 1985، ص5.

[3] ـ نفسه، ص5.

والرسائل اللغوية هي شكل من أشكال الجمع اللغوي، صنفت مفرداتها تصنيفا موضوعيا، تناولت بعضها الحيوانات المختلفة وما يتعلق بها من مأكل ومشرب وأدوات، وتطرقت أخرى إلى أعضاء الإنسان وما تعلق بحياته الاجتماعية وملبسه وزينته، كما تخصصت أخرى بالخيل والإبل والنبات والشجر.

ويمكن القول إن أول موضوع ألفت فيه الرسائل اللغوية هو الحشرات، وهذا ما ذكره محمود سليمان ياقوت في كتابه(معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث) حيث قال:"الحقيقة أن أقدم الموضوعات كان يدور حول الحشرات، وينسب إلى أبي خيرة الأعرابي الذي روى عنه أبو عمرو بن العلاء (154هـ) بداية التأليف فيه"[1].

وقد اشتملت كتب الحشرات على الزواحف والهوام، ولم تقتصر على مفهوم الحشرات السائد عندنا الآن، حتى إن أبا حاتم جعل الطير من الحشرات[2].

ويعزز هذا الرأي ما قاله أبو خيرة في تعريفه للحشرة:"حشرة الأرض: الدواب الصغار منها اليربوع والضب والقنفذ والفأر والذبابة، والجرذ والحرباء والعظاية وأم حبين والعضرفوط والطحن وسام أبرص الدساسة، وهي العنمة، والشقذان والثعلب والهر والأرنب..."[3]

وعلى هذا المفهوم، أحصى سليمان ياقوت في موضوع الحشرات مجموعة من الكتب هي:

1. النحلة لأبي عمرو الشيباني (206هـ).
2. الحيوان والبازي والحمام والحيات والعقارب لأبي عبيدة (210هـ).

---

[1] ـ محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002، ص52

[2] ـ نفسه، ص52.

[3] ـ ابن سيده، المخصص، ج8، ص91.

3. النحلة للأصمعي (213هـ).
4. الذباب لابن الأعرابي (213هـ).
5. الجراد والطير لأحمد بن حاتم (231هـ).
6. الجراد والحشرات والنحل والعسل والطير لأبي حاتم السجستاني (255هـ)
7. الحشرات لأبي الأعلى هشام بن إبراهيم الكرماني أحد تلاميذ الأصمعي.
8. النحل لأبي عبد الله الزبير بن بكار (256هـ).
9. النعم والبهائم والوحوش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض وينسب إلى ابن قتيبة (270هـ)[1].

يمكننا القول إن الرسائل اللغوية التي ألفت في أصناف محددة من الأشياء والأحياء "ككتاب النبات والشجر" لأبي سعيد الأصمعي، و"كتاب النبات" لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت. 282هـ/895م). وهذا الكتاب ليس مجرد رسالة في صفات النبات وأسماء أعيانه بل هو موسوعة في حوالي ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة، واثنان في مصطلحات النبات خاصة، مرتبة على حروف المعجم[2]، كما أن للأصمعي كتبا أخرى مثل "كتاب الخيل" و"كتاب الإبل"، قال الأصمعي في كتاب النبات والشجر: "والمرخ والعفار شجر كثير النار، يتخذ منه الزناد، ومثل من الأمثال: في كل شجر نار، واستمجد المرخ العفار، والأثل، يقال: ما نبت منه في الجبال فهو نضار. والأثاب شجر يشبه الأثل، والطرفاء واحدتها طرفة. والحلفاء واحدتها حلفة..."[3]

---

[1] ـ محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص52-53.

[2]ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص26.

[3]. الأصمعي عبد الملك بن قريب، كتاب النبات والشجر، بيروت، 1809، ص56.

وكان للأصمعي مؤلفات متعددة في هذا النوع من التأليف، وهي: الإبل، الخيل، خلق الإنسان، الأنواء، والنبات. ونجده في رسالة النبات قد أدرج فيها كل ما يتعلق بالنبات بداية من الأرض التي تنبت فيها النباتات، ثم ذكر أسماء النباتات بحسب أنواعها، ثم يذكر الشجر وأماكن نموها، أما اللغة التي استعملها فلم تكن علمية خالصة، ولم تخل من أساليب البلاغية، كما اعتمد على الشواهد الشعرية في شرحه لبعض ما جاء في رسالته[1].

وقد دون الأصمعي في رسالته (كتاب النبات)، ما يقارب ثلاثمائة اسم من أسماء النباتات العربية، إلا أن الأصمعي أغفل تعريف معظم المفردات التي أوردها في كتابه، لأن غايته كانت جمع مفردات تدل على النبات. "وقد غلبت عليه في ذلك الجمع ثلاثة اهتمامات بارزة: أولها هو التعريف اللغوي بالأرض المنبتة، وثانيها التفريق بين النبات والشجر، وثالثها التوزيع الجغرافي لبعض أنواع النبات"[2].

وخلال هذه الفترة برز مؤلف جليل القدر في صفات النبات وأسماء الأعيان، وهو (كتاب النبات) لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (282هـ). والكتاب عبارة عن موسوعة في ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة، واثنان في مصطلحات النبات خاصة، مرتبة على حروف المعجم[3].

وقد تميز الدينوري في تأليف كتابه عن سابقيه من المؤلفين في مسألة الترتيب، ففي حين كانت المؤلفات السابقة في معظمها غير خاضعة لترتيب معين، اعتمد أبو حنيفة على نوعين

---

[1] ـ محمد الفجر، مراحل ظهور المعجم العربي المختص، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد 85 الجزء2، ص510.

[2] ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص26.

[3] ـ نفسه، ص26.

من الترتيب: أولهما هو الترتيب الموضوعي، على منهج أبو عبيد الهروي في الغريب المصنف، فقسم المؤلف الأجزاء الأربعة الأولى من كتابه إلى أبواب مستقلة، وخص بكل باب موضوعا مستقلا من مواضيع النبات وما يتصل به[1].

كما تميز كذلك وظهر مظهر التجديد في كتاب النبات لأبي حنيفة في اعتماده على التعريف العلمي. فتعريف أسماء أعيان النبات في كتاب النبات يختلف بشكل كلي عن التعريف في معجم الخليل بن أحمد في (كتاب العين)، وكتاب أبي عمرو الشيباني (كتاب الجيم)، ومعجم الهروي (الغريب المصنف)، فهؤلاء كلهم اعتمدوا على التعريف اللغوي العام. أما أبو حنيفة فقد انتقل من التعريف اللغوي إلى تعريف آخر يعرف عند المحدثين بالتعريف المنطقي. وهو تعريف موسوعي يتخذ لتعريف الأشياء خاصة، وهذا النوع من التعريف هو الغالب في المعاجم العلمية المتخصصة[2].

وقد عرف قدر كتاب النبات للدينوري علماء العربية، وأثنوا عليه، فهو كتاب فريد في بابه، مزج فيه مؤلفه بين الجانب اللغوي والجانب العلمي في شرحه لمادة كتابه، ولابن النديم قول في الكتاب هو:"كتاب النبات يفضله العلماء في تأليفه"[3]، كما أثنى عليه ياقوت الحموي بقوله:"كتاب النبات لم يصنف في معناه مثله"[4].

---

[1] ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص27.

[2] ـ ـ نفسه، ص29.

[3] ـ ابن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق، كتاب الفهرست، ج1، ت أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009، ص238.

[4] ـ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص260.

ونجد ثناء على كتاب النبات حتى من المحدثين، فقد جاء وصفه عند أحمد عيسى[1]قائلا:"استقصى أبو حنيفة في كتابه النبات ما نطقت به ألسنة العرب من أسماء النبات سواء ما يختص منها بنص اللغة أو بالنبات من جهة شرحه شرحا علميا بعد معاينة النبات في أماكنه وملاحظته بنفسه، وزاد كثيرا فيما وجده من النبات على من تقدمه من الباحثين"[2]. ونفهم من هذا أن الدينوري قد اعتمد منهج العشابين والعطارين في كتابه وهو المشاهدة والمعاينة، ولم يكتف بنقل ما وجده في كتب سابقيه، بل عمد إلى وصف النبات معاينة، وهذا ما أضفى على معجمه صبغة علمية ودقة ملاحظة.

ولعل أقوى ما قيل في كتاب النبات للدينوري ما جاء في لسان العرب في حرف صعقل قال: قال ابن بري: رأيت بخط أبي سهل الهروي على حاشية كتابه: جاء على فعلول صعقوق وصعقول لضرب من الكمأة، قال ابن بري في أثناء كلامه: أما الصعقول لضرب من الكمأة، فليس بمعروف ولو كان معروفا لذكره أبو حنيفة في كتاب النبات[3].وهذه شهادة تدل على قدر وقيمة كتاب النبات لأبي حنيفة عند علماء العربية. حتى صار هذا الكتاب عمدة في بابه، ينهل منه علماء اللغة والطب والأعشاب. فنجد نقولا كثيرة من كتاب النبات في أشهر كتب اللغة، كالجمهرة لابن دريد، والتهذيب للأزهري، وكتاب النبات والشجر لابن خالويه، والصحاح للجوهري، والمحكم والمخصص لابن سيده، والعباب للصاغي، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وتاج العروس للزبيدي...[4]

---

[1] ـ أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص35.

[2] ـ أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، ص35.

[3] ـ ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج8، حرف الصاد.

[4] ـ أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، ص36.

اتبع الدينوري في مؤلفه منهجا لم يكن متبعا عند من سبقوه في هذا المجال، فالكتاب الذي ألفه يمكن اعتباره أقرب إلى المعجم اللغوي العام منه إلى الرسائل المتخصصة، فقد اعتمد في مصادره على الرواة الأعراب وعلماء اللغة، كما اعتمد على الشواهد اللغوية من الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وبقيت جهود التأليف في هذا المجال تتطور وتنمو، سواء من حيث المنهج أو من حيث المادة المعالجة، فانتقلت الرسائل اللغوية من المادة المفردة والنوع الواحد ككتاب الإبل، والنخل والخيل للأصمعي مثلا إلى الغريب المصنف للقاسم ابن معن الكوفي (224هـ)، والصفات للنضر بن شميل، والغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني (206هـ)، والصفات لقطرب، والصفات للأصمعي[1].

ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة جمع الرسائل، حيث انتقل التأليف في معاجم المعاني، وهي في حقيقتها اعتمدت على الرسائل اللغوية التي ألفت في مواضيع مفردة، ومسائل محددة. وهذه مرحلة متقدمة من مراحل تشكل المعجم العربي، حيث بدأت بوادره تظهر بشكل جلي، والالتزام بالمنهج المتبع في صناعة المعجم بدأ يترسخ.

والتأليف في الرسائل اللغوية على الموضوعات في مجمله خضع للبيئة التي كان العرب يعيشون فيها، فكما بدأ التأليف في الغريبين لحاجة الناس إلى فهم الدين، وصون النصوص الشرعية من التحريف، وحفظها من التأويل الخاطئ، كانت الدعوة إلى التأليف فيصفات النبات

---

[1] ـ محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث هجري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط1، 1980، ص225

والحيوان ملحة، فالإنسان ابن بيئته، ولضعفه وحاجته للمأكل والمشرب والمركب تجده لصيقا بما يوفر له تلك الحاجات ومهتما بها أشد اهتمام، ومعتنيا بها أيما عناية.

ومعروف أن العرب كانت تعتمد على الإبل في ركوبها وغذائها ولباسها وحتى مسكنها، فكان للناقة شأن كبير عندهم، لهذا نجد ذكرها في القرآن الكريم لم يكن اعتباطا، فهي آية من آيات الله والعرب تدرك ذلك وتفهمه، كما كان للإبل حظ وافر في شعر العرب الجاهلي والإسلامي.

وانتقل هذا الاهتمام إلى عصر التدوين، وكانت الناقة من أول ما اهتم اللغويون العرب بالكتابة عنه، وذكر صفاتها وكل ما تعلق بها.

وذكر أصحاب التراجم أن أول من كتب في الإبل النضر بن شميل (204هـ)، والذي أفرد لها الجزء الثالث من كتابه (الصفات) الذي كان في خمسة أجزاء، فقدت كلها[1].

كما فقد ما ألفه أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (كتاب الإبل)، وكتاب أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، وقد اعتمد الجوهري في صحاحه على هذا الأخير وجعله من مصادره، فقد جاء في مادة (عمثل): قال أبو زيد في كتاب الإبل: العميثلة: الناقة الجسيمة. وتلقاه محمد بن خير بثلاث طرق عن أبي علي القالي، الذي أخذه عن ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني عن المؤلف[2].

وقد نسب القدماء إلى أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (216هـ) كتابا عن الإبل[3]. وعثر أوغست هفنر على كتابين منسوبين إلى الأصمعي باسم (كتاب الإبل)، فحققهما ونشرهما

---

[1] ـ حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص10.

[2] ـ ح نفسه، ص10.

[3] ـ ابن النديم، الفهرست، ص82.

في مجموعته (الكنز اللغوي في اللسان العربي) عام 1903م.وقد عثر على عدة نسخ من أحد الكتابين، والذي يثبت نسبته إلى الأصمعي ما أعلن في مطلعه أن عبد الرحمان بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي أخذه عن عمه قراءة عليه[1].

وعدد صفحات الكتاب واحد وعشون صفحة، من 137 إلى 157 من صفحات المجموعة ، أما الفصل الأول منه فلا عنوان له، وهو من تسع صفحات. أما الفصل الثاني فيشغل نحو ثلاث صفحات، وعنوانه (سير الإبل). أما ثالث الفصول فعن (ألوان الإبل)، وهو من صفحتين، ولم يعتمد فيه ترتيبا معينا وهو ما فعله في الفصل الثانيسوى بعض المواضع الجزئية التي يتيسر له فيها ذلك. أما الفصل الرابع فعنونه بـ(أسماء الأظماء)، ويشغل نحو صفحتين. وبدأه بتعريف الظِّمْء؛ وهو استراحة الشارب مابين الشَّربتين، ثم التزم الترتيب التصاعدي التزاما تاما، فكان أحسن الفصول تنظيما وعدم استطراد.والفصل الخامس، من أربع صفحات خصصه لأدواء الإبل، ولم يتضح له ترتيب معين. أما آخر الفصول وهو في نصف صفحة، وخصصه لأسماء عدد الإبل، والتزم فيه ترتيبا تصاعديا لم يحد عنه[2].

بعد أن أسهب اللغويون في التأليف عن الإبل وما يتعلق بها، ألفوا كذلك في الخيل، ويأتي الخيل في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في حياة العرب بعد الإبل، كما أنها ذكرت في القرآن الكريم. ومن أوائل من ألف في الخيل أبو عبيدة، وتكلم في بداية كتابه عن العلاقة بين العربي وفرسه فقال:"لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها ولا تكرمه، صيانتها الخيل وإكرامها لها، لما كان لهم من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم، حتى كان الرجل من

---

[1]. أوقست هفنر، الكنز الغوي في اللسان العربي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1903، ص 137 وما بعدها، وانظر حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص10-11.

[2]. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص11-12-13

العرب ليبيت طاويا، ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقيه المحض، ويشربون الماء القراح، ويعير بعضهم بعضا بإذالة (إهانة) الخيل وهزالها وسوء صيانتها، ويذكرون ذلك في أشعارهم..."[1].

ويشير حسين نصار إلى أن أول من ألف في الخيل أبو مالك عمرو بن كركرة من أساتذة الخليل. ثم ألف النضر بن شميل كتابه (الخيل أو خلق الفرس)، وأبو منذر بن هشام محمد الكلبي(204 أو 206هـ) وأبو عمرو الشيباني (206هـ) وقطرب (206هـ) وأبوعبيدة (210هـ) والأصمعي،وعلي بن عبيدة الريحاني(219هـ)، والمدائي (225هـ)، ومحمد بن عبد الله العتبي(228هـ)، وابن الأعرابي(231هـ)، وأبو نصر أحمد بن حاتم(231هـ) وعمرو بن أبي عمرو الشيباني(231هـ) ولتوزي(233هـ) وهشام بن إبراهيم الكرنبائي تلميذ الأصمعي ومحمد بن حبيب(245هـ) وأبو محلم الشيباني (245هـ) وأبو عكرمة عامر بن عمران الضبي(245هـ) وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي(257هـ) وأبو محمد ثابت بن أبي ثابت، وابن قتيبة (276هـ)، وأحمد بن أبي طاهر(280هـ)[2].هذه جمهرة ممن ألفوا في الخيل في القرن الثالث الهجري.

أما ممن توفي في القرن الرابع وألف في الخيل فنجد: أبا محمد قاسم بن محمد الأنباري(304هـ)، وأبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج(310)، والحسن بن عبد الله لُكدة، وأبا عبد الله محمد بن العباس اليزدي(340)، وابن دريد(321هـ)، وأبا الطيب محمد بن أحمد الوشاء(325هـ)، وأبا بكر محمد بن القاسم الأنباري(328)، وأبا علي القالي(352هـ)، والحسين بن علي النمري(385هـ).

---

[1] ـ حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص10.

[2] ـ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص102-103.

ومن أهل القرن الخامس ألف يوسف بن عبد الله الزجاج(415هـ)، والحسن بن أحمد العرابي الغندجاني(عاش في 428هـ)، ومن أهل القرن السابع علي اللخمي(616هـ)، ومحمد بن رضوان النميري(657هـ)[1].

يدل هذا التأليف الجم في الخيل على أهمية هذا المخلوق ومكانته عند العرب عامتهم وخاصتهم. وما زاد من الرغبة في التأليف في الخيل ـ زيادة على مكانتها في الجاهلية ـ الحروب والفتوحات الإسلامية، والحروب الصليبية والأندلسية. فبعدما اقتصر التأليف على التعريف بالخيل وما تعلق بها، انتقل إلى إذكاء روح الحماسة في نفوس الناس.

أما تقسيم المؤلفين لكتبهم فكان تقسيما موضوعيا، فنجد بابا لأعضاء الخيل، وآخر لما يستحب فيها وآخر لما يكره... ونجد أن من ألف في الخيل انتهج طريق من ألف في الحشرات، حيث كان الاهتمام باتساع المادة أوقلتها، وفي كيفية علاجها لا ترتيبها[2]. وهذا يدلنا على أن الترتيب في كتب المعاني لم يكن من اهتمام المؤلفين بقدر ما كان تركيزهم على جمع المادة ومعالجتها. لهذا نجد الكثير من المؤلفات لم يكن لهم طريقة ترتيب واضحة، أو أن أصحابها يخلطون بين عدة طرق للترتيب. وهذا بديهي في مرحلة بدايات التأليف.

ومن المؤلفات في الخيل التي وصلت إلينااثنان، أحدهما للأصمعي والآخر لأبي عبيدة، وعنوانهما (الخيل). واتسم الكتابان بالمعالجة المعجمية للألفاظ المتعلقة بالخيل، إلا أنه غلبت

---

[1] ـ حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص103.

[2] نفسه، ص103.

على أبي عبيدة النزعة الأدبية، والدليل على ذلك ما أورده في آخر كتابه ما قالت العرب حول الخيل[1]. وهو فصلفي أشعار وقصائد قيلت في الخيل ووصفها.

واتسم كتاب الأصمعي بالاختصار مقارنة بكتاب أبي عبيدة. ولم يقف الاختلاف بين الكتابين عند الحجم، بل نجد أن أبا عبيدة استهل كتابه بمقدمة، تحدث فيها عن صيانة العرب للخيل وإيثارهم لها، وما قيل فيها من أشعار، وما ورد في القرآن عن فضلها، وما ذكر في الحديث الشريف والآثار عنها. أما الأصمعي فلم يأت بمقدمة لكتابه. فيبدأ كتابه بعد البسملة بـ " كل ذات حافر: أجود وقت الحمل عليها بعد نتاجها بسبعة أيام، وحينئذ تكون فريشا، والجمع الفرائش"[2].

وتحدث اللغويان في كتابيهما عن كل تفاصيل الخيل، وما تعلق بها، من أعضائها، فحولها وإناثها، وحال أولادها إلى أن تنتهي أسنانها. كما تحدثا عن أمراضها وعيوبها، ومن ذلك قول أبي عبيدة عن الأذن:" كل ما قطع من الآذان فهو جدع، فإذا قطع أطراف الأذنين ما بينهما وبين أن يبلغ القطع ربع الأذن فهي قصواء، فإذا جاوز القطع الربع فهي عضباء، ما بقي من الأذن شيء حتى تصطلم فإذا اصطلمت فهي صلماء"[3]. وهذا يظهر مدى دقة الوصف وسعة الاطلاع على كل ما يعتري الخيل من عيب في أحد أجزائه.

وتطرق الكاتبان إلى ألوان الخيل، وصفة مشيها وعدوها، كما تحدثا عن الصفات المستحبة في الخيل والصفات المكروهة فيها.

---

[1] ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى، كتاب الخيل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، 1358هـ، ص 136-173.

[2] ـ الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب، كتاب الخيل، تحقيق نوري حمودي القيسي، مطبعة الحكومة بغداد، 1970م، ص351.

[3] ـ أبو عبيدة، الخيل، ص193.

وتميز القرن الثاني للهجرة بانتشار هذا النوع من التأليف (معاجم الموضوع الواحد). ولم يقتصر التأليف على الحيوان والنبات والأشياء، كالخيل، والإبل، والمطر، والحشرات...بل ألف الكثير من علماء اللغة في الإنسان وما تعلق به، فردا كان أو جماعة.

وأولكتاب في خلق الإنسان كان من تأليف الأصمعي، وهو كتاب يحتوي على جل ما يتعلق بالإنسان من الحمل والولادة، أعمار الإنسان، وأسماء الجماعات، جسم الإنسان وتسمية كل أعضائه: الرأس، العنق، الكتف، الظهر، القلب، الصدر، البطن، اليد، الرجل، أعضاء التناسل عند الرجل والمرأة[1].والملاحظ أن الأصمعي لم يترك شاردة ولا واردة عن جسم الإنسان إلا ذكرها ـ في حدود إمكانيات ذلك العصر ـ وكان كتابه شاملا متكاملا.

قام الأصمعي بوصف دقيق لجسم الإنسان من الخارج ومن الداخل، كما أشار إلى وظائف هذه الأعضاء وأدق خصائصها ولم يهمل حتى عيوبها وما يطرأ عليها من أمراض وطرق علاجها.

ويعتبر كتاب الأصمعي ـ زيادة على ريادته في مجاله ـ مصدرا مهما من المصادر التي اعتمدها العلماء الذين ألفوا في موضوع الإنسان.

وقد أشار يسري عبد الغني إلى أن معظم ما كتبه ابن سيده في المخصص مأخوذ من كتب الأصمعي ككل[2].ويمكننا القول إن هذا الكلام ليس دقيقا، فمصادر المخصص تنوعت ولم يقتصر على كتب الأصمعي فقط. إلا إذا كان القصد هو أن ابن سيده قد اعتمد بشكل كبير على كتب الأصمعي فيما تعلق بالخيل والإبل والسلاح، فالقول بهذا لا يجانب الصواب[3].

---

[1] ـ يسري عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ص62

[2]. ـ حسين نصار، معاجم على الموضوعات، ص63.

[3] ـ ابن سيده، المخصص، ج1، ص11.

كما اعتمد ثابت بن أبي ثابت (276هـ) في كتابه خلق الإنسان اعتمادا واضحا على كتاب الأصمعي، ويظهر هذا من خلال المقارنة بين الكتابين، وملاحظة الشبه الكبير الذي بينهما، لكن ابن ثابت لم يشر في كتابه إلى ما أخذه عن كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي.

غير أن هذا لا يبخس حق ابن ثابت فيما جاء به من جديد في كتابه، سواء في المنهج أو المحتوى وتمثلفي:

ـ التنسيق والتبويب.

ـ إغناء البحث من حيث كثرة الشواهد ومناقشتها.

ـ إيراد آراء علماء اللغة والصرف والنحو في الألفاظ التي يوردها.

وهذا ما لم يفعله الأصمعي الذي اهتم بالمعنى أكثر من أي شيء آخر[1].

ويعتبر منهج ثابت قفزة نوعية في مجال التأليف المعجمي، وإضافة مهمة إذا ما قارناه بالجهد الذي بذله الأصمعي في كتابه. وهذا تطور طبيعي بحم التجربة وتراكم الأفكار.

ولم يقف التطور في المنهج عند ثابت، حيث نجد الزجاجي (311هـ) ـ رغم اعتماده على كتابي الأصمعي وثابت ـ إلا أنه تفرد بوضع باب لكل عضو من أعضاء الإنسان وباب لصفاتها[2].

ولابن فارس اللغوي (395هـ)، رسالة بعنوان (مقالة في أعضاء الإنسان)، وتميزت هذه الرسالة بصغر حجمها، إذ لم يزد عدد أوراقها عن عشر ورقات. وغلب على الرسالة الطابع الطبي،

---

[1] ـ يسري عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ص63.

[2] ـ نفسه، ص63.

زيادة على وصف أعضاء الإنسان وأسمائها.والملاحظ أن الرسالة قد خلت من الشواهد والاستطراد اللغوي أو أي اسم لغوي آخر، وربما يرجع هذا إلى الاختصار الشديد الذي أخذ به نفسه[1].

ونجد ممن ألف في الإنسان ممن توفوا في القرن الخامس الهجري، الإسكافي محمد بن عبد الله الخطيب (421هـ). الذي ألفكتابه (خلق الإنسان). ويستهل كتابه بمرحلة ولادة الولد ثم تسميته في مراحل الطفولة المبكرة، ويتابع سلسلة أسماء الإنسان مع تدرجه في السن ونموه، ويقف عند مرحلة الشيب وقفة لغوية[2].

وقد تميز الإسكافي عن سابقيه بعدة أمور أوجزها يسري عبد الغني فيما يلي:

ـ ذكر مرادف اللفظ أو الشرح التفصيلي.

ـ إيراد أسماء العضو المتحدث عنه أولا.

ـ إتباع ذلك بذكر الحديث عنه من الناحية التشريحية، وصفاته وأحيانا عيوبه.

ـ إعطاء إشارات لغوية مهمة.

ويلاحظ على عمله أنه خال من الشواهد، وكان يورد دلالة اللفظ عند اللغويينأحيانا[3].

---

[1] ـ يسري عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، ص65.

[2] ـ نفسه ، ص65.

[3]. ـ نفسه، ص66.

المبحث الرابع:معاجم الموضوعات

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة كتب المعاجم، أو معاجم الموضوعات، كالغريب المصنف لابن سلام وكتاب الألفاظ لابن السكيت وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، وأدب الكاتب لابن قتيبة.

توصف معاجم الموضوعات بأنها جملة من المعاجم الفنية التي نهضت على أساس فكرة الرسائل اللغوية القديمة التي يختص كل منها بألفاظ موضوع فرعي ما. وقد ألف في هذا النمط نفر غير قليل من أئمة اللغة القدامى قبل أن يعكفوا على دراسة متن معاجم الموضوعات الموسعة، ومن هؤلاء: الكسائي (200هـ)، والنضر بن خليل(205هـ) وقطرب(206هـ)، وأبو عبيدة بن المثنى والأصمعي، والهروي، وابن السكيت (244هـ)[1].

وتطور هذا النمط بعد ذلك إلى ما يسمى بمعاجم الموضوعات، وهي معاجم موسوعية جمعت فيها ألفاظ الحياة العامة ومواصفاتها الفنية بتبويب رسائلي خاص، وبتصنيف خاص لكل موضوع تبعا لتعريفاته[2].

فمعاجم المعاني إذا هي عبارة عن تجميع للرسائل اللغوية التي ألفها اللغويون قبل هذه الفترة.

ومن خصائص معاجم الموضوعات التي ألفت في هذه الفترة الشمولية والإحاطة بالموضوع نفسه، ومثال على ذلك معجم (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام، الذي اعتمد على

---

[1] ـ جواد حسني سماعنة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات وتأثيرها في المعاجم المصطلحية اللاحقة، مجلة اللسان العربي، عدد 53، 2002، ص145.

[2] ـ نفسه، ص145.

أسلوب الرواية في تأليفه، فجمع مرويات أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وغيرهم، كما أخذ رسائلهم اللغوية وضمها إلى معجمه. والأمر نفسه في (كتاب الألفاظ) لابن السكيت[1].

لكن هذا لا يعني أن تأليف الرسائل حسب الموضوعات قد توقف بعد ظهور المدونات الكبرى الشاملة، بل ظل ذلك موجودا بجانبها[2].

وقد اتسم هذا النوع من المعاجم بعدم ترتيبها ترتيبا معينا، والقاسم المشترك بين مادتها هو الحقل الدلالي المعين الذي تنتسب إليه والذي يلخصه عنوان الفصل أو الباب. ولهذا السبب يرى الودغيري أن إطلاق صفة "معجم" عليها هو من باب التجوز، لأن من خصائص المعجم الدقة في الترتيب، والتيسير على طالب المادة، وهما أمران لا يتحققان في هذا الاتجاه[3].

وقد صنفت معاجم الموضوعات كنوع من المعاجم المختصة، وهذا القول الذي قال به جواد حسني سماعنة حيث قال:" لقد أمدنا التراث اللغوي العربي بمعجمين أساسيين هما: المعجم العام والمعجم المختص". ثم قام بذكر مجموعة من أنماط التأليف المعجمي وأدرجها في خانة المعجم المختص وهي:

ـ معاجم الموضوعات العامة.

ـ المعاجم الموسوعية الاصطلاحية، مثل: مفاتيح العلوم للخوارزمي(380هـ)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

---

[1] ـ محمد سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص16.

[2] ـ عبد العلي الودغيري، المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعرفة للنشر والتوزيع الرباط، ط1، 1984، ص71.

[3] ـ نفسه، ص71.

ـ المعاجم الفنية المختصة. مثال: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية للرازي(322هـ)

ـ المعاجم العلمية المختصة. معاجم علمية محضة مثال: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار(646هـ). ومؤلفات ذات طابع معجمي مثال: المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس (687هـ). والقانون في الطب لابن سينا[1].

وأهم ما ألف في هذا النوع (الغريب المصنف) لأبي عبيد (223هـ أو 224هـ)، اشتغل فيه بالحديث والأدب والفقه، وقد أخذ عن الكسائي والفراء وأبي محمد اليزيدي وأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وغيرهم.

بدأ أبو عبيد معجمه بالحديث عن خلق الإنسان، وهذا موضوع سبقه إليه غيره وكتب فيه معاصروه وحتى تلامذته. غير أنه لم يقتصر على وصف أعضاء الإنسان وتشريحها، بل تطرق إلى الصفات الخُلقية وما يعتري النفس البشرية كالجبن وضعف القلب، والأخلاق المحمودة في الناس، والأخلاق المذمومة، والشجاعة وشدة البأس...

ولأبي عبيد مجموعة من المؤلفات نذكر منها: (كتاب الأجناس)، وهو كتاب في المشترك اللفظي، وكتاب الأموال وقد قسمه إلى مواضيع سمى كل واحد منها كتابا وهي: كتاب الفيء ووجوهه وسبله، كتاب سنن الفيء والخمس والصدقة، كتاب نتوج الأرض صلحا وسننها وأحكامها، كتاب افتتاح الأرض صلحا وأحكامها، وهي من الفيء ولا تكون غنيمة، كتاب مخارج

---

[1] ـ جواد حسني سماعنة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات وتأثيرها في المعاجم المصطلحية اللاحقة، ص145.

الفيء ومواضعه التي يصرف إليها ويجعل فيها، كتاب أحكام الأرضين في أقطاعها وأحيائها وحماها ومياهها، كتاب الخمس وأحكامه وسننه، كتاب الصدقة وأحكامها وسننها[1].

والكتاب الثالث هو (كتاب الأمثال)، كما أن له كتابا في لغات قبائل العربية موسوما بـ (ماورد في القرآن الكريم من لغات قبائل العربية)، وهي رسالة صغيرة في ألفاظ القرآن الكريم التي تنسب إلى بعض القبائل العربية. ولأبي عبيد كتاب في (غريب الحديث)، ت محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، 1964.

وله مؤلف بعنوان (آداب الإسلام)وكتاب (أدب القاضي)، و (استدراك الغلط)، وكتاب (أنساب الخيل) ذكره الزبيدي ضمن مصادره في تاج العروس، كتاب (الأيمان والنذور)، كتاب (الحجر والتفليس)، وكتاب (الحيض)[2]... ومؤلفات أخرى كثيرة ذكرها رمضان عبد التواب في تحقيقه لكتاب (الغريب المصنف).

ومن أشهر كتب أبي عبيدـ والذي هو محل الشاهد في هذا المحور ـ (الغريب المصنف)، وهذه التسمية الشائعة للكتاب، غير أن الأزهري انفرد بتسميته (الغريب المؤلف)[3]. وقد أثنى الأزهري على كتاب أبي عبيدقال:"وأخبرني أبو بكر الإيادي عن شمرأنه قال: ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد، واختلفت أنا إلى الإيادي في سماعه سنتين وزيادة"[4]. كما أن الوقت الذي صرفه مؤلف المصنف في تصنيف كتابه دامأربعين سنة، ينبئنا بالجهد المضني الذي بذله في

---

[1] ـ أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفق، المكتبة التجارية الكبرى، 2000، فهرس الكتاب.

[2] ـ انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الغريب المصنف ج1، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1989م، ص 40إلى56.

[3] ـ الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص19. ج1، ص37.

[4] ـ نفسه، ص20.

تأليفه، حيث قال:"مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أتلقف ما فيه من أفواه الرجال، فإذا سمعت حرفا عرفت له موقعا في الكتاب بِتُّ تلك الليلة فرحا، وأقبل على الجماعة، فقال: أحدكم يستكثر أن يسمعه مني في سبعة أشهر"[1] وتروي بعض المصادر هذا القول لأبي عبيد على أنه قاله في كتابه (غريب الحديث)والظاهر أن هذا الخبر يناسب (الغريب المصنف) أكثر من مناسبته (غريب الحديث)، وهذا لصعوبة المنهج الذي اتبعه في تصنيف الأول مقارنة بالمنهج المتبع في الثاني.

واكتسب (الغريب المصنف) قيمته وأهميته من المصادر التي أخذ عنهارواية مباشرة عن أفذاذ علماء اللغة نذكر منهم: الأصمعي (216هـ) وهو من شيوخ أبي عبيد ـ أبا زيد الأنصاري (214هـ) ـ أبا عمرو الشيباني (206هـ) ـ الكسائي (189هـ) ـ الفراء (207هـ)، الأموي ـ أبا عبيدة التيمي (210) ـ الأحمر (194هـ) ـ اليزيدي (202هـ) ـ أبا زياد الكلابي ـ ابن الأعرابي (231هـ) ـ ابن الكلبي (204هـ)...[2]

كما نجد أن ابن السكيت قد سلك مسلك أبي عبيد في تأليفه لكتاب (الألفاظ). وله مجموعة متنوعة من المصنفات اللغوية ذكرها ابن النديم وهي:" كتاب الألفاظ، كتاب إصلاح المنطق، كتاب الأمثال، كتاب القلب والإبدال، كتاب الزبرجد، كتاب البحث، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الأجناس، كتاب الفرق، كتاب السرج واللجام، كتاب فعل وأفعل، كتاب الأضداد، كتاب النبت والشجر، كتاب الإبل، كتاب النوادر، كتاب معاني الشعر الكبير،

---

[1] أبو عبيدالقاسم بن سلام، الغريب المصنف ج1، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1989 ص50.1

[2] ـ نفسه، ص من 69 إلى 103.

كتاب معاني الشعر الصغير، كتاب المثنى المبني والمكنى، كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه، كتاب الأيام والليالي"[1].

يدل تنوع العناوين التي ألفها ابن السكيت على موسوعية الرجل، وتنوع اهتماماته، غيرأن معظم هذه المؤلفات قد فقدت، ولم يصل إلينا إلا بعضها.

وقد قسم ابن السكيت معجمه (الألفاظ) إلى مائة وثمانية وأربعين بابا نذكر منها:

ـ باب الغنى والخصب ـ باب الفقر والجدب ـ باب الجماعة ـ بابا الاجتماع ـ باب التفرق ـ باب الشح ـ باب الشجاعة ـ باب الجبن وضعف القلب ـ باب الألوان ـ باب صفات النساء ـ باب العجائز ـ باب التضييع والإهمال ـ باب صفة المتسلح ـ باب ما تكلمت به العرب من الكلام المهموز ـ باب المرض ـ باب الحمى ـ باب الرمي ـ باب الهزال ـ باب الأصل والكرم...

ومن خلال الاطلاع على هذا التنوع في أبواب الكتاب، تتبين لنا قيمته وغناه، كما يظهر لنا جليا الكم الهائل من الألفاظ العربية التي جمعت بين دفتيه. ولم يتميز ابن السكيت وأبو عبيدة في معجميهما بوفرة المادة العلمية فقط، بل كان التميز على مستوى المنهج الذي اتبعاه في ترتيب الألفاظ على أساس الموضوع. ولو أنهما لم يصرحا بسبب اختيارهما لهذا المنهج كما فعل الخليل في العين الذي اتبع المنهج الصوتي في ترتيب معجمه.

---

[1]ـابن النديم (المتوفى: 438هـ)، الفهرست، تإبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية 1417 هـ – 1997 مـ، ص 99. وانظر محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات، ص128

ويمكن القول إن المنهج الموضوعي الذي اتبعه ابن السكيت وأبو عبيد، هو امتداد للمنهج الذي سار عليه واضعو الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد.

وتكمن أهمية المعجمين أنهما ألفا في المرحلة التي تسبق مرحلة ازدهار وضع المعاجم وهي فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين، حيث اعتمد عليهما واضعو المعاجم اعتمادا كبيرا. فنجدابن سيده مثلا في مخصصه يرجع إلى أبي عبيد في مواضع كثيرة في مادة معجمه، وحتى المنهج الذي اتبعه ابن سيده يوحي بأن لأبي عبيد الفضل الكبير في تحديد معالمه.

ومما زاد من أهمية هذين المعجمين ورفع من قيمتهما العلمية، أن أبا عبيد وابن السكيت قد جمعا مرويات تحتوي شروحا معجمية للألفاظ تنسب إلى أهم اللغويين والرواة، وعلى رأسهم الكسائي وأبو عمرو بن العلاء وأبو عمرو الشيباني والفراء، بالإضافة إلى الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد، وفصحاء العرب كأبي الجراح والعقلي، وأبي محمد الفقعسي وأبي هرمز والغنوي وسواهم[1]. والمؤكد أن أي كتاب يكتسب قيمته من قيمة المصادر التي اعتمدها.

ومن أشهر من ألف في معاجم الموضوعات أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (429هـ)، وله مصنفات كثيرة منها: (سحر البلاغة وسر البراعة)وكتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، كتاب (المقصور والممدود)، كتاب (فقه اللغة وسر العربية)...

---

[1] ـ محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات، ص145.

وأشهر كتبه كتاب (فقه اللغة وسر العربية) وهو معجم في الموضوعات، أو المعاني. والكتاب كما يدل عليه عنوانه مقسم إلى قسمين، الأول منه وهو (فقه اللغة)، وهو القسم الأكبر وهو ما ينطبق عليه وصف معجم الموضوعات[1]، أي رتبت فيه مادته على أساس الموضوعات.

والقسم الثاني من الكتاب وهو ما سماه بـ (سر العربية) تطرق فيه إلى المباحث النحوية والصرفية والبلاغية ومباحث في فقه اللغة من اشتراك وترادف وتضاد. وهذا الجزء لا يعنينا في هذه الدراسة، فهو خارج عن مجال المعاجم.

وحقيقة الأمر كما أشار يحيى مراد في تقديمه للكتاب أن:" كتب الطبقات تجعل (فقه اللغة) كتابا، و(سر العربية) كتابا آخر، ولكن الناسخين والوراقين قديما وأصحاب المطابع حديثا جمعوا الكتابين معا بين دفتين وأطلقوا عليهما ترجمة واحدة هي (فقها اللغة وسر العربية)"[2].

قسم الثعالبي كتاب (فقه اللغة) إلى ثلاثين بابا مقسمة إلى ما يقرب من ستمائة فصل إذ يقول:"وتقرير الأبواب فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستمائة فصل"[3].

وأول باب افتتح به كتابه (في الكليات، وفيه أربعة عشر فصلا) والباب الثاني: (في التنزيل والتمثيل، وفيه خمسة فصول)، إلى أن ينتهي بالباب الثلاثين:(في فنون مختلفة الترتيب من الأسماء والأفعال والأوصاف، وفيه تسعة وعشرون فصلا)[4].

---

[1] ـ انظر: عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، 1972م، ص163.

[2] ـ الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة ت يحيى مراد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2009م، ص7.

[3] ـ الثعالبي، فقه اللغة، ص29.

[4] ينظر: نفسه، ص29-30-31.

والملاحظ من تقسيم الأبواب تفاوتها من حيث عدد الفصول، ومن حيث القصر والطول.

أما منهج الثعالبي في شرح ألفاظ كتابه، فهو يقومعلى تقديم الشرح على اللفظ دون ذكر شاهد له. وتارة أخرى يقدم اللفظ على الشرح ويذكر الشاهد.

والشواهد التي اعتمدها الثعالبي تنوعت، بين شواهد منالقرآن الكريم والحديث النبوي، وشعر وأمثال وأقوال.

أما الترتيب فقد ذكرنا آنفا أنه يقوم على الترتيب الموضوعي.

ويمكن القول إن المخصص لابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل)(458هـ)، هو تتويج لمرحلة تأليف المعاجم الموضوعية، وقد انتهج ابن سيده في كتابه المخصص على نهج كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد، حيث قسم كتابه إلى أبواب وفصول، وزاد على ما جاء به أبو عبيد من ألفاظ، كما اختلف معه في المصادر التي استقى منها مادته[1].

كما يعتبر المخصص من أغزر المعاجمفي هذا اللون من المعاجم مادة، وأغناها بالمفردات اللغوية، وزيادة على ذلك ثراؤه بالمعارف النحوية والصرفية، وهذا راجع إلى أن ابن سيده كان يبحث عن أحسن الكتب التي ألفت في موضوع كتابه، وأغزرها مادة[2].كما أن تأخر تأليفه مقارنة بمن سبقوه أعطى لصاحب المخصص فرصة للإفادة من المؤلفات السابقة والزيادة عليها.

اتبع ابن سيده في منهج ترتيب معجمه الترتيب على حسب الموضوعات، واعتمد على آلية البدء بالأعم فالأعم إلى الأخص فالأخص.

---

[1] ـ حسين نصار، المعاجم العربية، ص71.

[2] ـ انظر: نفسه، ، الصفحة نفسها.

وقسم المعجم إلى كتب اختُلف في عددها، فمنهم من عدها عشرين كتابا ومنهم من حصرها في تسعة عشر كتابا، بضمهم كتاب المثنيات إلى كتاب المكنيات والمبنيات وعدم عده كتابا منفصلا،وهذه الكتب هي:

ـ كتاب خلق الإنسانـ كتاب الغرائزـ كتاب النساءـ كتاب اللباسـ كتاب الطعامـ كتاب السلاحـ كتاب الخيلـ كتاب الإبلـ كتاب الغنمـ كتاب الوحوشـ كتاب السباعـ كتاب الحشراتـ كتاب الطيرـ كتاب الأنواءـ كتاب الدهور والأزمنة والأهويةـ كتاب النخلـ كتاب المكنيات والمبنيات والمثنياتـ كتاب المثنياتـ كتاب الأضدادـ كتاب الأفعال والمصادر[1].

وأهم ما ميز هذه الكتب هو تفاوتها في الحجم، واختلافها من حيث الطول والقصر، فكتاب الإنسان كان ضخما في ثلاثمائة صفحة، أما كتاب الأضداد فلم يزد عن عشر صفحات، وقسمت هذه الكتب إلى فروع أصغر، وسمي كل منها بابا يشتمل قضية من المسائل اللغوية المتناولة، وينطبق على هذه الأبواب من حيث تفاوتها في الحجم ما انطبق على الكتب، فنجد باب أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر، قد شغل خمسعشرة صفحة، ولم يتجاوز باب العلم بإجراء المياه وقدرها سطرا واحدا[2].

كما يظهر تأثر ابن سيده بالمنطق في الأبواب التي أدخلها في المخصص، وفي دراسته لمواده، فجعل كل كتاب منها كتابا مستقلا، وبدأه بتعريف الألفاظ العامة الشاملة، ثم بدأ بالموضوعات

---

[1] ـ حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2003، ص357.

[2] ـ انظر: أحمد فرج الربيعي، مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس هجري، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001، ص246-247.

العامة فالخاصة. وهذه البراعة في التأليف جعلت من المخصص أهم كتاب في المعاجم الموضوعية[1].

فنجده مثلا في (كتاب خلق الإنسان) يقول:"الإنسان: لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة"[2] ثم يؤكد ما ذهب إليه من قول بشواهد قرآنية وأمثلة وغيرها.

ثم قسم (كتاب خلق الإنسان) إلى أبواب موضوعية منطقية، هي:

ـ باب الحمل والولادة.

ـ أسماء ما يخرج مع الولد.

ـ الرضاع، والفطام، والغذاء، وسائر ضروب التربية.

ـ الغذاء السيء للولد.

ـ أسماء أول ولد الرجل وآخرهم.

ـ أسماء ولد الرجل في الشباب والكبر.

ـ أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر[3].

ويكمل ابن سيده على هذا المنوال في وصفه للإنسان وكل ما يتعلق به، متدرجا من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص إلى آخر باب ثم ينتقل إلى كتاب جديد.

---

[1] ـ فوزي يوسف الهابط، المعاجم العربية، ص72.

[2] . أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المخصص، ت خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م، ج 1، ص 43.

[3]ـ فوزي يوسف الهابط، المعاجم العربية، ص72.

ومن علماء شمال إفريقيا الذين ألفوا في معاجم الموضوعاتنجد أبا الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني (253هـ أو 256هـ) الذي رتبه الزبيدي في الطبقة الثانية من علماء القيروان ووصفه بأنه:"شيخ اللغة والعربية والنحو والرواية، ورئيسهم وعميدهم، والمقدم في عهده وزمانه عليهم. وكان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها"[1]. وكان من الذين شافهوا الأعراب وأخذوا عنهم مباشرة. قال الزبيدي:"وكان لقي جماعة من العلماء بالعربية والمعروفين بالرواية، منهم ابن الطرماح، وعياض بن عوانة، وأبو عبد الرحمان المقرئ الكوفي، وقتيبة النحوي، وكثير من الأعراب، منهم أبو المنيع الأعرابي.[2]"والمعروف أن المشافهة والسماع من أفواه الأعراب الفصحاء يعد من أعلى مراتب الرواية، ومن أوثق ما يروى في اللغة يكون بمشافهة الأعراب الفصحاء والسماع منهم.

وله كتب كثيرة ألفها، منها كتاب في تفسير مغازي الواقدي، وكتب تسمى كتب الألفاظ، وكتاب في اشتقاق الأسماء مما لم يأت به قطرب[3]. والذي يهمنا من كتبه هو (كتاب الألفاظ)، الذي سماه الزبيدي بكتب الألفاظ.

والظاهر من عنوان الكتاب أن محتواه هو الألفاظ اللغوية، والتي قام بترتيبها على حسب الموضوعات، سالكا بذلك طريقة ابن السكيت في كتابه الألفاظ، وكان المهري معاصرا له. وقد قسم المهري كتابه إلى أبواب حسب الحقول الدلالية فنجد (باب الجماعة، باب الكتائب، باب الفقر والجدب، باب الجماعة من الإبل...)

---

1 المعجم العربي في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديد المغرب، ط1، 2008، ص60 – 61.ـ الودغيري ،

2 ـ الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر،ط2، ص229.

3 ـ نفسه، الصفحة نفسها.

ويرى الودغيري أن كتاب الألفاظ للمهري لم ينل حظه من الشهرة ولم يشتغلوا به دراسة وحفظا وشرحا ورواية، كما فعلوا بكتاب ابن السكيت الذي انتشر ذكره حتى صار من المدونات التي لا غنى عنها لدارس اللغة في المناهج التعليمية القديمة[1].وليس كتاب المهري فقط الذي أصابه هذا الإهمال من قبل الدارسين ولم يحظ بالشهرة التي يستحقها فقط، بل الكثير مما ألفه أهل المغرب العربي، وفي مجالات مختلفة، أهملت ولم يعرها الدارسون اهتمامهم مقارنة بما ألفه أهل المشرق العربي.

أما الكتاب الثاني من مؤلفات علماء المغرب العرب في معاجم الموضوعاتفهو (كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة)، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الطرابلسي (نسبة إلى طرابلس الغرب)، المشهور بابن الأجدابي (600هـ) نسبة إلى أجدابية بليبيا.

ولاقى كتاب ابن الأجدابي اهتماما كبيرا، واحتل مكانة في مكتبات العالم ومتاحف المخطوطات مما يؤكد اهتمام الناس به على مر العصور.

وقد ذكر بروكلمان وجود نسخ منه في مكتبات: برلين، وجوتا، المتحف البريطاني، مكتبة جمعية المستشرقين الألمان، جاريت، الإسكندرية، باثنة، كمبرج، لينقراد، مكتبة جرجوار، فينا، باريس، الجزائر،لاله لي، شهيد باشا، القاهرة، رامبور، بنكيبور. وطبع في القاهرة سنة 1287هـ في المجموعة اللغوية التي نشرها مصطفى أحمد الزرقا[2].

---

[1] ـ الودغيري، المعجم في المغرب العربي، ص62.

[2] ـ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ج5، دار المعارف القاهرة،ط2، ص 348 –349.

قام بشرح كتاب الكفاية لابن الأجدابي كل من: ابن جابر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري الأندلسي (780هـ). والشرح الثاني كان من وضع الطيب الشرقي الفاسي بعنوان (تحرير الرواية في تقرير الكفاية).

ونجد ابن الأجدابيفي مقدمة الكتاب يصف كتابه ويذكر المنهج الذي اتبعه في تأليفه ويذكر تصنيفاته حيث قال:" هذا كتاب مختصر في اللغة وما يحتاج إليه من غريب الكلام وأودعناه كثيرا من الأسماء، والصفات، وجنبناه حوشي الألفاظ واللغات. وأعريناه من الشواهد ليسهل حفظه ويقرب تناوله، وجعلناه مغنيا لمن اقتصر في هذا الفن، ومعينا لمن أراد الاتساع فيه"[1]. وهذا يدل على أن ابن الأجدابي لم يورد في كتابه الغريب من الألفاظ مخالفا الكثير ممن ألفوا في هذا المجال. وربما هذا سبب من أسباب انتشاره الواسع وقبوله عند الدارسين.

صنف صاحب الكفاية كتابه في خمسة وثلاثين بابا، أولها باب صفات الرجال، وثانيها باب صفات النساء، ثم باب في الحب والموصوف به، وباب في أطوار عمر الإنسان ... إلى أن ينتهي بباب في الآلات وما شاكلها.

والمتصفح لكتاب الكافية يلاحظ أن صاحبه اعتمد في تعريف ألفاظه على الاقتصاد وعدم الإطالة، فنجده يكثر من التعريف بالمرادف، أو الشرح اليسير للكلمة، وهذا ربما ما زاد من إقبال الناس عليه وتقبله.

فنجد مثلا في باب الطيب:

الأناب: المسك، وهو الصوار أيضا، والجمع: أصورة.

---

[1] ـ ابن الأجدابي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الطرابلسي، كفاية المتحفظ في اللغة، ت السائحي علي حسين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص36.

العبير: الزعفران، وقيل: هو أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران.

واليرنأ: الحناء.

ومن أسماء الحناء: العلام، والرقون، والرقان[1].

وعلى هذه الطريقة سار ابن الأجدابي في كتابه إلى أن انتهى منه.

[1] علي حسين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص233.

الفصل الثاني:

المعجماللغوي العام والمعجم العلمي المختص

تمهيد:

افتخر العرب بلغتهم منذ أمد بعيد، فكانت العربية موضع فخرهم ومباهاتهم، في جاهليتهم وإسلامهم. ولما كانت العربية لغة مشافهة قبل الإسلام، جاء عصر التدوين بعد نزول القرآن الكريم، وحاجة الناس إلى حفظ دينهم ولغتهم.

فبدأ العرب بتدوين لغتهم، وتناولوها بالدراسة والوصف، وجاء في مقدمة معجم فيشر:" وإذا استثنيا الصين، فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها، بحسب أصول وقواعد، غير العرب"[1]. وهذا دليل على غزارة ما ألف العرب في شتى العلوم اللغوية، سواء كانت لغوية خالصة، أو دراسات لغوية لعلوم القرآن والحديث والشعر وكلام العرب.

وقد حظي التأليف المعجمي باهتمام العرب، ودعت الحاجة إلى فهم القرآن وتفسيره إلى ذلك، كما اهتدى العرب إلى تدوين لغتهم لحفظها من التبديل واللحن، وكانت هذه المدونات بمثابة معاجم موسوعية، واتخذها اللغويون مدونات لكتبهم التي ألفوها.

---

[1]. فيشر، معجم اللغة العربية المعجم اللغوي التاريخي، القسم1، نشره مجمع اللغة العربية القاهرة، ط1، 1967م، ص4.

المبحث الأول: المعاجم اللغوية العامة والمعاجم المختصة

1 ـ مفهوم المعجم العام والمعجم المختص:

1-1ـ معنى لفظة المعجم:

أـ لغة: جاء في كتاب العين للخليل في مادة (عجم): العَجَمَ ضد العرب. ورجل أعجمي:ليسبعربي...وامرأة عجماء بيِّنة العجمة. والعجماء كل دابة أو بهيمة...والعجماء كل صلاة لا يقرأ فيها،..والأعجم كل كلام ليس بلغة عربية...والمعجم حروف الهجاء المقطعة، لأنها أعجمية. وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستقيم عجمته ويصحّ"[1]. وفي هذا المعنى يقول ابن جني:"ثم إنهم قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لا إثباته"[2]. والحقيقة أن مادة (ع ج م) في اللغة تدل على الإبهام لا الإبانة. يقول ابن جني في هذا:"ألا ترى أن تصريف (ع ج م) أين وقعت في كلامهم إنما هو للإبهام وضد الإبانة"[3].

ويقول ابن منظور:"الأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه، وإن كان عربي النسب..."[4]

---

[1] ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1980م، 1/237-238.

[2] ـ ابن جني، الخصائص، دار الكتاب العربي، ج3، طبعة دار الكتب المصرية، 1957م، ص76.

[3] ـ نفسه، ج3، ص75.

[4] ـ ابن منظور، لسان العرب،ج12، دار صادر، د ت، ص376.

ب ـ اصطلاحا:

أطلقت لفظة معجم على الكتب التي حصرت فيها ألفاظ اللغة، وشُرحت مفرداتها في تلك الكتب اللغوية الخاصة. وأطلقت لفظة معجم على هذا النوع من الكتب بحكم ترتيبها على حروف الهجاء[1].

ولم يحدد الباحثون تاريخ إطلاق هذا الاسم بالتحديد، ولكن أول من استعملها كان أهل الحديث، في القرن الثالث الهجري، ففي صحيح البخاري باب علق عليه: باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله في حروف المعجم"[2].

1ـ 2 ـ المعجم اللغوي العام:

المعاجم اللغوية العامة، هي التي تشرح ألفاظ اللغة، وكيفية استعمالها، وترتبها ترتيبا معينا يسهل على الباحث البحث فيها عما استشكل عليه من معنى.

أول معجم ألف في هذا الصنف هو معجم (العين) للخليل ابن أحمد الفراهيدي (170هـ). فقد دون فيه الخليل ألفاظ اللغة العامة. كما يمكن القول إنه أول معجم لغوي عام مكتمل العناصر والأركان في اللغة العربية[3].

ويعتبر الخليل واحدا من أكبر اللغويين وأئمة العربية على مدى العصور، فإنه أول من وضع علم العروض، وواكتمل به النحو العربي، وأول من ألف معجما لغويا عاما مكتمل العناصر والأركان.

---

[1] ـ ديزيره سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995م، ص11.

[2] ـ البخاري، صحيح البخاري، شرح الكرماني، كتاب المغازي، المطبعة البهية المصرية، 197/15.

[3] ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص22.

وعلى الرغم من أنه ستظهر بعد معجم الخليل ومن ألف في هذا الفن ممن عاصره أو جاء بعد عصره، وتكون أكثر ملاءمة لروح العصر، إلا أنه لا استغناء عن تلك المعاجم، ذلك لأنها تحوي فيضا من مواد مفردات اللغة استخرجت من كتب قديمة أعظم ثروة من تلك التي بين أيدينا الآن، خاصة ما فقد من أشعار، وتُحِيلنا إلى كتب لم تصل إلينا.

ويرى إبراهيم بن مراد أن دور المعاجم اللغوية العامة في تكوين المعجمية العربية يشبه دور القراءات في تكوين النحو العربي[1].فهي تعد مرجعا هاما للمادة اللغوية لأنواع المعاجم التي ألفت في مجالات مختلفة.

1ـ 3 ـ مراحل ظهور المعجم اللغوي:

لقد تأخر التأليف في المعجم عند العرب، ولم يكن هذا التأخر خاصا بالمعجم فقط بل كان في شتى مجالات العلوم، وما يزيل عنا الاستغراب من هذا التأخر مقارنة بالهنود والفرس وغيرهم معرفتنا أن اللغة العربية كانت في الجاهلية لغة مشافهة، فالكتابة عند العرب في الجاهلية كانت نادرة جدا، وكان العرب يعولون على ذاكرتهم القوية في حفظ الأشعار والأمثال والخطب.

كما أن إتقانهم للغتهم ومحافظتهم على نقاوتها، وبعدها عن الاختلاط بلغات الأمم الأخرى، جعلهم لا يفكرون في جمعها، ولم يكن هناك أي خطر يهدد لغتهم يجعلهم يفكرون في كيفية الحفاظ عليها وحمايتها من التغير أو الزوال.

---

[1] ـ إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص22.

ثم دخل العرب بعد الإسلام في مرحلة جمع اللغة وتدوينها، والباعث على ذلك حاجتهم إلى تفسير ما استغلق عليهم من ألفاظ القرآن الكريم وحرصهم على الحفاظ عليه من أن يدخله الغلط واللحن في النطق أو الفهم.

لهذا كانت أول تجارب العرب في التأليف المعجمي تدور حول غريب القرآن وتفسيره.

أما المراحل التي مر بها جمع اللغة، فيذكر أحمد أمين أنها ثلاث مراحل: في المرحلة الأولى، جمعت اللغة حيثما اتفق، " فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرها في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع"[1]. والمرحلة الثانية هي مرحلة كتب الموضوعات، حيث جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، ككتاب المطر لأبي زيد، وكتاب النخل والكرم للأصمعي.... وفي المرحلة الثالثة ظهرت معاجم تخضع لترتيب معين يسهل على الباحث الوصول إلى الكلمة التي استغلقت عليه، وأول من ألف معجما على هذه الطريقة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع (كتاب العين)[2].

وقد ازدهرت حركة التأليف المعجمي بعد الخليل مباشرة وخاصة في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين. وقد وضع في هذه الفترة معجمان عامان أيضا، هما (كتاب الجيم) لأبي عمرو الشيباني (210هـ)، و(الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي(232هـ). ويعد الغريب المصنف لأبي عبيد من المعاجم الموضوعية، وهذا لاختلافه في الترتيب عن معجم العين وكتاب الجيم، حيث إن كتاب العين رتب على حروف المعجم ترتيبا صوتيا قائما

---

[1] ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ط5، 1956م، ص263-264.

[2] ـنفسه، ص263-264.

على مخارج الحروف. أما كتاب الجيم للشيباني فهو مرتب ترتيبا ألفبائيا بحسب تتابع حروف الهجاء من الألف إلى الياء. رغم أن الكتاب سمي بالجيم إلا أنه لا يعلم سبب تسميته بهذا الاسم. يقول حسين نصار:" واستهل البحث بعنوان الكتاب: فما معناه؟ وما سببه؟ أما المؤلف فلم يبذل أية محاولة في الكتاب لإزالة الغموض الذي يكتنف هذا العنوان، ولعله لم يشعر به، أو لعله فعل ذلك في مجالسه مع تلاميذه فصار أمرا معروفا لم يعن أحد منهم بتدوينه"[1].

1ـ4ـ مدارس المعاجم العامة:

قسم الدارسون المعاجم إلى مدارس، وبنوا هذا التقسيم على أساس ترتيب المادة اللغوية الذي اعتمده مؤلفو المعاجم.

أولا: مدرسة التقليبات الصوتية:

ومبتكر هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في (كتاب العين)، حيث رتب معجمه على حسب مخارج حروف الهجاء، وبدأ بأبعد الحروف مخرجا وهي الحروف الحلقية، واختار منها حرف العين فبدأ به أبواب الكتاب، وسمى كتابه به، ثم تتبع الحروف بحسب تدرج مخارجها نحو الشفتين.

كما ابتكر الخليل طريقة التقليب، وهي تقليب جذور الكلمات واستخراج الصيغ التي يمكن منها تقليب حروفه. فالثنائي يقلب تقليبتين، والثلاثي يقلب ستة تقليبات، والرباعي، يقلب أربعة وعشرين تقليبا، والخماسي يقلب مائة وعشرين تقليبا. واهتدى الخليل من خلال هذه الطريقة إلى أن اللغة فيها المهمل والمستعمل، فكان يشرح في معجمه من الألفاظ المستعمل ويذكر

---

[1] ـ حسين نصار، دراسات لغوية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981م،ص207-208.

المهملعلى النحو الآتي: "باب العين والطّاء والنون معهما ع ط ن ـ ع ن ط ـ ط ع ن ـ ن ع ط ـ ن ط ع مستعملات ط ن ع مهمل"[1].

ومن أشهر المعاجم التي ألفت على هذه الطريقة، وأدرجت تحت هذه المدرسة نجد: (كتاب البارع) لأبي علي القالي، (التهذيب للأزهري)، (المحكم) لابن سيده، إلا أن الاتفاق في اتباع المدرسة لم يصل إلى حد التطابق بل كانت هناك بعض الاختلافات.

ثانيا: مدرسة التقليبات الهجائية:

وأول من ابتكر هذه الطريقة هو ابن دريد في (الجمهرة)، وأخذ ابن دريد عن الخليل طريقة التقليبات، وخالفه في الترتيب حسب مخارج الحروف، فهو يرتب تقليبات الكلمة الواحدة تحت أول الحروف في الترتيب الهجائي فكلمة"جبر" مثلا تقليباتها بجر- رجب - جرب - ربج - برج - جبر، نجدها في كتاب الجمهرة مرتبة في حرف الباء، وهذا لأن الباء يسبق الجيم والراء في الترتيب،وهذه الطريقة أيسر.

ثالثا: مدرسة القافية: ويعتمد أصحاب هذه المدرسة في ترتيب معاجمهم على آخر حرف من الكلمة، وهذا الترتيب يكون في الأبواب، أما الفصول فتكون على الحرف الأول من الكلمة، فكلمة "سلم" مثلا هي في باب الميم وفصل السين. وأول من ابتكر هذا النظام هو الجوهري في (الصحاح)، وتعد هذه الطريقة في الترتيب ثورة على طريقة التقليباتالتي اعتبرت صعبة مقارنة بطريقة القافية.

---

[1] ـ الخليل، العين، دار ومكتبة الهلال، 14/2.

ومن العلماء الذين اتبعوا هذه الطريقة نجد: ابن منظور في معجمه (لسان العرب)، والفيروزأبادي في (القاموس المحيط)، والزبيدي في معجمه: (تاج العروس من جواهر القاموس)[1].

رابعا: مدرسة الأبجدية العادية: وهي التي يراعى فيها ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث دون تقليب، ويحتفظ بالكلمة على حالها.

وتعد هذه الطريقة من أسهل طرق الترتيب، لهذا لجأ إليها الكثير من مؤلفي المعاجم. ولعل أول من أخذ بهذه الطريقة اللغوي ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة)، ويقال أن من أوائل من اتخذها كذلك محمد بن تميم البرمكي (433هـ) في معجمه (المنتهى في اللغة).

ومن رواد هذه المدرسة: الزمخشري (أساس البلاغة)، والفيومي في (المصباح المنير) (770هـ)، والبستاني (محيط المحيط). (1869م)، والشيخ سعيد الشرتوني في معجمه (أقرب الموارد) (1889م).[2]والملاحظ أن أتباع هذه المدرسة أغلبهم من المحدثين، ولهذا سميت هذه المدرسة باسم المدرسة الحديثة، وهي أسهل المدارس.

2 ـ المعجم المختص:

بدأ التأليف في هذا النوع من المعاجم، أو بالأحرى بدأت المحاولات فيما يمكن الاصطلاح عليه تجوزا بالمعاجم المتخصصة، في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين، وكانت هذه المحاولات عبارة عن كتب في غريبي القرآن والحديث، أو في ظواهر لغوية معجمية مثل

---

[1] ـ انظر: مقدمة كتاب: الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، ت محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص9.

[2] ـ عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1981م، ص29.

الأضداد والمثلثات، أو في أسماء الأشياء وصفاتها، كالرسائل اللغوية التي أُلفت في الخيل،والحشرات، والإبل والغنم والنبات...إلخ. وأشهر من ألف في هذه المواضيع هم: الأصمعي، وأبو عبيدة، والنضر بن شميل وغيرهم.

يعد المعجم المختص مقابلا للمعجم العام، ومن المحدثين من يسميه معجم المصطلحات، وإذا قارنا المعجم المختص بالمعجم العام من حيث الكم فهو ليس بالقليل، لكنه أقل شهرة من المعجم العام، وأقل اهتماما من قبل الدارسين والمستعملين للمعجم،وهذا الإقلال ناتج عن طبيعة المادة التي يتناولها المعجم المختص وهي المصطلحات الخاصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون، أو مجال محدد من المجالات.

ويشير إبراهيم بن مراد، إلى غفلة الباحثين عن المعجم العلمي المختص قديمه وحديثه، ويرى أن المعجم القديم المختص لا يزال مغمورا منسيا، أما الحديث فقد اهتم به الدارسون في إطار البحث في قضايا المصطلح العلمي والفني النظرية والتطبيقية وليس في إطار المعجمية العامة[1].

وقد عرف حلام الجيلالي المعجم المختص بقوله:"ديوان لمجموعة من المفردات أو المصطلحات تنتمي إلى حقل معرفي واحد، أو إلى مجال من المجالات مرتبة ترتيبا ألفبائيا أو مفهوميا،ومعرفا اصطلاحيا آنيا"[2].هذا كلام فيه خللونستشف من هذا التعريف أن المعجم المختص لا يتناول الألفاظ اللغوية العامة، بل موضوعه مصطلحات العلوم والفنون.

---

[1] إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1987، المقدمة ص5.

[2] ـ حلام الجيلالي، المعجم العربي القديم المختص مقاربة في الأصناف والمناهج، ندوة المعجم العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م،ص52.

أما إبراهيم بن مراد فيرى أن المعجم المختص هو الذي يحوي المصطلحات، يقابله المعجم العام الذي يضم وحدات معجمية عامة فيقول:" ولذلك فإن علم المعجم يتكون من فرعين كبيرين: يقوم أولهما على ألفاظ اللغة العامة، أي الوحدات المعجمية العامة، ونسميه (المعجمية العامة)، ويقوم الثاني على الوحدات المعجمية المخصصة، أي على المصطلحات، ونسميه (المعجمية المختصة)"[1].

2ـ 1 ـ تصنيف المعجم المختص:

لم يترك لنا علماء المعجمية القدماء أي كتاب أو دليل يمكن الاهتداء به إلى تصنيف تلك المعاجم المختصة، وربما يرجع هذا إلى أن تجربتهم في الصناعة المعجمية كانت غضة ولم تنضج بعد، كما أن أصحاب المعاجم كانوا يمارسون الصناعة دون الوقوف على المسائل التنظيرية لهذا المجال، كما كان يأخذ بعضهم عن بعض ويؤلف أحدهم على طريقة سابقيه أو معاصريه. وأشار الحمزاوي إلى ضعف الدراسات المعجمية القديمة في شقها التنظيري فقال:"إن هذه الدراسات ـ إن صح أن نسميها كذلك ـ لم تكن دراسات نظرية عميقة ومستقلة بل إنها تنحصر في المقدمات التي وضعها المعجميون لمتون معاجمهم. فهي تعبر عن مناهجهم النظرية أو التطبيقية وتختلف طولا وقصرا، وكثيرا ما تكون دحضا متحيزا لما سبقها من المعاجم ومناهجها"[2]. على هذا الأساس كانت تخصص مقدمات المعاجم لشرح منهج وضعها وطرق ترتيبها، وقد أشار الحمزاوي في كلامه إلى طول وقصر تلك المقدمات، إلا أن الكثير منها أهمل المقدمة من أساسها، فيبدأ مباشرة في دراسة الظاهرة.

---

[1] ـ إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، ص79.

[2] ـ محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986م، ص40.

وبسبب هذا الضعف في هذا الجانب، اضطر الدارسون المحدثون إلى الاجتهاد في تصنيف المعاجم القديمة من خلال الاطلاع على محتواها وتصنيفها على حسب ما يجدون فيها. والتصنيف فن من الفنون اهتم به العلماء من لدن الفهرست إلى كشف الظنون، إلى يومنا هذا، يقول عبد الرحمن الحاج صالح:" لا علم إلا بتصنيف وخاصة في العلوم التي تعتمد على المشاهدة"[1]. وهذا القول يدل على أهمية التصنيف في العلوم كلها.

وعلى هذا الأساس قسم محمد خالد الفجر المعاجم المختصة بحسب الحقل العلمي الذي تناولته إلى فرعين اثنين[2]:

ـ المعجم المختص بمصطلحات حقل علمي واحد.

ـ المعجم المختص بمصطلحات عدة حقول علمية.

فالمعجم المختص بحقل علمي واحد هو الذي "يعالج قسما واحدا من المفردات ويختص بأحد فروع اللغة...وهدفه مساعدة القارئ على معرفة معاني لغة حقل معين من حقول المعرفة ومصطلحاته"[3].

أما المعجم متعدد الحقول فلا يقتصر على شرح مصطلحات حقل علمي واحد بل مصطلحات عدة حقول، ولكن عيبه أنه لا يستطيع الإحاطة بكل ما يتعلق بمصطلحات العلوم وهذا لكثافة المواد المجموعة فيه[4]. وهذا الأساس في صناعة المعاجم المختصة لا يزال مستعملا

---

[1] ـ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ط1، 2010، ص113.

[2] ـ محمد خالد الفجر، أسس المعجم المصطلحي التراثي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2017، ص29.

[3] ـ انظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، 1411هـ، ص46.

[4] ـ انظر: محمد خالد الفجر، أسس المعجم المصطلحي التراثي، ص 29-30.

ولم يختف، ويشار إليه بـ (المعاجم المختصة المتعددة الحقول) Multi-field Specialzed Dictionaries، أو (المعاجم المختلطة) Mixed Dictionaries .

ويتأسف محمد خالد الفجر على أن هذه الأعمال لم تعد متوفرة تحت مسمى المعجم فيما يصنف من معاجم عربية، وربما يرجع هذا إلى أن المعجمييننقد عدوها من الموسوعات التي ظهرت حديثا مثل (دائرة المعارف الإسلامية) التي ظهرت على طبعتين. ويرى الباحث أن آخر ما كتب في المعجم العربي المختص المتعدد الحقول هو (دستور العلماء) للأحمر نكري[1].

وقد أدرج محمد خالد الفجر مجموعة من المعاجم التي كانت موضوع دراسته تحت النوع الذي سماه (المعجم المختص بمصطلحات عدة حقول علمية)، وهي[2]:

ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي (محمد بن أحمد الكاتب) ـ التعريفات للجرجاني (علي بن محمد بن علي) ـ مقاليد العلوم للسيوطي (شمس الدين) ـ التوقيف على مهمات التعريف للمناوي (محمد عبد الرؤوف) ـ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (محمد بن علي الفاروقي)ـ دستور العلماء لأحمد نكري (عبد النبي بن عبد الرسول).

وهناك تصنيف آخر للمعاجم المختصة قدمه جواد سماعة وهو:

ـ معاجم الموضوعات العامة.

ـ المعاجم الموسوعية الاصطلاحية،

مثل: مفاتيح العلوم للخوارزمي(380هـ)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

---

[1] ـ محمد خالد الفجر، إرهاصات المعجم المختص المعاصر في التراث العربي، الألوكة، ت ط، د ت، ص4.

[2] ـ انظر: نفسه، ص 36 وما بعدها.

ـ المعاجم الفنية المختصة.

مثال: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية للرازي(322هـ)

ـ المعاجم العلمية المختصة.

أ ـ معاجم علمية محضة.

مثال: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار(646هـ).

ب ـ مؤلفات ذات طابع معجمي.

مثال: المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس (687هـ). والقانون في الطب لابن سينا[1].

وهذا التصنيف يحيلنا إلى الخلاف القائم بين المعجميين المعاصرين في تحديد المعاجم أو الكتب التراثية التي يطلق عليها سمة المعجم المختص.

يرى إبراهيم بن مراد أن المعاجم التي تكاد تنفرد وحدها بصفة التخصص في تاريخ المصطلحات العلمية العربية هي المعاجم التي ألفت في الأدوية المفردة عند العرب، والتي استندت على كتاب العالم اليوناني ديُوسْقُريديس (المقالات الخمس) ويسمى أيضا (كتاب الحشائش) من القرن الأول الميلادي، وكتاب العالم اليوناني جالينوس البرغامي (873م) (الأدوية المفردة)، والكتابان في الطب والصيدلة[2].

---

[1] ـ جواد حسني سماعنة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات وتأثيرها في المعاجم المصطلحية اللاحقة، مجلة اللاسان العربي، ص145.

[2] ـ ينظر، إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1987م، ص10-11.

وتأخر ظهور المعجم العلمي المختص مقارنة بالمعاجم اللغوية والمعاجم المختصة في مجالات أخرى، بسبب تأخر ظهور المصطلحات العلمية والفنية الدخيلة على الثقافة العربية، نتيجة لحركة الترجمة للعلوم الأعجمية كما حدث بعد ترجمة كتابي جالينوس و ديُوسْقُريديس المختصين في الأدوية المفردة.

كما لا يمكن مقارنة المعاجم التي ألفت قديما بالمعاجم الحديثة، سواء من حيث المنهج أو المادة التي جمعتها، أو حتى المجالات التي ضمتها. وهذا ناتج عن التطور الطبيعي للعلوم عبر الزمن، وظهور بعضها وتفرع بعضها عن بعض. وبما أن المصطلح العلمي هو مادة المعجم ومدار بحثه، فإن تطور العلوم ومناهجها سيرافقه تطور المصطلح وبالتالي تطور المعاجم.

ويرى الشهابي هذا النقص الذي اعترى المعاجم العربية التراثية عيبا من عيوبها فيقول:"عندما صنفت المعاجم أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه الليث وابن دريد والأزهري وابن سيده وغيرهم ...ممن جاؤوا بعدهم، كانت علوم الطب والمواليد والطبيعة والكيمياء وغيرها في حال بدائية بسيطة. وكان من النتائج الطبيعية لذلك حصول إبهام وتشويش في تعريف بعض أعيان المواليد، وفي تعليل بعض الحادثات الطبيعية، دع النقص الكبير الناتج عن خلو تلك المعاجم من ألفاظ العلوم الواسعة التي كان القدماء يجهلونها"[1].

وهذا أمر طبيعي ناتج عن تطور معارف الإنسان واتساع المجالات العلمية، وهو لا يعد عيبا بل هو من سنن التطور. وهذا المفهوم ذهب إليه محمد كامل حسين بقوله:"وكل علم جديد يحتاج

---

[1]- الشهابي مصطفى، المصطلحات العلمية، جامعة الدول العربية، 1955، ص28

إلى مصطلحات جديدة، وكل تصور جديد يدعو صاحبه إلى خلق مصطلحات جديدة، ومن صفات العلوم الطبيعية أنها دائمة النمو..."[1].

3 ـ المعجم المختص والمعجم العام:

يهتم المعجم بشكل عام بالدراسة الإفرادية، ووظيفته شرح هذه المفردات وتفسيرها، والإشارة إلى مواضع استعمالها. ضمن معجم يستند إلى منهج معين في الجمع والوضع. ويحدد صنف المعجم خاصا كان أو عاما نسبة إلى المفردات أو الوحدات اللغوية التي يحويها هذا المعجم.

وصفة العموم والخصوص في الألفاظ تعد عاملا أساسيا في تصنيف المعاجم وتحديد اتجاهها، وفي هذا يقول إبراهيم بن مراد:"قوام المعجم إذن المفردات. والمفردات صنفان: فهي إما لغوية عامة منتمية إلى الكلام العام، وقابلة للتوظيف الأدبي الإنشائي في مقالات الخطاب، وإما مصطلحات، وهذه وحدات معجمية مخصصة مرجعة إلى مفاهيم دقيقة"[2]. فالمصطلح الذي هو قوام المعجم المختص يختلف عن اللفظ العام الذي هو عماد المعجم العام، والاختلاف يكون على مستوى الوظيفة والخصائص. فمن أهم خصائص اللفظ العام التعميم يقول ابن مراد:"وأهم تلك الخصائص الاشتراك أو التعدد الدلالي، والدلالة الإيحائية، والارتباط بمختلف السياقات الذي يخول لها الاستعمال الانتظام فيها"[3].فاللفظ العام يحقق الوظائف المتعددة للغة، وهذا ما يفسر أولا ضخامة المعاجم العامة مقارنة بالمتخصصة، لأن الألفاظ العامة هي متن اللغة بشكل عام. وتعدد دلالاتها وتشعب معانيها يزيد من ضخامة متن المعاجم اللغوية واستطالته. كما

---

[1] ـ محمد كامل حسين، القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية، مجمع القاهرة، ج11، ص137.

[2] ـ إبراهيم بن مراد، كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص، مجلة المعجمية، تونس، ع14-15، 1999،ص39.

[3] ـ نفسه، ص39.

يفسر لنا كذلك اهتمام الدارسين بها مقارنة بالمعاجم المختصة، فهي موجهة لعموم الناطقين باللغة ولغير الناطقين بها كذلك.

أما المصطلح فهو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير على معنى من المعاني العلمية[1].والاصطلاح هو الانتقال باللفظ من مدلوله اللغوي العام، إلى المعنى الخاص في علم من العلوم أو مجال من المجالات، هذا إذا كان منقولا، وقد يكون مرتجلا أي مخترعا غير مستعمل في اللغة من قبل.

كما يرى إبراهيم بن مراد أن المصطلحية هي فرع من علم المعجم ويسميها (المعجمية المختصة)[2].

ومن أهم خصائص المصطلحات: أحادية الدلالة التي تنفي عنها الاشتراك، وذاتية الدلالة التي تنفي عنها الإيحائية، والخصوصية التي تنفي عنها التعميم، والانتماء إلى حقل مفهومي قابل للضبط والتحديد الدقيق"[3].كما يمكن للوحدات المعجمية نفسها أن تكون مصطلحات وتكون ألفاظا عامة. فالماء من منظور الكيميائي مصطلح أما عند الشاعر فهو لفظ لغوي عام يحمل دلالات وإيحاءات مختلفة.

يمكن القول إذاإن المعاجم تكتسب خصائصها وتصنف على حسب المادة التي تدرسها، فإذا كانت المادة هي ألفاظ عامة، فالمعجم الذي يدرسها هو المعجم العام، وإذا كانت الوحدات المعجمية خاصة (مصطلحات) فالمعجم يوصف بأنه معجم مختص.

---

[1] ـ مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية، ص3.

[2] ـ ابراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، ص31.

[3] ـ ابن مراد، كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، ع14-15، ص39.

ولا يقف التصنيف عند هذا النوع فقط، بل يمكن تقسيم المعجم المختص إلى نوعين أو فرعين، الأول: (المعجم العلمي المختص)، وهو الخاص بالمصطلح العلمي في العلوم الخالصة. والثاني: (المعجم الفني المختص)، وهو ما احتوى على الألفاظ الفنية التي استعملت في العلوم الإنسانية، وهذه الألفاظ هي وسط بين اللفظ العام والمصطلح العلمي. والمصطلح سواء كان علميا أو فنيا فهو يتميز عن اللفظ العام بخصائصه وأهمها: ذاتية الدلالة وأحاديتها، وخصوصيتها، والانتماء إلى حقل مفهومي قابل للضبط والتحديد، وقابلة للتعريف المنطقي[1].

ويتفق المعجم المختص مع المعجم العام بشكل عام في مسألتي الجمع والوضع، فلا يخلو معجم من هذين المنهجين، فلا يكون المعجم معجما إلا إذا احتوى على مادة معجمية يقوم واضعه بجمعها من مظانها، ولا تترك هذه المادة مجموعة دون معالجة، والاشتراك بين المعجمين في الجمع والوضع يجعلهما يشتركان بالضرورة في الأركان التي يقوم عليها الجمع والوضع وهي: المصادر والمستويات اللغوية، والترتيب والتعريف.

ولكن مع هذا الاشتراك في الأدوات المعجمية، فإن الاختلاف كبير في طبيعة هذه الأدوات ونوعها. فمصادر المعجم المختص تختلف عن مصادر المعجم العام، كما أن لكل نوع مستوياته اللغوية الخاصة به، وحتى في الترتيب والتعريف نجد اختلافات كثيرة.

وأهم نقطة يمكن الإشارة إليها في مسألة المعجم المختص والمعجم العام، هي أن المعجم المختص ـ وبالتحديد المعجم العلمي والمتمثل في معاجم الأدوية المفردة خاصة، نشأ بتأثير من اليونانيين، فلم تكن معاجم عربية خالصة، أما التأليف في المعاجم اللغوية العامة فكان جهدا

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص32.

خالصا من قبل العلماء العرب. أما التأليف في المعجم المختص فقد ارتبطت نشأته بالعلوم التي كانت تسمى حتى أواخر القرن الرابع الهجري (علوم العجم)[1].

وهناك معاجم عدها إبراهيم بن مراد وسطا بين المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص، كالمعاجم الموضوعة في مصطلحات فنون مختلفة، مثل كتاب التعريفات للجرجاني، وكتاب الكليات لأبي البقاء، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي. فإن هذه المعاجم الفنية بين معاجم اللغة العامة والمعاجم العلمية المختصة... وهي في جوهرها معاجم في (التعريفات) والإبانة عن الرسوم والحدود، لكنهامع ذلك أقرب إلى المعاجم اللغوية العامة وهذا لأن مداخلها المعجمية من المولد العربي الذي ارتقى درجة بين التخصيص والتعميم فصار اصطلاحا فنيا[2].

وأهم كتاب في فئة المعاجم التي هي وسط بين المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص هو (كتاب النبات) لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (282هـ)، وهو كتاب في صفات النبات وأسماء أعيانه. ويعد الكتاب موسوعة في حوالي ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة، واثنان في مصطلحات النبات خاصة، مرتبة على حروف المعجم.

وكان الدينورينحويا لغويا مهندسا منجما حاسباراوية ثقة فيما يرويه ويحكيه، وقال فيه أبو حيان التوحيدي: "إن أبا حنيفة أحمد بن داود الدينوري من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، له في كل فن ساق وقدم ورَوَاء وحِكَم...فأما كتابه في النبات وكلامه فيه في عروض كلام أبدى بدوي، وعلى طباع أفصح عربي، وهو في الذروة في معرفة النبات

---

[1] ـ الخوارزمي أبو عبد الله، مفاتيح العلوم، القاهرة،ط2، 1981، ص79.

[2] ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص8.

وخواص الأدوية"[1]. وهذه شهادة على سعة علمه، فقد جمع بين العلم بلغة العرب والمعرفة بالنبات والأدوية.

و(كتاب النبات) لأبي حنيفة الدينوري، هو من أشهر الكتب في هذا العلم، استقصى أبو حنيفة في كتابه ما نطقت به ألسنة العرب من أسماء النبات سواء ما يختص منها بنص اللغة أو بالنبات من جهة شرحه شرحا علميا بعد معاينة النبات في أماكنه وملاحظته بنفسه[2].

وقد صار الكتاب عمدة اللغويين الذين أتوا بعد أبي حنيفة، فما منهم إلا ونقل عنه، وعمدة الأطباء والعشابين...حيث نجد نقولا كثيرة عن كتاب النبات في أشهر كتب اللغة، كالجمهرة لابن دريد، والتهذيب للأزهري، وكتاب النبات والشجر لابن خالويه...[3]

ووقوع كتاب النبات للدينوري وسطا بين المعجم اللغوي العام والمعجم المختص، مكن فئات متعددة من الاستفادة منه من اللغويين والأطباء والعشابين.

واعتماد الدينوري على مصادر لغوية في كتابه، من روايات الأعراب وعلماء اللغة، والاستعانة بالشواهد الشعرية والقرآنية والحديثية[4]، يؤكد قربه من المعجم اللغوي منه إلى المعجم العلمي المختص.

---

[1] . عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م، وانظر النبات عند العرب، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، 34-35.

[2] ـ أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب ، ص35.

[3] ـ نفسه، ص 63.

[4] ـانظر: الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، ج3، ت برنهارد لقين، دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن، 1974، ص8 وما بعدها.

وتميز كتاب النبات لأبي حنيفة بإضافات كثيرة مهمة تجاوز بها سابقيه من اللغويين المؤلفين في المادة النباتية تجاوزا كبيرا، وأهم إضافاته كانت في ترتيب المادة، والثاني في التعريف العلمي وقد فصل فيها ابن مراد في كتابه المعجم العلمي العربي:

أ ـ ترتيب المادة في كتاب النبات: تميزت المؤلفات قبل أبي حنيفة بعدم خضوعها لترتيب معين، أما كتاب أبي حنيفة فقد رتبه على طريقتين: أولهما الترتيب الموضوع، على غرار ما قام به أبو عبيد في الغريب المصنف، وقد أحال في الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس من معجمه . إلى عدد كبير من تلك الأبواب مثل (باب الرعي والمراعي)[1]، و(باب صفة الجراد والجنادب)[2]، و (باب وصف الكمأة وما كان في طريقها)[3]...إلخ.

أما النوع الثاني من الترتيب هو ترتيب أعيان النبات على حروف المعجم في الجزئين الأخيرين من الكتاب، أي الجزء الخامس والجزء السادس، وقد اتبع ترتيبا ألفبائيا عاديا من الألف إلى الياء، ولم يارع في مداخله المعجمية الجذور الأصول بل أورد مداخله على حالها دون حذف للزوائد[4].

وقد اهتدى صاحب كتاب النبات إلى هذا الترتيب وآثره على غيره من الترتيب، وفضل الترتيب على حروف المعجم كما تواليها العامة، وصنفها على أوائل الحروف ومبتعدا عن التصنيف على أواخرها وبرر منهجه هذا بقوله:"ونجعل تصنيف ذلك على توالي حروف المعجم كما تواليها العامة إن شاء الله. وتصنيفها على حروف أوائلها أحب إلي من تصنيفها على

---

[1] الدينوري، كتاب النبات،ج3، ص4.

[2] ـ نفسه، ص53.

[3] ـ نفسه، ص71.

[4] ـ ابن مراد، المعجم العلمي العربي، ص28.

حروف أواخرها، وإنما آثرنا هذا التصنيف لأنه أقرب إلى وجدان المطلوب وأهون مؤونة على الطالب من كل تصنيف سواه فيما نرى"[1]. إلا أن ترتيب مداخل الكتاب شديد الاضطراب والخلل، وذلك أن المؤلف لم يراع في الكلمة إلا الحرف الأول... وهذا الترتيب على أوائل الحروف سبقه إليه أبو عمرو الشيباني في (كتاب الجيم)[2].

ب ـ التعريف العلمي: وهذا هو المنحى الثاني الذي تميز به الدينوري في كتابه، فتعريف المداخل في كتاب النبات يختلف اختلافا كبيرا عن التعريف في معجم الخليل (كتاب العين) ومعجم أبي عمرو الشيباني (كتاب الجيم) ومعجم أبي عبيد (الغريب المصنف)[3].

إلا أن هذا الاختلاف لم يكن مطلقا، حيث إنه اعتمد التعريف اللغوي في رسائل صفات النبات لأنه قائم في الغالب على الترادف أو نسبة النبات إلى نوعه أو إلى موضعه. وهذا ما يعرف بالتعريف اللفظي، وهو الغالب في المعاجم اللغوية العامة." أما أبو حنيفة فقد تجاوز هذا الصنف إلى صنف ثان يعرف عند المحدثين بالتعريف المنطقي. وهو تعريف موسوعي يتخذ لتعريف الأشياء خاصة، وهذا الصنف هو الذي يغلب في المعاجم العلمية الخاصة.[4]

ومن خلال ما سبق، وبالنظر إلى هذا المزج الذي قام به أبو حنيفة بين التعريف اللغوي والتعريف المنطقي، نستنتج أنه انتقل بالتأليف في النبات من المعجم اللغوي الصرف إلى المعجم الوسط بين العام والمختص. إذإن أبا حنيفة هو أول من أدخل منهجا جديدا لم تعرفه المعاجم العامة في التعريف وهو التعريف المنطقي الخاص بمناهج المعاجم المختصة.

---

[1] ـ الدينوري، كتاب النبات، ج1، ص6.

[2] ـ ابن مراد، المعجم العلمي العربي، ص28-29.

[3] ـ نفسه ، ص29.

[4] ـ نفسه، ص29.

3ـ1 ـ مصادر المعاجم العامة والمعاجم المختصة:

من المعروف أن المعاجم اللغوية، العامة ظهرت مع بداية تدوين اللغة من قبل اللغويين العرب، حتى إن الكثير ممن ألفوا فيها كانت نيتهم حفظ متن اللغة أكثر من اهتمامهم بشرح ما استوحش منها، أو ما استغلق فهمه. وزمن جمع اللغة هو زمن الاحتجاج والفصاحة والسليقية.

وعلى هذا فمن البديهي أن تكون المادة التي جمعتها هذه المعاجم، عبارة عن لغة فصيحة، ومصادر اللغة الفصيحة معروفة ومحددة وهي خمسة:

ـ القرآن الكريم.

ـ السنة النبوية.

ـ أشعار العرب لاسيما الجاهلي، وصدر الإسلام.

ـ كلامفصحاء العرب الذي رواه النحاة واللغويون من أفواه الفصحاء.

ـ أقوال أئمة اللغة العربية المتقدمين بالرواية عنهم مشافهة، أو النقل من مؤلفاتهم[1].

وهذه المصادر تشترك فيها الكتب التي ألفت في الموضوعات أو الموضوع الواحد كالرسائل اللغوية وكتب الغريب، والتي اصطلح عليها تجوزا بـ(المعاجم المختصة)، وإن كان يجوز أن نطلق عليها هذا الوصف فهو من باب أنها خاصة بمجال معين ولا تشتغل بعموم ألفاظ اللغة مثل ما فعل الخليل في كتاب العين ومن سار على طريقته.

---

[1] ـ الباتلي أحمد بن عبد الله، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية، الرياض، ط1، 1992م، ص14.

وإن كان من السهل الاهتداء إلى مصادر المعاجم اللغوية العامة، فإننا نواجه بعض الصعوبة في الوصول إليها في المعاجم المختصة، حيث يشير الفجر محمد خالد إلى أن بعض المعاجم العلمية التي كانت محل دراسته لم تشر أصلا إلى مصادرها، وبعضها كان يذكر مصادره في ثنايا التعريف، ومنهم من ذكرها في مقدمة معجمه[1]. وهذا راجع إلى أن مصادر المعاجم العلمية المختصة لم تكن بزخم وكثرة المعاجم اللغوية، وتنوعت بين مصادر لمصطلحات فنية مثل مصطلحات الفقه وعلم الكلام والفلسفة، ومصطلحات علمية وأهم مصادرها كانت أعجمية يونانية مترجمة[2].

3 ـ 2 ـ المستويات اللغوية في المعجمين:

اشترك المعجم اللغوي العام والمعجم المختص في المستويات اللغوية الأربعة وهي:

ـ الفصيح ـ المولد ـ العامي ـ الأعجمي المقترض.

إلا أن لكل معجم طريقته في التعامل مع هذه المستويات، من حيث الاستيعاب والرفض، أو من حيث الكثرة والقلة. حيث نجد أن أغلب مادة المعجم اللغوي العام من الفصيح، يليها الأعجمي، وآخرها منزلة المولد والأعجمي المقترض ثم العامي. وهذا منطقي وطبيعي إذا عرفنا أن المعجم اللغوي العام كان من أوثق المراجع، أو مرجعا مطلقا للفصاحة، كما كان المعجم يمثل اللغة ويحويها، لهذا تشددوا في معاييره[3]، ولم يدخلوا في متنه إلا الفصيح من كلام العرب.

---

[1] ـ ينظر، محمد خالد الفجر، أسس المعجم المصطلحي التراثي، ص46.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، كتاب النبات، ص42.

[3] ـ الحمزاوي محمد رشاد، من قضايا المعجم العربي، ص156.

أما المعجم العلمي المختص فهو نقيض المعجم العام، فنجد الفصيح هو أقل منزلة وأقواها المولد والأعجمي المقترض، يتلوها العامي[1]. تعود غلبة المولد في المعاجم المختصة على الفصيح كون المصطلحات العلمية هي من المفاهيم الطارئة على الثقافة العربية، لأنها تدل على مفاهيم وأشياء لم تكن عند العرب الفصحاء، أو أنها ألفاظ فصيحة اكتسبت معنى جديدا ضمن حقل مفهومي مستحدث، كالفلسفة مثلا أو الكيمياء، وهي علوم لم يكن العرب قد عرفوها من قبل.

3 ـ 3 ـ الوضع في المعاجم العامة والمتخصصة:

الوضع في المعجم ينقسم إلى ترتيب وتعريف، وكما قلنا آنفا لا يخلو أي معجم من هذين الركنين، ولا معنى لمعجم يهمل ترتيب مادته أو يستغني عن تعريفها، وخاصة هذا الأخير، فمن تعريف المعجم وأهدافه الأساسية إزالة العجمة أي الإبهام أو الإغلاق عن الكلمة أو المصطلح، ولا يتأتى هذا إلا من خلال التعريف.

وبين المعجم العام والمعجم المختص اختلاف في هذه المسألة أيضا، فالترتيب في المعجم اللغوي العام، كان على أصناف ثلاثة، أولها الترتيب على حروف المعجم بأنواعه، والثاني الترتيب حسب المواضيع، والصنف الثالث ـ وهو نادرـ الترتيب على الأبنية. أما المعجم المختص فقد اعتمد في ترتيبه على النوع الأول والثاني، إلا أن هناك اختلافا كبيرا بينه وبين المعجم العام خاصة في النوع الأول. إذ نجد أن الترتيب حسب حروف المعجماتخذ في المعجم اللغوي العام عدة أشكال منها، الاعتماد على مخارج الحروف في الترتيب العام كما فعل الخليل

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، كتاب النبات، ص43.

في معجم العين، والاعتماد على تقليبات المجرد من الألفاظ، وهناك من اعتمد على الترتيب على حروف المعجم لكن بالرجوع إلى حرف القافية.

أما المعجم المختص فلا يأخذ اعتبارا للأصلي والزائد من الكلمات بل يرتب المداخل على حروف المعجم بكامل حروفها، ويرى ابن مراد أن هذه الطريقة أوفق لترتيب المصطلحات، وهذا بحكم أن مداخل المعجم المختص يغلب عليها الأسماء، وأن المولدات والأعجميات المقترضة في تلك الأسماء أظهر[1].

أما التعريف في المعاجم العامة فيختلف اختلافا كبيرا مع التعريف في المعاجم المختصة، وهذا راجع لطبيعة المداخل المعجمية التي يعالجها كل معجم. فالمعجم اللغوي العام يعالج الألفاظ اللغوية وبالتالي يعرفها تعريفا لغويا. أما المعجم المختص فمادته هي المصطلحات، والمصطلح ليس له معنى بل مفهوم، والمفاهيم "تصورات لموجودات مجردة معقولة في الذهن أو الأشياء ذات أشخاص وأعيان. وارتباط التمييز بتحديد المفاهيم يجعل منه عملية لتحديد ماهية المسمى، وهذا (التحديد الماهوي) يسمى (تعريفا منطقيا) ومجاله إذا المعجم المختص"[2].

---

[1] ـ ابن مراد، كتاب النبات، ص43.

[2] ـ نفسه، ص44.

المبحث الثاني: المعجم العلمي المختص

ظهر المعجم العلمي المختص في أواسط النصف الأول من القرن الثالث الهجري، إلا أنه لم يكن تأليفا علميا خالصا، بل كان ترجمة من اللغة اليونانية لكتابين في الأدوية المفردة هما (المقالات الخمس) للعالم اليوناني ديوسقريديس وكتاب الأدوية المفردة للطبيب الفيلسوف اليوناني جالينوس البرغامي، وقد نقله إلى العربية حنين بن إسحاق في إحدى عشرة مقالة[1].

وساهم هذا الظهور في نشأة المعجم العربي العلمي المختص، وبالتحديد في علمي الطب والصيدلة، والقول إن معاجم الطب والصيدلة التي ألفها العرب هي التي ينطبق عليها وصف المعجم العلمي المختص راجع إلى استفادتها من منهج المعجمين المذكورين.

والواضح أن تأثير الكتابين على الصناعة المعجمية العربية كان كبيرا وواضحا. " من أهم مظاهر تأثيره أن كاد المعجم العلمي المختص في اللغة العربية ينحصر في كتب الأدوية المفردة أو ما اتصل بها كالحيوان والنبات والمعادن. فإن أهم ما عرفته العربية من معاجم علمية مختصة كان في الأدوية المفردة، وفي مصطلحات الطب العامة، وفي مصطلحات الحيوان، ومصطلحات النبات، ومصطلحات الأحجار، وخاصة الأحجار الكريمة. إلا أن النوع الأول ـ الأدوية المفردة ـ كان الأغلب والأحظى"[2].

---

[1] ـ ابن مراد، المعجم العلمي المختص، ص32.

[2] ـ نفسه، ص38.

وقد أثنى العلماء العرب على العالمين اليونانيين وأشادوا بهما. فابن الجزار أبو جعفر أحمد (369هـ)، يقول فيهما:" إن هذين الرجلين لا نهاية وراءهما ولا غاية بعدهما فيما عانياه من هذا الفن"[1] والفن هنا يقصد به الأدوية المفردة.

1ـ المعاجم المتخصصة في العلوم المختلفة:

يختلف تصنيف المعجم من حيث العموم والاختصاص كما رأينا في المبحث السابق، وهذا الاختلاف راجع إلى نوع الوحدات المعجمية التي يضمها المعجم، وقد يكون في المنهج المتبع كذلك. إلا أن هناك اتفاقا بين الدارسين على هذا التصنيف (معاجم عامة ومعاجم خاصة).

إلا أن الاختلاف في تصنيف المعاجم الخاصة نجده عند الكثير من الدارسين، فابن مراد يقسمها إلى معاجم مختصة في المصطلحات العلمية ويرى أنها الوحيدة التي ينطبق عليها هذا الوصف، وهي معاجم الطب والصيدلة، أما ما سواها فيجعلها في خانة المعاجم الخاصة بالمصطلحات الفنية العامة والتي تضم معارف مختلفة، ككشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي. يرى ابن مراد أن معاجم الطب والصيدلة هي الوحيدة التي اهتمت بنوع واحد من المصطلحات واختصت بدراسته لهذا كادت وحدها تنفرد بتسمية المعجم العلمي المختص[2]. إلا أن ما ألف في الطب والصيدلة معاجم ضمت مصطلحات طبية وصيدلية وغذائية، كالجامع لابن البيطار، فلم تختص بمصطلح علم واحد وهذا مرده إلى أن من ألفوا تلك المعاجم عاشوا في زمن لم يكن قد وضع الفصل الدقيق بين العلوم، خاصة العلوم التي تتداخل فيما بينها كالطب والصيدلة.

---

[1] . ـ ابن الجزار أبو جعفر أحمد، الاعتماد في الأدوية المفردة، ت إبراهيم بن مراد، دار ابن حزم، 2019، ص2.

[2] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي ، ص11.

والصنف الثاني من المعاجم حسب تقسيم ابن مراد هو المعاجم الفنية، وهي معاجم وسط بين المعاجم اللغوية والمعاجم العلمية الخاصة، ككتاب الكليات لأبي البقاء، وكتاب التعريفات للجرجاني وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي[1]، وهي معاجم ألفت في فنون مختلفة.

أما جواد حسني سماعنة فقد ذكرثلاثة أنواع هي:

1 ـ معاجم موسوعية اصطلاحية، وسبب وصف هذه المعاجم بالموسوعيةهو تعدد الموضوعات التي تحتويها وضخامة المصطلحات التي تضمها هذه المعاجم، وذكر عددا من هذه المعاجم هي:

مفاتيح العلوم للخوارزمي(380هـ)، ويمكن القول إنه أول معجم عربي علمي مختص، وما يميزه أنه ضم عددا من المصطلحات لعلوم مختلفة ومتنوعة من علوم العجم كالفلسفة والهندسة والميكانيكا والكيميا، كما ضم مصطلحات للعلوم العقلية والإنسانية.، المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، التعريفات للجرجاني (816هـ)، الكليات للكفوي (1094هـ)[2].

ونلاحظ أن هناك اختلافا في تصنيف المعاجم بين جواد حسني وإبراهيم بن مراد، فهذه المعاجم التي صنفها جواد حسني في خانة المعاجم الموسوعية الاصطلاحية، نجد أن ابن مراد صنفها **كمعاجمفنية**، في حين أن جواد حسني سماعنة له تصنيف آخر سماه(معاجم فنية) سنذكره لاحقا.

---

[1] ـ ينظر: إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي المختص، ص8.

[2] ـ ينظر: جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، المنهج والمصطلح، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع48، ص37.

كما صنف محمد خالد الفجر هذا النوع من المعاجم تحت مسمى: **المعاجم المختلطة**، أو **المعاجم المتعددة الحقول**، كما انتقد من سموا هذه المعاجم بالموسوعة وجاء برأي حلام الجيلالي الذي فرق بين الموسوعة والمعجم، ويرى أن هذه المؤلفات تتوفر فيها كل شروط المعجم من معلومات صوتية، وصرفية ونحوية واشتقاقية[1].

2 ـ معاجم فنية مختصة:وهي معاجم وسط بين اللغوي والعلمي، ومن أمثلتها: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي (332هـ)، وكتاب المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي، ومعجم اصطلاح الصوفية للكاشني (730هـ)[2].

ونرى هنا أن جواد حسني اتفق مع ابن مراد في وصف المعاجم بأنها بين اللغوي والعلمي، إلا أن جواد حسني جعلها تحت مسمى واحد مع المعاجم الموسوعية، أما ابن مراد فقد عدها من المعاجم الفنية كذلك.

3 ـ معاجم علمية مختصة: ويعتبر هذا النوع من المعاجم أسمى ما ألف في هذا الفن وينقسم إلى نوعن:

أ ـ معاجم علمية محضة: وهي ما جاء في الطب والصيدلة والنبات، وأول كتاب في هذا النوع ألفه ابن عمران القيرواني في القرن الثالث الهجري (279هـ) وهو كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الاعتماد في الأدوية المفردة من تأليف ابن الجزار (369هـ)، كما ألف الحسن بن نوح القمري (التنوير والاصطلاحات الطبية)، والرسالة الألواحية للشيخ ابن سينا، وكتاب التيسير في المداواة

---

[1] ـ ينظر: محمد خالد الفجر، أسس المعجم المصطلحي التراثي، ص32-33. و حلام الجيلالي، المعجم العربي القديم المختص، ص 52.

[2] . ينظر: : جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، المنهج والمصطلح، مجلة اللسان العربي، ص37.

والتدبير لعبد الملك بن زهر (557هـ)، ونختم بأشهرهم وأجلهم قدرا في هذا الباب وهو: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار.

ب ـ مؤلفات طبية ذات طابع معجمي: وتندرج تحت هذا العنوان المعاجم التي تحوي مصطلحات قد تكون معرفة أو توضع دون تعريف ومنها: ـ كشف الرين في أحوال العين لابن الأكفان، والقانون في الطب لابن سينا، والمهذب في الكحل المجرب لابن النفيس...إلخ[1]. والملاحظ أن المعاجم التي وضعها سماعنة تحت عنوان معاجم علمية محضة هي نفسها ما اعتبرها ابن مراد بأنها الوحيدة التي تستحق وصف المعاجم العلمية المختصة وما سواها معاجم فنية.

أما نحن في بحثنا هذا فسنعتمد تقسيما محددا يجمع بين التقسيمات الذي ذكرناها سابقا والذي نراه هو الأنسب.

1 ـ 1 ـ المعاجم الفنية أو متعددة الموضوعات: يندرج تحت هذا النوع المعاجم التي تعالج مصطلحات علوم متعددة، وفنون مختلفة كالفلسفة والطب والكيمياء... وأول كتاب في هذا الموضوع هو:

1 ـ 1 ـ 2 ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي: وهو محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي من خراسان (ت380هـ)، ولا يعرف عنه الكثير فنحن نجهل عام مولده ومؤلفاته غير مفاتيح العلوم[2]. ومع أننا لم نجد له ترجمة تبين إنتاجه العلمي إلا أن وظيفته التي امتهنها تدل على سعة علمه، وهذا قبل أن نطلع على كتابه ونكتشف سعة علمه وموسوعيته.

---

[1] ـ جواد حسني سماعنة، المعجم العلمي المختص، ص 37ـ38.

[2] ـ ينظر ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، وكالة المعارف ،ج2، اسطنبول، 1955، ص51.

كان الخوارزمي كاتبا في الديوان، وهذه المهنة لا يتصدى لها إلا من جمع مجموعة من الصفات ذكرها المستشرق آدم متز: وجعل هذه المهنة التي اختصت بها الدولة الإسلامية هي التي تميزت بها عن أوربا، أما من يشغلونها فهم أهل الثقافة الدينية.كما ذكر أن مهنة الكاتب في الديوان كان يترشح لها الأدباء الذين نشأوا خارج الأوساط الدينية، كما وصفهم بالبلادة وجمود العقل وقصورهم عن الإبداء والفكر، وذكر بعضا من خياناتهم للأمانة وعدم حفاظهم على أموال الدولة[1]. إلا أن هذه الأوصاف لا تنطبق على كل الكتاب ومنهم الخوارزمي هذا، فمن خلال كتابه يتبين لنا أنه كان ذا علم واسع، وصاحب فطنة وإبداع وتفرد.

وقد ألف الخوارزمي كتابه إرضاء للوزير ابن أحمد العتبي، وكان الوزير محبا للعلم وأهله وكان يدني العلماء منه، ويغدق عليهم من العطايا، وهذا ما حض الخوارزمي على تأليف كتابه مفاتيح العلوم[2]. كما صرح الخوازمي في مقدمة كتابه أن السبب وراء تأليفه كتابا لمفاتيح العلوم هو أنأغلب الكتب التي ألفت في علم اللغة خلت من هذه الاصطلاحات، ويصف علماء اللغة بعدم الفهم لمصطلحات العلوم والحكمة رغم مكانتهم العالية في اللغة والأدب[3]. ولم يجانب الصواب هنا، فالعلوم والفلسفة كانت علوما دخيلة على العرب، كالطب والكيمياء... ولم يعرفها العرب إلا عن طريق ترجمة كتب اليونان وغيرهم من الأعاجم، ومن المتعارف عليه أن علماء اللغة الأولين كان لهم موقف متشدد من قبول الدخيل والمعرب والعجمي والعامي من الألفاظ، وهذه المجموعة من الصفات تزخر بها كتب المتكلمين ومعاجم الطب والصيدلة.

---

[1] ـ ينظر: آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده، ج1، دار الكتاب العربي، لبنان، ط5، دت، ص 160-161.

[2] ـ الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرة، مصر، ط1، 1342هـ، المقدمة ص2

[3] ـ نفسه، المقدمة ص2.

إلا أن الخوارزمي لم يقصد فقط المصطلحات الأعجمية الدخيلة أو المعربة، بل ذهب إلى قضية هامة وهي قضية اللغة في مقابل الاصطلاح، وهذه المسألة أصبحت تطرح بشكل ملح بعد نشوء العلوم العربية المختلفة كالفقه والفلسفة وعلم البلاغة والطب وغيرها من العلوم التي لم يكن للعرب عهد بها. فنجد الخوارزمي يسرد مجموعة من الأمثلة عن الفرق بين اللغة والاصطلاح فيذكر: الرّجْعة وهي المرة الواحدة من الرجوع عند أهل اللغة، أما عند الفقهاء فهي الرجوع في الطلاق غير البائن، ولها معنى آخر عند المتكلمين وهو ما يدعيه المتشيعون لعلي من رجوع الإمام الغائب...ويأتي بمثال آخر وهو: الوَتَد فهو عند أهل التفسير وأهل اللغة وتد البيت أو الجبل كما ذكر في القرآن في قوله تعالى:"والجبال أوتادا" (النبأ آية7)، أما الوتد في عروض الشعر فهو ثلاثة أحرف اثنان متحركان والثالث ساكن...[1]. ومن خلال ما أشار إليه الخوارزمي، ندرك أن تأليفه لكتابه كان على بصيرة وتبصر وإدراك منه لما يحتاج الناس إلى معرفته بعد التطور العلمي والثقافي الذي حصل في زمانه.

ـ **الطب والصيدلة في مفاتيح العلوم:**خصص الخوارزمي الفصل الثالث من كتابه للطب وسماه (في الطب وهو ثمانية فصول) هي:

الفصل الأول: في التشريح ـ الفصل الثاني في ذكر الأمراض والأدواء ـ الفصل الثالث في الأغذية ـ الفصل الرابع في الأدوية المفردة ـ الفصل الخامس: في أدوية مفردة مشتبهة الأسماء ـ الفصل السادس: في الأدوية المركبة ـ الفصل السابع: في أوزان الأطباء ومكاييلهم ـ الفصل

[1] ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص3.

الثامن: في النوادر[1]. والملاحظ أن الخوارزمي قد جمع بين الطب والصيدلة تحت عنوان واحد، فتحدث عن الأمراض والأدوية المفردة واللأدوية المركبة والأغذية كل على حدة.

تطرق الخوارزمي إلى موضوع الطب والأدوية باختصار شديد، ففي الأدوية المفردة نجد أنه خصص أقل من صفحتين للحديث عن هذا المجال الموسوعي الذي خصص له ابن البيطار أربعة مجلدات كاملة تتمثل في كتابه (الجامع) فقط. ويعود هذا الاقتضاب في الحديث عن موضوع الطب الأدوية من قبل الخوارزمي لعدم تخصصه في هذا المجال، والهدف الذي وضعه من أجل تأليف كتابه وهو الإيجاز وعدم تكرار ما هو معلوم.

أما الملاحظة الثانية في طريقة منهج الخوارزمي في مسألة ترتيب المادة الاصطراحية الخاصة بالأدوية المفردة والأغذية بشكل خاص، فلم نجده قد اتبع منهجا واضحا في الترتيب وكان سرده للأمثلة التي أوردها سردا عشوائيا لا يخضع لطريقة ترتيب محددة وهو ما خالف فيه العديد من العلماء الذين التزموا في ترتيب موادهمألفبائيا في الغالب، أما ما يخص المصطلحات الطبية فلم يهتموا بهذا المنهج في الترتيب.

2 ـ 1 ـ 2 ـ 1ـ منهج مفاتيح العلوم: تطرقالخوارزمي في مقدمة كتابه إلى المنهج الذي اتبعه في كتابه، فقد جمع فيه عددا كبيرا من المصطلحات، واتبع منهج الإيجاز والاختصار مبتعدا عن الإطناب، كما أهمل ذكر المصطلحات المشهورة المعروفة عند جمهور الناس، كما تجنب الغريب الغامض الذي يحتاج إلى شرح طويل وتفسير كثير، كما اعتمد الاختصار في شرح المصطلحات الأعجمية المعربة ولم يورد فيها الحجج والشواهد. ثم يشرح سبب تسمية كتابه

[1] . الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص92-93.

بمفاتيح العلوم: فهو مدخل إلى العلوم ومفتاح لأكثرها وهو وسيلة مختصرة لمن يريد أن يحيط بالعلوم دون مزاولتها أو مجالسة أهلها[1].

أ ـ الترتيب في كتاب مفاتيح العلوم: قسم الخوارزمي معجمه إلى قسمين وجعل القسم الأول لعلوم الشريعة وما اقترن بها من علوم العربية، والقسم الثاني جعله للعلوم العجمية كاليونانية وغيرها.

كما قسم معجمه إلى أبواب وفصول جعلها تحت عنوان كبير سماه مقالة، أما المقالة الأولى فتندرج تحتها ستة أبواب وقسم الباب إلى خمسين فصلا، وخصص هذه الأبواب والفصول لعلم الشريعة وما تعلق به من علم اللغة، فسمى الباب الأول (باب الفقه) تفرع عنه أحد عشر فصلا، والباب الثالث في النحو وفيه اثنا عشر فصلا، وباب في الشعر والعروض...أما المقالة الثانية فجعلها في تسعة أبواب فيها واحد وأربعون فصلا، خصصها لعلوم العجم، بدأها بباب الفلسفة واختتمها بالباب التاسع خصصه للكيمياء في ثلاثة فصول[2].

أما عن ترتيب هذه الأبواب والفصول فقد رتبها ترتيبا موضوعيا، حيث خص كل مصطلح بفصل وجعله مدخلا لمعجمه، فبدأ بباب الفقه، وأول فصل افتتح به (فصل في أصول الفقه) ثم فصل الطهارة، إلى أن ينتهي (بالفصل الحادي عشر: في النوادر).

ب ـ مصادر مفاتيح العلوم: لم يشر صاحب المعجم في مقدمته إلى المصادر التي جمع منها مادة معجمه. حتى إن متن المعجم يكاد يكون خاليا من الإحالة إلى المصادر التي أخذ منها إلا في حالات نادرة، وبهذا يكون الخوارزمي قد خالف الكثير من العلماء الذين سبقوه أو الذين

---

[1] ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، المقدمة ص4

[2] ـ نفسه، ص5.

عاصروه، حيث نجدهم يشيرون إلى مصادرهم في المقدمة، أو تجد متن معاجمهم يزخر بالمصادر التي أخذت منها مادتهم، ككتاب النبات للدينوري، والجامع لابن البيطار...إلخ. وقد يعود سبب هذا النقص في إيعاز المادة العلمية إلى مصادرها عند الخوارزميما أشار إليه في مقدمة كتابه بأنه تحرى الإيجاز والاختصار وتجنب إيراد الشواهد.

ومن المصادر النادرة التي أحال إليها الخوارزمي نجد الخليل في المرتبة الأولى، إذ يذكر تعريف الخليل لـ (القلس) في الفصل الرابع في الصوم، يقول: "قال الخليل هو ماخرج من الحلق ملء الفم أو دونه"[1]. وأحيانا نجده يُرجع القول إلى أصحاب الحديث عموما دون تحديد، كما فعل في الفصل الخامس في الزكاة حين شرح مكاييل العرب وأوزانها، فشرح معنى القُلّة قال:" قال أصحاب الحديث القلتان خمس قرب كبار"[2]. كما يحيل القول أحيانا إلى أهل الرأي وهذا نجده في تفسيره للقرء بأنه عند أهل الرأي الحيض"[3]. ونجده يحيل في النحو ووجوه الإعراب إلى المدارس دون الأشخاص، فيأتي برأي أهل الكوفة وأهل المنطق في حروف المعاني، ويذكر تسمية البصريين للحركات الإعرابية[4]. رغم هذا الشح الواضح في ذكر المصادر والشواهد عند الخوارزمي، إلا أن غزارة المادة العلمية التي جاء بها تدل على سعة اطلاعه وعلى تنوع مصادره حتى وإن لم يذكرها. وربما كان من أسباب عزوفه عن ذكر مصادره هو محاولة إظهار تفرده وعبقريته في هذا الباب، خاصة أنه قد ألف كتابه تزلفا وتقربا من الوزير عبيد الله بن أحمد العتبي كما صرح في مقدمة كتابه.

---

[1] ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص9.

[2] ـ نفسه، ص11.

[3] ـ نفسه ، ص14.

[4] ـ نفسه ، ص29.

ج ـ المستويات اللغوية في مفاتيح العلوم: تعتبر المستويات اللغوية ركنا من أركان الجمع، وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول هو تصنيف المفردات على حسب العموم أو الخصوص.

أما القسم الثاني فتصنف فيه المفردات إلى فصيحة، أو معربة أو دخيلة، أوعامية.

أما القسم الأول فقد ذكره المؤلف في مقدمته، وصرح بأنه قد وضع معجمه لشرح المصطلحات الخاصة بالعلوم المختلفة[1]. فالمعجم يصنف ضمن المعاجم المختصة متعددة الحقول، وهذا الوصف ينطبق على المادة العلمية التي عالجها المعجم، أما فيما يخص التعريف فنجد أن الخوارزمي قد التزم بالتعريف الاصطلاحي إلى حد بعيد، ولا نجده يستطرد في الشرح اللغوي للمصطلح، وفي أحيان كثيرة لا يذكر المعنى اللغوي إطلاقا، فمثلا في شرح مصطلح التثويب الخاص بالأذان يقول: أن يقول المؤذن في أذان الفجر الصلاة خير من النوم"[2]. أما المعلومات اللغوية فلا يكاد يذكرها، فنجده مثلا يشير إشارة مختصرة إلى قول الخليل كما في تعريفه لليمين الغموس يقول:"قال الخليل وهي التي لا استثناء فيها"[3]. وبناء على هذا ـ وإذا أردنا تصنيف المعجم من حيث الخصوص والعموم ـ فيمكن القول إنه ينتمي إلى صنف المعاجم المختصة.

أما التصنيف الثاني للمستويات اللغوية فينظر في الكلمة وفصاحتها أو عاميتها، أو ما إذا كانت مولدة أم دخيلة. ومن المعروف أن اللسان العربي مر بمراحل مختلفة وتأثر كغيره من الألسنة بدخول ألفاظ غير فصيحة عليه خاصة بعد الإسلام.

---

[1] ـ ينظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، المقدمة، ص2-3.

[2] ـ نفسه، ص9.

[3] ـ نفسه ، ص16.

والفصيح من الكلام حدده العلماء زمانا ومكانا، ولم يعد للفصاحة وجود بعد القرن الرابع الهجري، أما اللحن فقد دخل اللغة العربية ابتداء من النصف الأول من القرن الأول الهجري.

ومن الألفاظ غير الفصيحة التي غلبت على معجم مفاتيح العلوم نجد ـ بالدرجة الأولى ـ الألفاظ المولدة، وقد عرّف العلماء المولّد من الكلام العربي بأنه "ما أحْدثه المولَّدون الذين لا يُحْتجّ بألفاظهم"[1].والتغيير قد يطرأ على بنية اللفظ فيكون التوليد لفظيا و قد يكون في المعنى فيكون معنويا. وبما أن المادة التي يعالجها معجم مفاتيح العلوم هي مصطلحات علمية فأكيد أنها من قبيل التوليد المعنوي، لأن أصل المصطلح لفظ لغوي مبتذل صار له دلالة جديدة داخل حقل مفهومي خاص. فالقافية مثلا هي في اللغة مؤخرة العنق والقافية آخر كل شيء[2]، أما المعنى الاصطلاحي الذي ورد في معجم مفاتيح العلوم فهو: "القافية الكلمة الأخيرة من البيت"[3].

أما الألفاظ المعربة والدخيلة فنجدها كثيرة في معجم مفاتيح العلوم، وهذا لا يبعث على الغرابة خاصة أن الخوارزمي عاش في فترة التأسيس ولم تكن العلوم العربية قد نضجت بعد،

---

[1]. ينظر: الودغيري عبد العلي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989م، ص176، وانظر المزهر للسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م، 242/1.

[2] ـ المعجم الوسيط. مادة قوف.

[3] . الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص58. ملاحظة: هذا التعريف للقافية غير صحيح ـ وإن قال به غيره ـ أما تعريف القافية فهو: "الحروف التي يلتزمها الشاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة، من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن سبقه مع الحرف المتحرك الذي قبل الساكن. فالقافية في قول أبي تمام:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفَّلا معسول**ة الحلب**

هي قوله: (تل حلب). محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القوافي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1991، ص 135، أي التاء من الكلمة ماقبل الأخيرة والكلمة الأخيرة.

كما أن ظاهرة التعريب والدخيل ليست جديدة على اللغة العربية، فقد عَرّب العرب الكثير من الألفاظ قبل الإسلام وعُرّب منها الكثير بعد الإسلام.

والكلمات المعربة في أغلبها فارسية الأصل، يقول الخوارزمي:"البريد كلمة فارسية"[1]، وأصل الكلمة بُرِّيْدَةُ ذنب ومعناها محذوف الذنب، ثم يشير الخوارزمي إلى أنها عربت فسمي البغل بريدا والذي يركبه كذلك سمي بريدا وحتى المسافة التي تبلغ فرسخين سميت بريدا[2]. وقد عقد الخوارزمي فصلا في ألفاظ يكثر جريانها في أخبار الفرس ذكر فيه ألفاظا كثيرة من أصل فارسي مثل المرازبة: وهم ما وراء الملوك أي ملوك الأطراف، وآذربادكان: هو مهب الشمال...[3]إلخ. ويلاحظ أن اللغة العربية أخذت عن الفارسية ألفاظا كثيرة خاصة في علم الفلك، ثم تليها الألفاظ اليونانية، وكانت كتب الفلسفة والطب اليونانية من أهم الروافد التي استقى منها العرب مصطلحاتهم في هذين العلمين.

كما أن للغة اليونانية نصيبا من المعربات التي ذكرها الخوارزمي، ففي أقسام الفلسفة من الفصل الأول للمقالة الثانية من معجمه مفاتيح العلوم يقول: "الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهي فيلاسوفيا"[4]. وللسريانية حضور كذلك إذ يذكر الخوارزمي في الباب الثاني في المنطق في الفصل الأول: ايساغوجي هذا العلم يسمى باليونانية لوغيا وبالسريانية مِلِيلوثا وبالعربية المنطق[5].

---

[1] ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص42.

[2] ـ ينظر: نفسه ، ص42.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص70-71.

[4] ـ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص79.

[5] ـ ينظر: نفسه ، ص75.

1 ـ 1 ـ 3 ـ المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي:

هو أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر بن الحسن الجواليقي (ت540هـ)، ألف كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، وله كتاب شرح أدب الكاتب وكتاب العروض، والغاية من تأليفه هو الحفاظ على اللغة العربية مما دخل عليها من الألفاظ الأعجمية، وهي ظاهرة ليست بالجديدة ولكنها استفحلت بعد الإسلام، وخاصة بعد حركة الترجمة التي عرفها المسلمون لكتب الفرس واليونان بصفة خاصة.

ويذكر الجواليقي في مقدمة كتابه أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو التنبيه إلى الكلام الأعجمي الذي تكلمت به العرب، ونزل به القرآن الكريم، وجاء في أخبار الرسول ﷺ والصحابة، وذُكر في أشعار العرب، ليُعرف الدخيل من الفصيح[1]. فالدافع من تأليف هذا المعجم هو التعريف بالألفاظ الدخيلة على العربية كي لا تختلط بالعربية الصريحة.

كما صرح الجواليقي بأن هناك اختلافا بين أهل العلم في حقيقة ورود المعرّب في القرآن الكريم، فهناك من أنكر ذلك وحجتهم في ذلك الآية التي تقول:چڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چالزخرف، وهناك من أقر بورود ألفاظ غير عربية، فقد قال أبو عبيد: ورُوي عن ابن عباس وغيره أن في القرآن أحرفا غير عربية مثل: سجيل، والمشكاة...[2]. أما الجواليقي فيرى أن كلا الفريقين على صواب، وذلك أن هذه الكلمات هي من أصل أعجمي ثم عربتها العرب فصارت عربية، فهي عربية باعتبار الحال أعجمية باعتبار الأصل[3]. وبهذا يكون الجواليقي قد حلّ هذه المعضلة وفصل في الخلاف القائم بين الفريقين.

---

[1] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ت خليل عمران المنصف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م، ص1.

[2] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ص2.

[3] ـ نفسه، ص2.

1 ـ 1 ـ 3 ـ 1 ـ منهج الجواليقي في معجمه:

يعد معجم المعرب من كلام العرب من المعاجم المختصة متعددة المواضيع، فهو مختص بحكم المادة العلمية التي يعالجها وهي الألفاظ المعربة دون غيرها من الألفاظ، وقد تعددت المواضيع التي تطرق إليها المعجم بحكم تعدد الألفاظ المعربة وتنوعها.

ذكر الجواليقي العديد من الألفاظ الطبية والدوائية ذات الأصول العجمية متفرقة دون ترتيب أو تبويب، كما لم يتطرق إلى الخصائص العلاجية والدوائية للأغذية التي ذكرها بسبب أن تأليف المعجم لغرض لغوي بحت. ومن الأمثلة على ألفاظ الطعمة نذكر:(الفُجل): أرومةُ نبات. قال ابن دُريد: وليس بعربي. قال: وأحسب أن اشتقاقه من (فَجَلَ الشيء يَفجُلُ فَجلاً) إذا استرخى وغلظ..."[1]، أما تعريف ابن البيطار للفظ نفسه سيوضح لنا الفرق بين المعجم المختص في الأدوية المفردة والأغذية ومعجم الجواليقي ومثال ذلك من خلال كتاب الجامع لابن البيطار:"(فجل): ديسقوريدوس في الثالثة: هو مولد الرياح طيب الطعم ليس بجيد للمعدة...وإذا أكل بعد الطعام لين البطن...وإذا أكل مطبوخا كان صالحا للسعال المزمن..."[2]، من خلال المقارنة بين التعريفين يظهر لنا الفرق الكبير في تعامل كل من العالمين مع المصطلح اللفظ الواحد،فالواضح من تعريف الجواليقي للفظة (فجل) أن الغاية منه هي إثبات عُجمة اللفظ وليس البحث عن خصائص النبات وصفاته، أما ابن البيطار فالغاية الكبرى من إيراده اللفظ هي إظهار صفاته والحديث عن خصائصه الدوائية والغذائية.

---

[1] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ص120.

[2] ـ ابن البيطار ضياء الدين، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.ص214.

أ ـ مصادر المعجم: أشار الجواليقي في مقدمة كتابه إلى المصادر التي أخذ منها مادة معجمه، وأولها ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، والمصدر الثاني هو القرآن الكريم، وما قيل في أخبار الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين، وما قيل في أشعار العرب وأخبارها[1]. وهذه المصادر هي التي أخذ منها مداخل معجمه. أما ما تعلق بالشرح والتعريف فقد أشار إلى مصادر كثيرة منها: شعر أمية بن أبي الصلت حين استشهد بشعره للدلالة على كلمة إسرائيل[2]، كما نجده يستشهد بابن دريد في لفظة الإستبرق، وبشعر الأعشى للدلالة على كلمة الأرنج[3]، ومن علماء النحو ذكر ابن السكيت حين شرح كلمة الإسفنط، وهكذا كان دأبه في معجمه فلا يذكر كلمة إلا واستدل عليها إما بشعر أو بقول عالم أو كلام أعرابي. ومن أكثر من استشهد بقولهم هم، أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وابن دريد...

ب ـ المستويات اللغوية في المعجم: من خلال عنوان المعجم ندرك أن الألفاظ المعربة هي التي تطغى على المعجم، وهي على رأي صاحب المعجم كلها من أصل أعجمي، واختلفت عجمة هذه الألفاظ، فمنها ما هو فارسي وهي الفئة الغالبة ومنها السرياني واليوناني والعبري... ويشير الجواليقي في أحيان كثيرة إلى اللفظ بأنه أعجمي دون تحديد أصله مثل: البَاعوت: أعجمي معرب[4]، وأذربيجان: أعجمي معرب[5]. أما المستويات الأخرى كالعامي والمولد والفصيح فلا وجود لها.

---

[1] ـ الجواليق، المعرب، ص1.

[2] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ص13.

[3] ـ نفسه، ص14.

[4] ـ نفسه، ص34.

[5] ـ نفسه، ص24.

أما إذا تكلمنا عن المستوى العام والمختص، فقد جمع المعجم بين النوعين، فنجد ألفاظا لغوية عامة ومصطلحات مختصة.

ج ـ الترتيب: رتب الجواليقي معجمه على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وراعى في ترتيبه الحرف الأول من الكلمة دون بقية الحروف، وأورد الكلمة على حالها كاملة دون حذف أو مراعاة للجذر. وقسم معجمه إلى أبواب أولها باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي، والباب الثاني ما يعرف من المعرب بائتلاف الحروف، ثم جعل كل باب خاص بحرف من حروف المعجم، أولها باب الهمزة التي تسمى الألف، وآخرها باب الياء.

د ـ التعريف: الصفة الغالبة على التعريف في معجم الجواليقي هي رد الكلمات إلى أصولها الأعجمية، كأن يقول فارسي معرب أو أعجمي معرب، أو يستعمل عبارة أصله فارسي، أو يشير إلى اللفظ أنه ليس من كلام العرب، أو بعبارة اسم أعجمي.

ونجده يستدل بأقوال الكثير من العلماء وبأبيات من الشعر لشرح الكلمات الأعجمية أو لإثبات عجمتها، أو للاستدلال على أن العرب تكلمت بها. ومن أمثلة ذلك: الأُسْكُرجة: فارسية معربة... قال أبوعلي: فإن حقّرت حذفت الجيم والراء، فقلت: أُسيْكيرة...[1]. أما الاستشهاد بالشعر فنجده يخبر عن الفرزدق حين شرحه لكلمة أَصطَفانوس:

ولولا فضول الأصطفانوس لم تكن لتعدوَ كسب الشيخ حين تحاوله

وما يلاحظ في تعريف الجواليقي أنه يميل إلى الاختصار في أحيان كثيرة وقد يكتفي بعبارة أعجمي معرب أو تكلمت به العرب.

---

[1] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ص20.

كما أن للتعريف اللغوي حظا عند الجواليقي فنجده يذكر المعلومات الصوتية للكلمة مثل: البذج بفتح الباء والذال[1]، ولكن لا نجده يفعل ذلك إلا قليلا مع أن الكلمات كلها أعجمية وتحتاج إلى ضبط نطقها لرفع اللبس ومنع التصحيف والخطأ.

1 ـ 1 ـ 4 ـ معجم التعريفات للجرجاني: هو علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، ولد بمدينة جرجان بإيران (740هـ) توفي سنة (816هـ)[2]، عالم جليل قال فيه أبو الفتح الطاووسي: شهرته تغنيني عن ذكر نسبه، وصيت مهارته في العلوم يكفيني في بيان حسبه"[3]. وله مؤلفات عديدة منها: شرح المواقف للعضد ـ شرح التجريد للنصير الطوسي ـ التعريفات ـ شرح القسم الثالث من المفتاح ـ حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول...

وكتاب التعريفات موسوعة شاملة لمصطلحات الفنون والعلوم، مرتب على حروف الهجاء من الألف إلى الياء. افتتح بمقدمة قصيرة للجرجاني ذكر فيها طبيعة معجمه وطريقة ترتيبه معللا ذلك بالتيسير على الراغبين وتسهيل تناولها للطالبين[4]. ويعد كتاب الجرجاني مصدرا للكثير ممن جاء بعده.

ولم نجد أثرا في كتاب التعريفات للمصطلحات الطبية أو الدوائية أو الأغذية، وهو معجم في المصطلحات المجردة لا المحسوسة، فتجد فيه ما تعلق بالمصطلح الفلسفي أو اللغوي والبلاغي والمصطلح الديني، أما المصطلح الطبي والدوائي فلم يكن من اهتمام صاحب التعريفات.

---

[1] ـ الجواليقي، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ص24.

[2] ـ الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، ت محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص5.

[3] ـ نفسه، ص6.

[4] ـ نفسه، ص7.

وقد أشار الجرجاني في مقدمة كتابه المختصرة إلى أن كتابه عبارة عن تعريفات واصطلاحات أخذها من كتب القوم، فالجرجاني ذكر كتب القوم ولكن لم يخص عموم قوله ويذكر عناوين الكتب التي أخذ عنها. لكن عند تصفحنا لمعجمه نجده يحيل إلى بعض المصادر التي اعتمدها في جمع مادته، وهي قليلة جدا مقارنة بضخامة المادة التي ضمها معجمه، فمثلا نجده يحيل إلى أبي علي الدقاق في تعريفه الاستقامة في حرف الألف والسين: فيذكر أن لها مدارج ثلاثة: التقويم ـ والإقامة ـ والاستقامة[1]، كما أحال إلى رأي الشافعي في حد السرقة[2]. وهذا النوع من الإحالة قليل ففي أغلب الأحيان يحيل القول بعبارة (قيل) أو (قالوا)[3] أو (قوله) دون ذكر صاحب القول ومثال ذلك استشهاده ببيت شعر دون ذكر قائله والاكتفاء بعبارة (كقوله)[4]، وهو بهذا يؤكد على أن عبارة (كتب القوم) التي قالها في مقدمته كانت مقصودة، فلا نكاد نجد له إحالة لمرجع معين إلا فيما ندر.

أما المستويات اللغوية في معجم التعريفات فيمكن القول إن أغلب المادة التي ضمها المعجم هي من المصطلحات وتنتمي إلى اللغة المختصة، لهذا صنف المعجم ضمن المعاجم المختصة، لكنه أورد العديد من الكلمات العامة مثل كلمة (التحذير) كما نجده في كثير من الأحيان يذكر المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للكلمة كما فعل مع كلمة التخارج: في اللغة: تفاعل من الخروج، وفي الاصطلاح: مصالحة الورثة على إخراج بعض منهم بشيء معين من التركة[5]. ومثل هذا كثير في معجم التعريفات.

---

[1] ـ ينظر: الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، ص20.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص102.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص45.

[4] ـ ينظر:نفسه، ص21.

[5] ـ ينظر:نفسه، ص 48.

أما عن المستوى الثاني من المستويات اللغوية وهو الفصيح والعامي والمولد والمعرّب، فنجد أن المعجم قد احتوى على العديد من الكلمات الفصيحة، لكن المولد منها هو الغالب، فالمعجم هو معجم اصطلاحي ومعروف أن المصطلح هو من قبيل التوليد الدلالي، وفي كثير من الأحيان نجد الجرجاني يذكر المعنى اللغوي للكلمة والمعنى الاصطلاحي الذي حملته العبارة حين دخلت في حقل مفهومي محدد، مثل كلمة (السرقة): في اللغة: أخذ الشيء من غيره على وجه الخُفية، وفي الشريعة في حق القطع: أخذ مُكلف خُفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ بلا شبهة...[1].

ونلاحظ أن كتاب التعريفات لا يكاد يذكر الكلمات الأعجمية، وأغلب ما ورد فيه إما مولد أو فصيح، وهذا راجع إلى أن الفترة التي ألف فيها الجرجاني معجمه كانت العلوم العربية قد نضجت فكريا ومصطلحيا، فإذا قارنا بين معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي(ت387هـ)، والتعريفات للجرجاني (ت816هـ)، نجد الفرق شاسعا في إيراد الألفاظ الدخيلة والمعرّبة في المعجمين، فالأول نجده أكثر من إيراد الدخيل من الألفاظ أما الثاني فلا تكاد تذكر مقارنة بالفصيحة والمولدة عن الفصيحة.

أما عن منهج الجرجاني في ترتيب مادة معجمه، فقد اعتمد على الترتيب الألفبائي على حسب أوائل الكلمة، وحافظ على بنية الكلمة دون حذف لحروف الزيادة. كما قسم معجمه إلى أبواب وسمى كل باب بحرف من حروف المعجم، وبدأ بباب الألف مختتما بباب الياء، مراعيا في ترتيبه الحرف الأول والثاني دون غيرهما من حروف الكلمة، فنجده مثلا في باب الألف يبدأ بالألف مع الباء ويأتي بالكلمات التي تبدأ بهذين الحرفين، ثم ينتقل إلى الألف مع التاء،

---

[1] ـ الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، ص102.

وهكذا[1]. إلا أن هذا الترتيب قد يختل أحيانا فنجده في باب الباء ينتقل من الباء مع التاء إلى الباء مع الحاء مهملا الباء مع الثاء والباء مع الجيم، والراجح هنا أن الجرجاني لم يجد في مصادرها مصطلحات تحت هذين الحرفين فتجاوزهما إلى الحرف الذي يليهما.

أما التعريف في معجم الجرجاني، فنجده يجمع في أحيان كثيرة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي، ومثال ذلك في تعريفه لمصطلح "الدوران: لغة الطواف حول الشيء، واصطلاحا: هو ترتب الشيء على الشيء الذي له صلوح العِلِّيَّة كترتب الإسهال على شرب السّقَمونيا"[2]. والملاحظأنه لم يعتمد هذه الطريقة في التعريف في كل المصطلحات، ففي أغلب الأحيان يكتفي بتعريف واحد فقط.

كما أن التعريف اللغوي يتطرق إلى التأليف الصوتي والبنية الصرفية للفظ[3]، إلا أن الجرجاني أهمل هذا الجانب في تعريفه فلا نكاد نجد له أثرا في معجمه، أما التعريف المنطقي الذي يقوم على ذكر خصائص الأشياء وصفاتها التي تميزها[4] ـ ويُعتمَد هذا التعريف بشكل كبير في المعاجم التي تدرس المواد والأشياء مثل معاجم الأدوية والصيدلة ومعاجم النبات والحيوان ـ لهذا نجد هذا النوع من التعريف قليلا في معجم التعريفات لأن أغلب مادته مصطلحات علمية فنية. كما اعتمد الجرجاني على التعريف المصطلحي،ومثال ذلك تعريفه للسبب بقوله: "وفي الشريعة: عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثِّر فيه"[5]، فهو

---

[1] ـ ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص9-10.

[2] ـ نفسه، ص92.

[3] ـ النصراوي الحبيب، التعريف القاموسي بنيته الشكلية وعلاقاته الدلالية، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، 2009م،ص116.

[4] ـ حلام الجيلالي، المعجم العربي القديم مقاربة في الأصناف والمناهج، ندوة المعجم العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م ص62.

[5] ـ الجرجاني، التعريفات، ص101.

هنا يحيل المصطلح إلى العلم الذي ينتمي إليه وهو الشريعة. كما نجد التعريف بالضد في قوله: "السقيم في الحديث: خلاف الصحيح منه"[1].

1 ـ **1 ـ 5 ـ الكليات لأبي البقاء الكفوي:** هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفويصاحب الكليات ولد في (كفا) بالقرم سنة 1028هـ وتوفي سنة 1094هـ.

جمع معجم الكليات مصطلحات علوم عديدة، فكان مصدرا مهما لمن يبحث في الفلسفة ومصطلحات الفقه الحنفي، ويعتبر مرجعا هاما للمهتمين بالدراسات اللغوية وبالخصوص الدراسات الإفرادية التي تتبع تطور المفردات وتبحث عن معانيها، كما ضم مصطحات في الفلك والفيزياء والطب والرياضيات، والنحو والصرف والبلاغة.

لم يشر صاحب الكتاب في مقدمته إلى سبب تسمية كتابه بهذا الاسم، وربما تعود هذه التسمية إلى بداية كل فصل ببعض الكليات.

يمكن الحكم على معجم الكليات بالبعد عن كل ما له علاقة بالطب والصيدلة، ولم نجد للمصطلح الطبي والدوائي مكانا في معجمه، فاختصاص المعجم كان في المصطلحات اللغوية والشرعية، كما نجده بحكم اختصاصه في العلوم الشرعية يورد تفسير الكثير من الآيات القرآنية.

أما الغرض الذي ألف الكفوي من أجله معجمه فهو التقرب من الوزير مصطفى باشا طلبا للعطايا وطمعا في القرب منه والاستفادة من كرمه، وفعله هذا لم يكن غريبا فقد ذكر في مقدمة

---

[1] ـ الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، ص103.

كتابه أنه اهتدى إلى صنيعه هذا بعد أن رأى العلماء والفضلاء يتزلفون إلى الوزير فيغمرهم بكرمه[1].

1 ـ 1 ـ 5 ـ 1 ـ منهج الكفوي في تأليف معجم الكليات: ما يلاحظعلى معجم الكفوي ويميزه عن غيره من المعاجم توظيفه لمعارفه الفقهية واضطلاعه بعلوم الدين والتفسير بشكل خاص، فنجده في مواضع كثيرة يشرح اللفظ في سياق الآيات، فينتقل من التعريف إلى التفسير، مثلا (أضاعوا الصلاة) تركوها، (أضل سبيلا) أبعد حجة، (فمن اضطر) دعته الضرورة[2]. وبهذا يمكن القول إن المعجم هو رافد من روافد التفسير.

كما أن منهج الكفوي لم يقتصرعلى جمع المصطلحات فقط، بل زاد على ذلك جمع القواعد والفوائد[3]، وما يؤكد هذا الرأي هو الاستطراد في شرح المصطلحات خاصة الفقهية والنحوية، والاعتماد على الكثير من الآراء وذكر المسائل المختلفة والتفصيل فيها.

وأول ما يبدأ به حين التعريف بمنهج أي معجم مسألة الجمع بركنيها: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف والمستويات اللغوية التي احتواها المعجم. أما عن المصادر التي اعتمد عليها الكفوي فنجد القرآن الكريم من أهم مصادره والاستشهاد الكثير بالآيات القرآنية يؤكد ذلك، كما أن للحديث النبوي نصيبا من هذه الشواهد، كما أنه اعتمد على معاجم لغوية مختلفة مثل لسان العرب، والقاموس المحيط والمخصص لابن سيده، كما اعتمد على معاجم مختصة كالتعريفات

---

[1] ـ ينظر: الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ت عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998، 16-17.

[2] ـ ينظر نفسه،ص 137.

[3] ـ ينظر: مالك ياسين، التعريف بكتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 35، عدد 4، 2013، ص31.

للجرجاني، وكتب التفسير والفقه والفرائض والبلاغة وكان يذكر بعضها ويسكت عن ذكر بعضها الآخر.

فقد ذكر رأي التفتزاني والرضي حينما عرف مصطلح (الإضافة)[1]، كما استعان بآراء النحويين كالأخفش والفراء[2]، كما نجده يذكر القاموس المحيط في تعريفه للصاعقة[3]، ويستدل بآراء الفقهاء والمحدثين كأحمد ابن حنبل، وبعض المتكلمين كالرازي ورأي الفرق الشيعية كالإمامية والزيدية[4]. وهذا التنوع في المصادر يعكس ثراء المعجم وتنوع مادته.

أما الركن الثاني من أركان الجمع وهو المستويات اللغوية، فيأتي المولد من الألفاظ في المرتبة الأولى بحكم أن المعجم يعالج مادة اصطلاحية في فنون مختلفة، إلا أن المعجم لم يضم المصطلحات الخاصة فقط بل نجد الكثير من ألفاظ اللغة العامة وحتى تعريفها كان لغويا خالصا، مثل كلمة (الضحك): هو اسم جنس تحته نوعان التبسم والقهقهة[5]. ومن منهج الكفوي ذكر أصل الكلمة المعربة وضبط نطقها مثال ذلك كلمة "(أهاياشرا): هو بكسر الهمزة وفتحها وبفتح الشين كلمة يونانية معناها الأزلي الذي لم يزل"[6]. ويلاحظ أن الكلمات ذات الأصول الأعجمية قليلة جدا مقارنة بما ورد في التعريفات للخوارزمي.

أما الترتيب فقد رتب الكفوي معجمه الترتيب الألفبائي، محتفظا بالكلمة على حالها كما تنطق دون ردها إلى أصلها، وهذا الترتيب هو الأيسر على الطالب. وسمى كل فصل بحرف وبدأ

---

[1] ـ ينظر: مالك ياسين، التعريف بكتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي، ص132.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص304.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص561.

[4] ـ ينظر: نفسه، ص564.

[5] ـ نفسه، ص574.

[6] ـ نفسه، ص211.

بفصل الألف، وجعل داخل الفصل فصولا فرعية فنجد داخل فصل الألف فصل الألف والباء ثم فصل الألف والتاء، مراعيا بذلك أول الكلمة وثانيها، إلا أن الكفوي لم يحافظ على هذا الترتيب ولم يلتزم به إلى آخر معجمه، ففي حرف الكاف مثلا نجده قد رتب كلمة (كم) قبل (الكفة) والفاء تسبق الميم في الترتيب، وأصاب الخلل في الترتيب حتى الفصول الأخيرة فنجده قدم فصل الواو على فصل الهاء.

وفيما يخص الشرح الذي اعتمده الكفوي في معجمه فنجده قد تميز عن غيره من المؤلفين بالتوسع في ذكر المسائل اللغوية والتخريجات النحوية للكلمات، كما فعل في تعريفه للاسم مثلا: فتجده يذكر المعنى اللغوي للكلمة والمعنى الاصطلاحي ثم يأتي بمذهب البصريين والكوفيين فيه ويرجح الأصوب من بينها، ثم يستشهد بالآية القرآنية، ثم يذكر المعاني المختلفة للكلمة في سياقات متعددة، ثم يذكر أقسامه، ويذكر مفرده ومركبه...إلخ[1]. ومثل هذا يفعل مع الألفاظ الفقهية والفلسفية حيث تجده يستطرد في شرح الكلمات والاستشهاد بأقوال العلماء وأشعار الشعراء.

2ـ المعاجم المختصة في الطب والصيدلةفي المغرب والمشرق العربيين:

2 ـ 1 ـ المعجم المختص في الطب والصيدلة في المغرب العربي:

يكاد المعجم العربي العلمي المختص ينحصر في معاجم الطب والصيدلة والأدوية المفردة أو ما تعلق بها كالحيوان والنبات والأطعمة والمعادن، وأهم ما أنتج الفكر العربي في المعاجم المختصة كان في الطب وفي الأدوية المفردة وفي مصطلحات الطب العامة، وفي مصطلحات الحيوان، والنبات، ومصطلحات الأحجار الكريمة. إلا أن النوع الأول ـ الأدوية المفردة ـ كان

[1] ـ الكفوي، الكليات، ص83-84-85

الأغلب والأكثر حظا"[1]. ويمكن التأريخ لمرحلة ظهور المعجم العلمي المختص في الطب والصيدلة بالفترة التي ظهر فيها المعجمان العلميان المختصان الأول (المقالات الخمس) أو ما سمي أيضا بـ (كتاب الحشائش)، للعالم اليوناني ديوسقريديس من القرن الأول الميلادي، والكتاب الثاني (كتاب الأدوية المفردة) للعالم اليوناني جالينوس البرغامي (ت 199م)، وهما كتابان باللغة اليونانية ترجما إلى اللغة العربية. وأكبر دليل على أهمية هذين المعجمين عند علماء الطب والصيدلة العرب الثناء الكبير الذي خص به ابن البيطار ديقوريدس وجالينوس ووصفهما بمدد هذا العلم (يقصد الأدوية المفردة) وقدوة لمن علمه وحجة على من جهله[2].

ويفرَّق بين المعجم العلمي المختص والمعجم العلمي الفني بالمادة التي يحويها كل منهما، المعجم العلمي مادته المصطلح والمصطلح نوعان: مصطلح علمي تدرسه المعاجم المختصة العلمية، ومصطلح فني تدرسه المعاجم المختصة الفنية[3].

2 ـ 1 ـ 1 ـ كتاب الأدوية المفردة لأبي يعقوب إسحاق بن عمران: ولا يُستغرب أن نبدأ بجهود علماء المغرب في هذا المجال فأول معجم علمي مختص ألف في اللغة العربية هو كتاب (الأدوية المفردة) لإسحاق بن عمران (279هـ) وهو طبيب فيلسوف من أصل عراقي هاجر إلى القيروان وألف معجمه فيها وعاش فيها إلى حين وفاته[4]، وبهذا يكون أول معجم علمي مختص قد ظهر في المغرب العربي بالقيروان (تونس). وكتاب ابن عمران مفقود وبقي

---

[1] ـ ابن مراد، المعجم العلمي المختص، ص38.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص10.

[3] ـ نفسه، ص32.

[4] ـ ينظر: الودغيري عبد العلي، المعجم في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2008، ص123.

منه شواهد أشار إليها ابن البيطار في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) وفي مجملها 180 شاهدا في 161 مادة[1].

ومع أن كتب التراجم نسبت إلى حنين بن إسحاق العبادي (260هـ) كتابا في أسماء الأدوية المفردة على حروف المعجم، كما نسبت إلى عيسى بن صهاربخت والذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري كتابا تحت عنوان (قوى الأدوية المفردة على الحروف)، وهما مؤلفان سابقان لمؤلف ابن عمران، إلا أن ابن مراد يرى أنهما ليسا في الأدوية المفردة الخالصة، فالأول كان في شرح المصطلحات اليونانية والفارسية وكان اتجاهه لغويا، أما الثاني فكان في خصائص الأدوية المفردة ودرجاتها وبعض أفعالها، أما الحجة القوية التي استند عليها ابن مراد لإخراج المعجمين من دائرة المعاجم المختصة في الطب والصيدلة هي عدم اعتماد من ألف بعدهما في هذا الفن عليهما،وذكر أنه لم يعثر لهما على ذكر في كتب الأدوية المفردة العربية[2]. إلا أننا وجدنا ابن البيطار قد استشهد بقول حنين بن إسحاق حين عرف كلمة (كراث): "حنين بن إسحاق: الكراث الشامي هو الذي له رؤوس"[3]. وعلى هذا الأساس حكم ابن مراد على أن معجم ابن عمران هو أول ما ألف في مجال الأدوية المفردة. واستشهاد ابن البيطار بقول حنين بن إسحاق يبطل قول ابن مراد بأنه لم يجد له ذكرا عند من ألف بعده، كما يعضد تحفظ الودغيري على حكم ابن مراد على المعجمين بأنهما ليسا في الأدوية المفردة، وأن رأيه مجرد تخمين، فالودغيري يرى أن حكم ابن مراد على ابن حنين أنه اعتمد التعريف اللغوي دون غيره يخالف عادة مؤلفي كتب المفردات الطبية فقد كانوا لا يقتصرون على الشرح اللغوي وإنما كان

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العربي المختص، ص43-44.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص42-43.

[3] ـ ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج4، دار الكتب العلمية، لبنان، د ط، د ت، ص320.

جهدهم الكبير يصرف لذكر ماهية الأدوية والأعشاب وذكر خصائصها واستعمالاتها[1]. والشاهد الذي أورده ابن البيطار يثبت هذا الكلام، فنجد أن حنين بن إسحاق عرف الكراث بوصفه ولم يكن تعريفه لغويا.

ومن خلال دراسة شواهد ابن عمران التي أوردها ابن البيطار في معجمه الجامع يمكننا استخلاص المنهج الذي اتبعه في شرح مصطلحاته ويمكننا من الوقوف المصطلحات الجديدة الخاصة بنباتات المشرق والمغرب العربيين، والتي لم يكن لليونانيين عهد بها ولم تذكر في كتبهم. ومن الأمثلة على شواهد ابن البيطار التي نسبها إلى ابن عمران شرحه لكلمة (كبابة): يقول:" هو حب العروس ويشبهها بالفلفل ويصف شكلها بأن لها أذنابا وأطرافا ولونها أصهب[2]. ونلاحظ أن ابن عمران ذكر خصائص النبات ووصف شكله وقرب مفهومه إلى من يجهله بذكر ما يشبهه. وإذا قارنا شرحه بشرح ابن الهيثم وشرح الغافقي للنبات نفسه، نجد شرح ابن عمران أوضح وأبين، فابن الهيثم اكتفى بذكر حجمها وفرق بين صغيرها وكبيرها أما الغافقي فذكر ترجمتها باليونانية وما جاء من ذكرها عند جالينوس واكتفى بوصفها أنها حب وليست عيدان[3]. فتعريف ابن عمران هو الأقرب للتعريف المنطقي. وفي مثال آخر نجد ابن عمران يشرح كلمة نارمشك: وهي فارسية الأصل، فيذكر معناها بالعربية ثم يذكر نوعها وهي رمانة صغيرة، وبعدها يصف شكلها ولونها ويذكر موضع نوارها ثم يصف طعمها ورائحتها ويختم بذكر منشئها بخراسان وحرارتها ويبسها[4]. هذا هو منهج ابن عمران في التعريف.

---

[1] ـ ينظر: الودغيري، المعجم في المغرب العربي، ص124.

[2] ـ ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج4 ، ص303.

[3] ـ نفسه، ج4 ، ص303.

[4] ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج4، ص471.

2 ـ 1 ـ 2 ـ كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار: هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار القيرواني (ت 369هـ أو 395هـ)، جعل معجمه في أربع مقالات وخص كل مقالة لدرجة من درجات الأدوية، فالمقالة الأولى لأدوية الدرجة الأولى والثانية لأدوية الدرجة الثانية والمقالة الثالثة خصها لأدوية الدرجة الثالثة والمقالة الرابعة وهي الأخيرة لأدوية الدرجة الرابعة. ووزع الأدوية في كل مقالة على حسب طبائعها من الحرارة إلى البرودة، وهي طريقة ابتكرها ابن الجزار لم يسبقه إليها أحد. وبما أن معجم ابن الجزار هو ثاني معجم في الأدوية المفردة بعد معجم ابن عمران، فلا يستغرب أن يجتهد في وضع طريقة للترتيب في غياب من يمكن أن يأخذ عنه طريقة معينة يعتمدها في ترتيب معجمه.

ويرى ابن مراد أن الكتاب موجه لفئة الأطباء والمختصين في الأدوية وليس موجها لعامة الناس، واستنبط هذا الرأي من صعوبة الترتيب الذي اعتمده ابن الجزار في معجمه، وهي طريقة تدل على خبرة ابن الجزار الكبيرة بمعرفة طبائع الأدوية وقواها[1]. ونتيجة لهذه الصعوبة أعيد ترتيبه واختصاره حتى يصبح أقرب للطالب وأيسر، وذكر ابن مراد ثلاثة علماء لم يعرف من هم قاموا بإعادة ترتيب المعجم ومن بينهم المختصر الذي قام به المغربي، والذي أعاد ترتيب المعجم على الحروف الأبجدية وكان القصد من فعله هو تقريبه إلى المطالعة كما صرح في خاتمة مختصرة[2].

هذا عن طريقة ترتيب مادة كتاب الاعتماد، أما عن طريقة التعريف التي انتهجها ابن الجزار في (الاعتماد)، فيمكن القول إنه اتبع منهج ابن عمران وهو التعريف المنطقي أو الموسوعي، ومن خصائص هذا النوع من التعريف هو الإخبار عن خصائص الشيء كذكر

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص16.

[2] . نفسه، ص16.

شكله ولونه ويبسه ولينه، والوظيفة التي يقوم بها ومكان وجوده... وقد أشار ابن مراد إلى أن ابن الجزار زاد أركانا أخرى إلى منهج ابن عمران في الشرح ولم يكتف بالتقليد فقط، وأهم ما أضافه هو ذكر مكان وجود النبات، ووقت نباته، ومقدار الشربة منه[1].وبهذا يكون ابن الجزار قد أبان عن قدرة كبيرة في الابتكار على مستوى الجمع والوضع كذلك.

2 ـ 1 ـ 3 ـ كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لابن الحشاء: وهو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري للرازي، ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحشاء. وقد ذكر ابن الحشاء في مقدمته مصدر الألفاظ التي ضمها في كتابه وهو الكتاب المنصوري في الطب للرازي، وأشار إلى أنها ألفاظ لغوية وطبية[2]. وما عدا هذا المصدر الذي ذكر لا نكاد نجد في متن معجمه أي إحالة إلى مصادر أخرى اللغوية منها أو مصادر الأدوية والنبات إلا نادرا مثل ذكره لشرح دياسقوريدوس لكلمة (دبق)[3]، أو استشهاده برأي ابن الأعرابي في كلمة (دَلْع)[4].

أما المستويات اللغوية في المعجم، فنجده قد ضم ألفاظ اللغة العامة وألفاظا خاصة بالطب والأعشاب والأدوية، فهو معجم يجمع بين خاصية المعجم اللغوي العام والمعجم المختص في الطب والصيدلة. ومثال على الألفاظ اللغوية العامة التي ضمها المعجم: (ذقن) وهو مجمع اللحية، (ذريع) معناه سريع[5]، وهي كثيرة.

---

[1] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص16-17.

[2] ـ ابن الحشاء أبو جعفر أحمد بن محمد، مفيد العلوم ومبيد الهموم، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، ت جورج س كولان و.هـ.ب.ج.رنو، ط1، الرباط، 1941م، ص1.

[3] ـ نفسه، ص46.

[4] ـ نفسه، ص48.

[5] ـ ابن الحشاء، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص50.

أما المستوى الفصيح والمعرّب، فنجد المعجم قد ضم الكثير من الألفاظ ذات الأصول الأعجمية المعرّبة، وهذا أمر طبيعي بما أن المعجم يحوي مصطلحات الطب والصيدلة والنبات وهي علوم برع فيها العجم وأخذها عنهم العرب بعد ذلك، ومثال ذلك مصطلح (زيرباج) فارسي معناه لون الكمون[1]، و (جُلاب) فارسي كذلك[2]. أما العامي من الألفاظ فنجد الكثير منه، وهي في الغالب ألفاظ من العامية المغربية حيث نجد صاحب الكتاب في كثير من الأحيان حين شرحه للفظ يذكر معناه عند أهل المغرب مثل: (حي العالَم) بالمغرب الأُذْنة وشيان[3].

وفيما يتعلق بالتعريف عند ابن الحشاء فنجده يختلف حسب طبيعة الكلمة التي يقوم بشرحها، فالمعجم يضم ألفاظا لغوية عامة يقوم في أغلب الأحيان بشرحها شرحا لغويا مختصرا مثل: (خلخلة) هي عدم انضمام الأجزاء كأن في الشيء منافذ وفُرجا[4]. وقد يكتفي في أحيان كثيرة بقوله عن الشيء أنه غير معروف بالمغرب مثل: (خانق النمر) نبات غير معروف بالمغرب[5]، دون ذكر أي شيء يتعلق بالنبات أو وصفه. وقد يلجأ إلى التعريف الموسوعي لوصف بعض الأشياء والأمراض مثل: (دوال) وهي امتلاء العروق في الساقين من الدم[6]...، ويستفيض في ذكر المرض وموضعه وأصل التسمية.

وبعد هذا الشرح الموجز لبعض ما ألفه أهل المغرب في المعاجم المختصة في الطب والصيدلة، والذي سعينا من خلاله إلى توضيح المنهج الذي ساروا عليه في وضع معاجمهم،

---

[1]. ينظر: نفسه، ص56.

[2] . ينظر: نفسه، ص31.

[3] . ينظر: نفسه، ص35.

[4] . نفسه، ص42.

[5] . نفسه، ص43.

[6]. نفسه، ص44.

وبينا سبقهم وعبقريتهم خاصة في مسألة الوضع، سنقوم بسرد عناوين كتب في الطب والصيدلة وأسماء مؤلفيها من المغرب العربي كما جاءت في كتاب المعجم في المغرب العربي للودغيري، وستظهر لنا غزارة ما أُلف في هذا الفن من قبل علماء المغرب العربي.

فزيادة على ما ذكرنا سابقا من مؤلفات في الطب والصيدلة نجد[1]:

1. إسحاق بن سليمان اليهودي القيرواني(ت320هـ أو 341هـ) (كتاب الأغذية والأدوية). وإن كان لابن مراد رأي في كون هذا الكتاب ليس في الأدوية المفردة مستقلة، بل هو موسوعة في الأغذية، ومقسم إلى أربع مقالات، الأولى في طباع الأغذية والثلاث الأخرى في تحليل خصائص الأدوية الغذائية[2].
2. دونش بن تميم اليهودي (ت360هـ).(كتاب التلخيص في الأدوية المفردة).
3. إبراهيم بن أبي سعيد المغربي المعروف بالعلائي (تقويم الأدوية المفردة).
4. الشريف الإدريسي أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت560هـ) (كتاب الجامع لصفات أشتات النبات).
5. ابن منظور الإفريقي (ت711هـ) (مختصر مفردات ابن البيطار).
6. لسان الدين أبي محمد بن عبد الله السلماني (ت776هـ) (مفردات ابن الخطيب).
7. محمد بن عثمان التونسي (كتاب المختصر الفارسي).
8. أحمد بن عبد السلام التونسي (كتاب الأدوية المفردة).
9. محمد بن يوسف بن الحسين التلمساني (ت895هـ) ألف كتاب (تفسير مفردات طبية).

---

[1] ـ ينظر: الودغيري، المعجم في المغرب العربي، ص125 إلى190.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص14.

10. علي بن حسن بن محمد الزيتوني (ت924هـ) ألف كتاب (مختصر الفلاحة وذكر منافع المفردات).

11. أبا القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني (ت1019هـ) (حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار). وله كتاب آخر بعنوان (حديقة الأزهار) وكتاب ثالث (تفسير بعض الأعشاب والعقاقير مقتطف من كتاب ريحانة الجيوب في العقاقير والعشوب).

12. عبد الغني بن أبي سرحان مسعود الزموري (ت1030هـ) ألف كتاب (شرح الأدوية الواقعة في كتاب القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد)

13. عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت1036هـ) ألف (تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة).

14. عبد العزيز بن أبي بكر الرسموكي البرجي (ت1065هـ) ألف كتاب (كشف الرموز في الطب).

15. أحمد بن عبد الله بن يعقوب الرسموكي(ت1073هـ) ألف (مسائل في الطب).

16. محمد بن يحيى الهشتوكي (ت1098هـ) ألف كتاب (تأليف في الطب).

17. سعيد بن محمد الرجراجي ألف (كتاب في المفردات الطبية).

18. محمد بن يحيى الأزاريفي السوسي (ق12هـ) ألف (مختصر تذكرة الأنطاكي).

19. محمد بن عبد الرحمن الكلكاتي (الأقوال الملفقة والفوائد المحققة).

20. محمد عبد الله بن عزوز المراكشي (ت1204) نسب إليه كتاب (كشف الرموز والعقاقير والأدوية)، وله كتاب آخر اشتهر به عنوانه (ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة).

21. عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت1205هـ) ألف (كشف الرموز في بيان الأعشاب).

22. عبد السلام بن محمد بن أحمد العَلَمي الحسني (ت1313هـ) ألف كتاب (ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس).

23. أبا الحسن علال بن عبد الله المجذوب الفاسي الفهري (ت1314هـ) ألف كتاب (تجريد المفردات الطبية الواردة في القاموس مع شرحها).

24. أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج السُّلَمي الفاسي (1316هـ) ألف كتاب (الدرر الطبية المهداة للحضرة الحَسَنية).

25. الحاج الدرقاوي (ق14هـ) له كتاب سماه (مؤلف في الطب).

وهناك كتب كثيرة في الطب والصيدلة لمؤلفين من بلاد المغرب يجهل هويتهم مثل: (اختصار كتاب الاعتماد لابن الجزار) و (مفردات المهدوي في الطب). كما استثنينا ذكر بعض المؤلفات في الطب والصيدلة التي كانت عبارة عن أراجيز نظمت في هذا الفن.

ومن خلال هذا الإحصاء لعدد من مؤلفات علماء المغرب العربي في الطب والصيدلة يتبين لنا مدى اهتمامهم بهذه الصناعة وعنايتهم بها ممارسة وتأليفا.

2 ـ 2 ـ المعجم المختص في الطب والصيدلة في المشرق العربي:

2 ـ 2 ـ 1 ـ الحاوي في الطب للرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت313هـ)، ولد وكبر بالري، وسافر إلى بغداد بالعراق، تعلم الطب كبيرا[1]. هو مؤسس علم الطب والصيدلة العربي،

[1] ـ بنظر: الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، ت محمد محمد إسماعيل، مجلد1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000، المقدمة ص أ.

وكتابه الحاوي يعد أضخم موسوعة في الطب والأمراض، تتألف من ثمانية مجلدات، وقسم كل مجلد إلى أجزاء حيث يتألف المجلد الأول من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول في أمراض الرأس، والجزء الثاني في أمراض العين، والجزء الثالث في أمراض الأذن والأنف والأسنان. وسمى مداخل كتابه أبوابا، ورتب الأمراض على حسب الأعضاء التي تكون فيها. وبدأ أول مجلد بأمراض الرأس وما تعلق به من أعضاء كالأذن والعين، ثم انتقل نزولا في المجلد الثاني وقسمه إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الرابع في أمراض الرئة، والجزء الخامس في أمراض المريء والمعدة وما يتعلق بذلك، والجزء السادس في الاستفراغات والتسمين والهزال. أما الترتيب الذي اعتمده فنجده في أغلب أجزاء كتابه اعتمد على ترتيب الأمراض على حسب الأعضاء التي تصيبها، كالأمراض التي تصيب الرأس، أو العين والأذن كما فعل في المجلد الأول، وأمراض الكلى ومجاري البول وغيرها كما في الجزء العاشر من المجلد الرابع.

إلا أنه حين وصل إلى المجلد السابع الذي خصصه للأدوية المفردة التي جعلها في جزأين، خالف ما دأب عليه في الترتيب في باقي المجلدات ورتبهما على حروف المعجم ترتيبا ألفبائيا، فنجده جعل الجزء العشرين للحروف من (الألف إلى حرف الزاي) والجزء الحادي والعشرين من الحرف (السين إلى الياء).[1]وبهذا يكون قد اتبع الطريقة الأسهل في الترتيب ولم يختص بها هو فقط بل اتبعها الكثير ممن ألفوا في الأدوية المفردة كابن البيطار في الجامع وغيره.

أما المصادر التي اعتمدها فهي كثيرة ومتنوعة، وكان يُرجع القول لكل من استعان برأيه في مسألة من المسائل التي أوردها في كتابه، وبما أن علما الطب والصيدلة من العلوم المستحدثة في الثقافة العربية، أي أنها علوم أعجمية أخذها العرب عن طريق الترجمة فمن

---

[1] ـ ينظر: الرازي، الحاوي في الطب، المجلد السابع، ص2909.

الطبيعي أن تكون مصادر الأطباء والصيادلة العرب في أغلبها أسماء ومؤلفات أعجمية، خاصة في القرون الأولى للهجرة وقبل اكتمال العلوم العقلية وتطورها عند العرب، واكتسابها لخصوصيتها العربية سواء على مستوى المصطلحات أو التأليف والابتكار.

والمتصفح لكتاب الحاوي يدرك حجم المصادر الأعجمية التي اعتمدها الرازي في شرح الأمراض والعلل التي احتواها كتابه، فمثلا في أول جزء وهو أمراض الرأس: نجده يستشهد بقول جالينوس[1] في أكثر من موضع، وبرأي بقراط وأفلاطن[2]، ومسائل أبيذيميا، وأريباسيس، وأشليمن...[3].

واعتماده على المصادر الأعجمية لا ينفي لجوءه إلى مصادر عربية مثل: الطبري، [4] ،وأبي جريح[5] والكندي[6].

أما منهج الرازي في الجزء السابع من الكتاب الذي خصصه للأدوية المفردة، فالظاهر أنه اعتمد بشكل كبير على كتابي: (المقالات الخمس) أو ما سمي أيضا بـ(كتاب الحشائش)، للعالم اليوناني ديوسقريديس العين زربي من القرن الأول الميلادي، والكتاب الثاني (كتاب الأدوية المفردة) للعالم اليوناني جالينوس البرغامي (ت 199م)، وهما كتابان باللغة اليونانية ترجما إلى

---

[1] ـ الرازي، الحاوي في الطب، مجلد 1، ص11.

[2]ـ نفسه، مجلد 1، ص14.

[3] ـ نفسه، مجلد 1، ص21.

[4] ـ نفسه، مجلد 1، ص15.

[5] ـ نفسه، مجلد 1، ص25.

[6] ـ نفسه، مجلد 1، ص88.

اللغة العربية، ومن أكثر من استشهد بأقوالهم (بولس). حيث لا يكاد يذكر مصطلحا إلا وذكر رأي العالمين اليونانيين فيه. كما كان ابن ماسويه من أهم مصادره، والطبري كذلك[1].

وهذا يفسر لنا الطريقة التي اعتمدها في شرحه للألفاظ، حيث اعتمد على الشرح المنطقي ولم يهتم بالشرح اللغوي للمصطلحات. وأهم ما مميز قضية التعريف في كتاب الحاوي أنه جمع آراء العلماء في المصطلحات التي جمعها، واعتمد بشكل كبير على أقوال ديوسقريدس وجالينوس في شرح المصطلحات. والملاحظ على مصادر الرازي أن جلها مصادر علمية مختصة، فلا نكاد نعثر على مصدر خصائص الأدوية المفردة من حرارة وبرودة، ويبس ولين، ولِم تُشرب ومقدار ما يؤخذ منها، والأمراض التي تنفع فيها...

ومن طرق التعريف عند الرازي التعريف بالإحالة، مثل: أفعى: هي مذكورة في باب الحية. وأفيون: قد ذكرناه عند ذكرنا الخشخاش.[2] وقد اعتمد هذه الطريقة في مواضع كثيرة، والملاحظ على هذه الطريقة أنه رغم اعتماد الرازي على الترتيب الألفبائي إلا أنه لا يلتزم بها بشكل دقيق، إذ نجده مثلا يحيل شرح كلمة (أسقنقور) وهي في باب الألف، إلى باب السين[3]، وأغافت نذكره في باب الغين[4]. كما قد يذكر مقابل الكلمة العربية باليونانية،مثلجبسين: ويسمى باليونانية (حماقسوس)[5] وكثيرا ما يفعل هذا مع الكلمات العربية، كما في جرجير: باليونانية (هوربيون)[6]، وجاوشير: باليونانية أركافش[7]، ولكن لا نجده يترجم الكلمات اليونانية إلى العربية

---

[1] ـ الرازي، الحاوي في الطب، مجلد 7، ج2، ص21.

[2] ـ نفسه، المجلد7، الجزء1، ص6.

[3] ـ نفسه، ص 7.

[4] نفسه، ص8.

[5] ـ نفسه، ص90.

[6] ـ نفسه، ص91.

[7] ـ نفسه، ص92.

في أغلب الأحيان بل يكتفي بشرحها فقط، وقد يعود السبب إلى أن اعتماده في الشرح كان على كتابي جالينوس و ديوسقريدس.

2 ـ 2 ـ 2 ـ كتاب القانون في الطب لابن سينا: هو الحسين بن عبد الله علي بن سينا الفيلسوف والطبيب، ولد ببخارى (ت428هـ)[1]، ومن أشهر مؤلفاته كتاب القانون في الطب، واعتمد على هذا الكتاب لمدة ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغتاهم، ودرسوه في مدارسهم[2].

ألف ابن سينا كتابه في فترة لم يكن التأليف في الطب قد فصل عن الأدوية، وكان يُخصص لمجال الأدوية بابا ضمن كتب الطب، كما رأينا من قبل عند الرازي في كتابه الحاوي، وهذا الاتجاه في التأليف ظهر في القرن الثالث الهجري، واستمر حتى القرن الثاني عشر، وقد اتبع هذا المنهج في التأليف كل من الطبري أبو الحسن علي (ت250هـ) في كتابه (فردوس الحكمة)، والزهراوي بن عباس (ت404هـ) ألف كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) حيث جعل المقالة التاسعة والعشرين من كتابه لأسماء العقاقير بلغات مختلفة[3]. كما كان للشيخ داود بن عمر الأنطاكي (ت 1008هـ)، مؤلف على نفس المنهج وهو كتاب (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب).

وقد حامت حول ابن سينا وغيره ممن اشتغل بالتأليف في الطب والصيدلة، شبهة استعمال الألفاظ الأعجمية وتعمد الغموض في لغة مؤلفاتهم بغرض إخفاء أسرار مهنتهم عن العوام وليستأثروا بالهيبة والعز، وفي هذا يقول رمسيس جرجس في محاضرته التي ألقاها في المؤتمر

---

[1] ـ ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج4، ص466.

[2] ـ ينظر: ابن سينا أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، ت محمد أمين الضناوي، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999م، ص7.

[3] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي، ص41.

الخامس والعشرين لمجمع اللغة بالقاهرة، وكانت كلمته بعنوان (مصطلحات ابن سينا)، حيث أشار جرجس إلى أن ابن سينا استعمل كلمة (الطاريطوس) الإغريقية للدلالة على حمى الغِبْ، واستعاض بها عن الغِب طلبا للتعقيد[1]. إلا أن هذه التهمة التي أراد بعض المعاصرين إلصاقها بالباحثين القدامى غير ثابتة، خاصة عند أوائل من بدأ في التأليف في مجال الطب والصيدلة، إذ كانت تجربتهم ترتكز على ترجمة مؤلفات الطب اليونانية بحكم أن العرب لم يكن لهم سابق معرفة بهذا المجال، فكان من الطبيعي أن نجد في مؤلفاتهم مصطلحات لأمراض وأدوية من لغات أعجمية، واستعمالهم لهذه المصطلحات كان اضطرارا ولم يكن طلبا للتعقيد والغموض.

أما عن سبب تأليف ابن سينا لكتاب القانون في الطب فقد صرح في مقدمته أنه كان استجابة لطلب بعض خُلّص إخوانه، الذين طلبوا منه تأليف كتاب في الطب يشتمل القوانين الكلية والجزئية[2]. كما ذكر في مقدمته المنهج الذي اتبعه في التأليف، حيث بدأ بالأمور العامة الكلية في قسمي الطب؛ القسم النظري والقسم العملي، ثم انتقل إلى الكلام عن كليات أحكام قوى الأدوية المفردة، ثم في جزئياتها. ثم انتقل إلى الحديث عن أمراض خاصة بكل عضو، حيث يبدأ بتشريح العضو وذكر منفعته[3]. وقد قسم كتابه إلى خمسة كتب وهي:

الكتاب الأول: في الأمور الكلية في علم الطب.

الكتاب الثاني: في الأدوية المفردة.

الكتاب الثالث: في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضوا عضوا من الفرق إلى القدم ظاهرها وباطنها.

---

[1] ـ ينظر: ابن سينا، القانون، المقدمة، ص3-4.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص9.

[3] ـ ينظر: ابن سينا، القانون، ص9.

الكتاب الرابع: في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو وفي الزينة.

الكتاب الخامس: في تركيب الأدوية وهو الأقراباذين.

والملاحظ من تقسيم ابن سينا لهذه الكتب أنه بدأ بالجانب النظري ثم انتقل إلى الأدوية المفردة، ثم بدأ في الجانب العملي للطب وختم بالأدوية المركبة.

أما عن مصادر ابن سينا فنجد أنه قد تنوعت بين مصادر الطب والفلسفة والمنطق[1]. ومن أهم المصادر التي اعتمدها ابن سينا كتاب الحاوي للرازي حيث وقف على ما كان فيه من الصواب فأخذه وانتقد ما كان فيه من خطأ أو زلل، والمصدر الثاني الذي اعتمده هو (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس المجوسي[2]. ولم يشذ (كتاب القانون) لابن سينا عن باقي المؤلفات الطبية التي ألفت في عصره من اعتماده على المصادر اليونانية.

وقد خصص ابن سينا الكتاب الثاني للأدوية المفردة، وقسمه إلى جملتين، أما الجملة الأولى فجعلها في القوانين الطبيعية من أمر الأدوية، والجملة الثانية في ألواح وقواعد في بيان الأدوية المفردة، وقد خص القسم الثاني من الجملة الثانية لبيان الأدوية المفردة على ترتيب جيد، ورتبها على حروف المعجم، مراعيا في ترتيبه الحرف الأول دون بقية حروف الكلمة، كما أدرج الكلمة على حالها دون تجريدها من الزوائد، والغرض من اتباعه هذه الطريقة هو التسهيل على المشتغل بهذا الفن الاطلاع على منافع كل الأدوية[3].

---

[1] ـ ينظر: محمد كاظم الطريحي، ابن سينا، دار نينوى، سوريا، 2009 ص52.

[2] ـ ينظر: إيميلي سافاج سميث، موسوعة الدراسات العربية، ج3 مركز الدراسات العربية، بيروت، لبنان، 1997م، ص1178.

[3] ـ ينظر: ابن سينا، القانون، ج1، ص342.

أما عن طرق التعريف التي اعتمدها، فنجده اعتمد التعريف المنطقي، حيث يذكر ماهية المصطلح، وخصائصه، وطبعه من حرارة وبرودة أو يبس ولين، ويزيد على ذلك ذكر الأعضاء التي ينفع فيها الدواء المذكور، وهي الطريقة التي تميز بها عن غيره ممن اشتغلوا على الأدوية المفردة.

2 ـ 2 ـ 3 ـ المعتمد في الأدوية المفردة للغساني: هو يوسف بن عمر بن رسول الغساني التركماني، وهو ملك يمني (ت694هـ)، وكان ملكا أديبا وعالما، له مشاركات في الطب والفلك والأنساب. ويمكن اعتبار كتابه المعتمد خلاصة لما وصلت إليه معارف المسلمين في الأدوية المفردة[1]، وهذا الحكم يترسخ لدينا حين نعلم أن من أهم مصادره(الجامع) لابن البيطار والذي اعتمد عليه في معظم مواده، والمصدر الثاني هو كتاب لأبي يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت493هـ) الموسوم بـ(مناهج البيان فيما يستعمله الإنسان)، كما انه اعتمد على كتاب أبي الفضل حسن بن إبراهيم التُّفليسي، والزهراوي، وابن الجزار[2]. فالمصادر التي اعتمدها الغساني هي التي ذكرها في مقدمة كتابه ولا نجده يشير إلى غيرها في معجمه، حيث اختصر أسماء مؤلفي المصادر في حروف مثل ابن البيطار جعل علامة اسمه (ع) وابن جزلة (ج)، والتفليسي علامة اسمه (ف)، أما الزهراوي فعلامته (ز)، إلا ابن الجزار فإنه أثبت اسمه ولم يجعل له علامة. والملاحظ أن مصادر الغساني كلها طبية وصيدلية، ولا نجده ذكر غيرها بل يكتفي بالإشارة إليها فقط.

---

[1] ـ ينظر، ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص53.

[2] ـ ينظر: الغساني يوسف بن عمر بن علي بن رسول، المعتمد في الأدوية المفردة، ت محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص3.

أما المستويات اللغوية التي وقفنا عليها في معجم المعتمد فهي من حيث العموم والخصوص يمكن القول إن المستوى الطاغي على المعجم هو اللغة المختصة، فالمادة التي عالجها الغساني هي من المصطلحات الصيدلانية. أما إذا اعتمدنا على تصنيف الألفاظ من حيث الفصاحة والمولدة والأعجمية، فنجد أن المعجم قد جمع المستويات المذكورة. ومن أمثلة الألفاظ الفصيحة نجد (جمّار)[1]، و(إثمد)[2]. أما المستوى الثاني وهو المولدة فهي كثيرة بحكم أن مادة المعجم من المصطلح العلمي المختص، والتوليد هو من أهم وسائل وضع المصطلح، مثاله (ثُفْل) وهو في اللغة ما يبقى مترسبا تحت الشيء، أما معناه في المعتمد هو ثفل دهن الزعفران، وثفل عصير الزيت[3]. وكما نجد حضورا لافتا للمستوى العامي من الألفاظ التي أدرجت في المعتمد، خاصة وأن الغساني قد أخذ أغلب مادة معجمه من كتاب الجامع لابن البيطار، ومعروف عن ابن البيطار ترحاله بين دول كثيرة، وكان يدون ما يجده من أسماء الأشياء باللغة العامية للبلد الذي يجد فيه الدواء أو النبات، فنجده قد أدرج ألفاظا من العامية الأندلسية، والمغربية، والعامية المصرية، مثل: آطريلال: نبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب. وآرغيس وهي مغربية وأهل مصر يسمونه عود ريح[4].وبالنسبة للمستوى الأعجمي فهو كثير ويتمثل في الألفاظ الدخيلة والمعربة التي دخلت إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وهي قليلة مقارنة بالألفاظ التي دخلت إلى العربية بعد الإسلام، وخاصة في مرحلة ازدهار ترجمة كتب العلوم الأعجمية من فلسفة وطب وفلك. وقد كانت المصادر الأساسية التي اعتمدها العرب في الطب والصيدلة مصادر أعجمية، حيث أحصى ابن مراد 1082 مصطلحا من أصل أعجمي في كتاب الجامع لابن البيطار من

---

[1]. نفسه، ص54.

[2] . نفسه ، ص6.

[3] . ينظر: نفسه، ص45.

[4] . ينظر: نفسه، ص5.

أصل 2353 مصطلحا هي مداخل كتاب الجامع بنسبة 45،89% دون احتساب المصطلحات الموجودة في التعريفات[1]. ومن أمثلة الألفاظ الأعجمية: أميرباريس: وهو البرباريس، والزرشك بالفارسية[2]، و أنزروت: فارسي[3].

أما عن قضية الوضع في معجم المعتمد بركنيها الترتيب والتعريف، فقد أشار الغساني في مقدمته إلى طريقة ترتيب معجمه، حيث رتبه على حروف المعجم طلبا للتسهيل وتقريبا للفهم، والترتيب يكتسي أهمية كبيرة في بناء المعجم وقد عده الدارسون المحدثون ركنا أساسيا في المعجم، والدليل على ذلك تصنيفهم للمدارس المعجمية على حسب طرق الترتيب التي اتبعها المؤلفون في معاجمهم[4]. والترتيب الألفبائي من أيسر طرق الترتيب التي اتبعها مؤلفو المعاجم خاصة المعاجم المختصة.

وقد راعى الغساني في ترتيب معجمه الحرفين الأول والثاني من الكلمة، وانتهج طريق ابن البيطار في الترتيب حيث بدأ بالكلمات التي أولها ألف ممدودة مثل (آطريلال) ثم (آرغيس) وبعدها ينتقل إلى كلمة التي تبدأ بهمزة ويتلوها باء مثل (أبهل)[5] ... كما أنه رتب الكلمات كما تنطق دون تجريد أو إرجاعها إلى أصلها.

أما عن الركن الثاني من أركان الوضع وهو التعريف، فيمكن القول إن الطريقة التي اتبعها الغساني في تعريف مادة معجمه هي الطريقة نفسها التي اتبعها مؤلفو المصادر التي أخذ منها مداخله، وعلى رأسها كتاب الجامع لابن البيطار. وأول نوع من أنواع التعريف التي اعتمدها هو

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العربي المختص، ص100-101.

[2] ـ نفسه، ص9.

[3] ـ نفسه، ص10.

[4] ـ ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1 القاهرة، ط2، 1968. ص215.

[5] ـ ينظر: الغساني، المعتمد، ص5.

التعريف المنطقي أو الموسوعي، وهو تعريف يشتمل على عدة أركان، عدها داود الأنطاكي (ت1008هـ) اثني عشر ركنا ذكرها في مقدمة كتابه (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب)، بدأها بذكر أسماء المفردات بالأسنة المختلفة وثناها بماهيته ولونه ورائحته وطعمه ولزوجته وخشونته وملاسته وطوله وقصره... إلى أن ختم بالمكان الذي يجلب منه الدواء[1]، إلا أن هذه الأركان لا تذكر كلها دائما مجتمعة مع كل مدخل، وفي أغلب الأحيان يذكر بعضها في المدخل الواحد، إلا أن ابن البيطار في كتابه الجامع يعد من أكثر المؤلفين التزاما بذكر معظم الأركان وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه حين بيّن أن الغرض من كتابه هو استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية.[2] ومثال ذلك ما جاء في المعتمد نقلا عن ابن البيطار:"بنجنكشت: (ع) تأويله بالفارسية ذو الخمسة الأصابع، وغلط من جعله البَنْطافِلُن، وورقه وحبه، فقوتهما حارة يابسة، وجوهرهما جوهره لطيف، وزهره كذلك، وفي طعمهما جميعا حراقة وعفوصة، وإذا أكلت ثمرته أسخنت إسخانا بينا، وأحدث صداعا..."[3]. فنجده يذكر معنى الكلمة بالفارسية ثم حرارته ويبسه، وطعمه وخصائصه العلاجية.

أما الصنف الثاني من التعريف فهو التعريف اللغوي، الذي يهتم بتفسير المصطلح الأعجمي وتقريب معناه وهذا بترجمته كما رأينا في المثال السابق حين ترجم كلمة (بنجنكشت) ومعناها بالفارسية ذو الخمسة أصابع. وقد يستعمل نوعا آخر من التعريف اللغوي وهو التعريف بالمرادف ومثاله:" (بهار) هو (الأقحوان الأصفر)[4].

---

[1] ـ الأنطاكي (داود بن عمر)، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، ج1، ص18.

[2] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص3.

[3] ـ الغساني، المعتمد، ص30.

[4] ـ الغساني، المعتمد، ص31.

أما النوع الثالث من التعريف فهو التعريف المرجعي. ويعتمد على تعريف المصطلح المدخل بمصطلح قد عرف في موضع آخر من الكتاب ومثاله: إنقرديا: (ج) هو البلاذُر. وسنذكره في حرف الباء إن شاء الله[1]. وهناك نوع رابع من التعريف وهو التعريف الإحالي ومثاله:" دهن البَلَسان: تقدم ذكره في حرف الباء، مع بلسان"[2].

2 ـ 2 ـ 4 ـ فردوس الحكمة في الطب للطبري: هو أبو الحسن علي بن سهل ربّن الطبري، لم نجد له تعريفا وافيا في كتب التراجم، وقد اختلف في اسمه ووقع فيه تصحيف فهناك من سماه علي بن ذيل وفي موضع آخر سمي بعلي بن ربّن[3].

أما مؤلفه فردوس الحكمة فهو كتاب مختصر جميل التصنيف لطيف التأليف كما قال فيه ابن القفطي.

---

[1] ـ نفسه، ص11.

[2] ـ نفسه، 128.

[3] ـ ينظر: الطبري أبو الحسن علي بن سهل، فردوس الحكمة في الطب، ت محمد زبير الصديقي، مطبع آفتاب، برلين، 1928م، المقدمة، ص د–هـ

الفصل الثالث:

جهود علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة

تمهيد:

شاركت الأندلس في النهضة العلمية العربية والإسلامية بشكل عام، والنهضة اللغوية بشكل خاص، ولعب علماء الأندلس دورا كبيرا في تطوير الحياة العلمية والفكرية واللغوية العربية، وكانوا على قدم المساواة مع علماء المشرق في الجهد المبذول للنهضة بالأمة الإسلامية، والملاحظ أن نشأة العلوم عامة والعلوم اللغوية خاصة قد تأخرت في الأندلس مقارنة بالمشرق العربي بحكم تأخر الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، لهذا بنيت الدراسات اللغوية الأندلسية على قواعد ما أنتهجه علماء المشرق، حيث ساهمت الرحلات العلمية والهجرة بين المشرق العربي والأندلس في انتقال العلوم العربية إلى الأندلس.

المبحث الأول: الحياة اللغوية والعلمية في الأندلس

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي تحت الحكم القوطي الغربي، وكانت عاصمتها طليطلة، أما اللغة الرسمية في إسبانيا في ذلك الزمن فهي اللغة اللاتينية والتي كانت لغة الثقافة، وكانت إشبيلية مركزا ثقافيا هاما في إسبانيا ومسقط رأس ايزيدور الإشبيلي (636 م)، الذي نقل الفكر اليوناني والروماني إلى القرون الوسطى، ومن أهم كتبه (الاشتقاق اللغوي).

1 ـ الحياة اللغوية في الأندلس:

أصبحت اللغة العربية هي اللغة الأكثر انتشارا في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، فكانت لغة العلم واللغة الرسمية، ومن أهم أسباب انتشار اللغة العربية دخول الكثير من الإسبان في الإسلام وتقبلهم للوافدين الجدد لما رأوه من تسامح وحسن معاملة من قبل الفاتحين، وبما أن دين الإسلام مرتبط باللغة العربية بحكم أن القرآن نزل بها و بها كتبت العلوم الإسلامية، كان من البديهي أن يسعى سكان البلاد الأصليين إلى تعلم اللغة العربية من أجل ممارسة شعائر الدين الإسلامي[1]، وكان هذا هو السبب الرئيس لاهتمام الإسبان باللغة العربية والسعي لتعلمها.

ومن أهم أسباب انتشار اللغة العربية في الأندلس وقبولها أن الفاتحين الذين حكموا البلاد كانت لغتهم هي العربية، وبما أن القاعدة تقول إن المغلوب يتبع الغالب، فقد سعى الإسبان إلى تعلم لغة الحكام الجدد الذين يمثلون السلطة والقوة الحاكمة في البلاد.

---

[1] ـ ينظر: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص128.

ولم يكن الدين والسياسة وحدهما سببا في انتشار اللغة العربية في الأندلس، ولكن لعب العامل الثقافي والأدبي دورا كبيرا في انتشارها، حيث اكتشف الإسبان التراث الأدبي والعلمي العربيين ولاحظوا افتقار لغتهم للزخم الثقافي الذي كانت تحظى به اللغة العربية فأقبلوا عليها تعلما ودراسة حتى إنهم انقلبوا على لغتهم الأصلية وصار يُنظر إلى الآداب اللاتينية على أنها أسخف ما يرمى به أهل السخف على حسب ما قاله الرافعي[1]. وأصبح كل من يبحث عن الثقافة والعلم لا بد له من تعلم العربية أولا.

وقد نشأت الحركة اللغوية في الأندلس في ظل الفتن والتناحر السياسي الذي كاد يعصف بالوجود الإسلامي في تلك البلاد، ويمكن التأريخ لها بالقرن الثاني للهجرة، وفي عهد الأميرعبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان،الملقب بالداخل (13هـ –172هـ)، إلا أنه يمكن القول إن الحركة اللغوية في الأندلس بدأت قبل هذا التاريخ، فقد كان من بين الفاتحين لتلك البلاد رجال من التابعين الذين كان لهم حظ من العلوم الشرعية وما اتصل بها، وقد عمل هؤلاء التابعون على تعليم الناس دينهم وبالتالي تعليمهم اللغة العربية، وقد ذكر صاحب (نفح الطيب) أن حِبان بن أبي جبلة (ت122هـ)، من التابعين الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير، وكان من بين من أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ليعلموا أهل إفريقيا[2]، ومعروف أن العلوم الشرعية مرتبطة بعلوم العربية، فمعرفة اللغة ضرورية على أهل الشريعةلأن مصادر الشريعة هي القرآن والسنة وهي بلغة العرب ومن نقلها وشرحها هم العرب، فلابد من الاطلاع على العلوم المتعلقة باللسان العربي لمن أراد علم الشريعة[3]. فمن التمس طريق العلم الشرعي

---

[1] ـ ينظر: الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1954م، ص347.

[2] ـ ينظر، المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص278.

[3] ـ ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1983، ص1055.

كان لزاما عليه المرور على طريق اللغة العربية التي هي وعاء هذا العلم. وكانت المساجد في الأندلس لا تقتصر على العبادة وتعليم علوم الدين بل كانت مركزا لتعليم المعارف الشرعية واللغوية، وعندما نطلع على عدد المساجد التي كانت في عهد عبد الرحمن الداخل والتي بلغت أربعمائة وتسعين مسجدا في قرطبة لوحدها، ثم زادت بعد ذلك كثيرا[1]، ندرك زخم الحركة العلمية والثقافية التي كانت سائدة في ذلك الزمن.

ويمكن القول أن تلقين المعارف اللغوية والنحوية كان قائما خلال القرن الثاني الهجري، وقد أشار الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين إلى الدور الذي لعبته الحلقات التي كان يعقدها المؤدبون في نشر المعارف[2]، وهذا يؤكد أن الدرس اللغوي والنحوي في الأندلس بدأ منذ القرن الثاني الهجري.

أما من الناحية المكانية فقد كانت قرطبة عاصمة الخلافة وعاصمة العلم والثقافة، وتطورت شيئا فشيئا حتى صارت تضاهي بغداد وغيرها من العواصم المشرقية في العلم والحضارة. وقد أصبحت قرطبة موطنا للعلماء ومركزا للعلم والثقافة ومجالس العلم، وانتشرت فيها المدارس والجامعات، وقد ذكر ابن رشد القرطبي أن قرطبة كانت مقصدا لمن أراد أن يبيع كتب العلماء إذا ماتوا بإشبيلية[3]، وهذا دليل على مكانة العلم والكتب العلمية في قرطبة، وكناية عن كثرة رواد العلم والعلماء الذين يتهافتون على اقتناء الكتب.

---

[1] ـ ينظر: المقري، نفح الطيب،ج1، ص540.

[2] ـ ينظر: أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ت أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص 256.

[3] ـ ابن حارث بن أسد القيرواني، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص35.

وكان جامع قرطبة هو الجامعة التي قادت النهضة العلمية والثقافية في الأندلس، حيث التحق به العلماء والفقهاء ودرس فيه مشاهير الفقهاء ونخبة من العلماء. تأسس جامع قرطبة على يدي الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل سنة 169هـ، وبني على أنقاض كنيسة قديمة في قرطبة. وقد ذكره الحميري الجغرافي الأندلسي وأثنى عليه ثناء كثيرا وأطال في وصفه وذكر دقائقه وأبدع في نقل كل ما يتعلق به، فذكر جودة بنائه وسعته وجمال هيئته، حتى إنه نفى أن يكون في مساجد المسلمين مثله تنميقا وطولا وعرضا، وذكر أن فيه 113 ثريا أكبرها تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل 12 مصباحا...[1]. ويظهر هذا الصرح البديع لجامع قرطبة من الناحية المعمارية أهميته ومكانته ويبين مدى اهتمام أمراء الأندلس بهذا المعلم الديني والحضاري.

وقد ترجم الزبيدي في الطبقات لعدد من النحويين واللغويين الذين رحلوا إلى الأندلس ودرسوا علوم الشريعة واللغة هناك، وأولهم من الطبقة الأولى: أبو موسى الهواري وكان أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب في الأندلس، وانتقل إليها في بداية خلافة عبد الرحمن بن معاويةالداخل،بعد أن أخذ الفقه عن مالك ومن عاصره من الأئمة، كما أخذ اللغة عن الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهما في المشرق[2]، وبهذا يكون قد جمع بين الفقه وعلوم العربية. كما ذكر الزبيدي الغازي بن قيس من بين العلماء الذين درَّسوا بقرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل، وهو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس، كما أدرك من رجال اللغة في المشرق

---

[1] ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م، ص456-457.

[2] ـ ينظر: الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، ت أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص253.

الأصمعي ونظراءه[1]. ومن النحويين الأندلسيين: جودي النحوي، والأحدب، وسوار بن طارق، والشمر بن نمر[2]. وقد جمع أصحاب هذه الطبقة بين علوم الشريعة وعلوم اللغة، حيث كان الدرس اللغوي في بداياته لم ينضج بعد، وكان مقتصرا على ما يحتاجه الناس لتعلم لغة القرآن والسنة النبوية.

ثم يأتي علماء الطبقة الثانية التي ينتمي إليها أبو حرشن وغيره من علماء اللغة والنحو إلى أن ينتهي إلى الطبقة السادسة وعلى رأسها منذر بن سعيد القاضي. ومن علماء المشرق الذين كان لهم الأثر البالغ في تطوير الدرس اللغوي في الأندلس نجد أبا علي القالي (ت 356هـ)، فقد انتقل إلى الأندلس ودخل قرطبة سنة 330هـ، وكان للقالي دور بارز في نضوج الدرس اللغوي بالأندلس بفضل الكتب التي نقلها معه إلى الأندلس ومنها دواوين الشعر كديوان ذي الرمة، وديوان الحطيئة... كما استقدم معه ثمانية وعشرين جزءا من أخبار نفطويه، وابن الأنباري وأجزاء من أخبار ابن دريد، فضلا عما رواه من أمهات الكتب[3]، وزيادة على ما استقدمه من مصادر قيمة فقد ساهم القالي في النهضة اللغوية في الأندلس بعلمه الغزير الذي أخذه عن أبي البركات ابن الأنباري ونظرائه، وقد وصف بأنه أحفظ أهل زمانه للشعر الجاهلي وأعلمهم بالنحو وعلله على مذهب البصريين[4].

1 ـ 1 ـ أثر الرحلة بين المشرق والأندلس في الدرس اللغوي الأندلسي:

---

[1] ـ ينظر: الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، ص 254-255-256.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص 256-257

[3] ـ ينظر: ابن خير، فهرست ابن خير، ت فرنكشة قدارة زيدين وخليان زيادة، بيروت، بغداد، القاهرة، طبعة جديدة، 1963، ص389.

[4] ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص185.

كانت بغداد مهد الحضارة العربية الإسلامية في المشرق العربي، وصارت عاصمة الخلافة العباسية، وكانت قبلة طلاب العلم ومعقل الثقافة والفن، وعرفت بغداد في العصر العباسي نهضة علمية كبيرة في مجالات متنوعة.

وكان لعلماء الأندلس وطلبة العلم دراية بهذه المكانة التي وصلت إليها بغداد، حتى تمنى أغلبهم زيارتها والأخذ عن علمائها، فهاهو ابن حزم القرطبي (ت456هـ) يعبر عن شوقه لزيارتها بكلام يبين مكانة بغداد عند أهل الأندلس:"بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار واتقاد الخواطر"[1]. وهذه شهادة من عالم تظهر المكانة العلمية الراقية التي وصلت إليها بغداد.

إلا أنه لم يكن في البداية الدافع من الرحلة طلب العلم أو لقاء علماء المشرق، بل كان أداء فريضة الحج، وكان الأندلسيون يسعون للقاء أشهر علماء المشرق قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها للاستفادة من علمهم والرواية عنهم إذا عادوا إلى بلادهم.[2]وصار الأندلسي الذي يعود إلى وطنه ذا مكانة علمية خاصة لروايته عن الشيوخ، مما جعل الرحلة العلمية إلى المشرق ضرورة في حد ذاتها يسعى إليها كل طالب علم قادر على تحمل مشاقها.

وقد اختلف الغرض من الرحلة العلمية وتنوع بين من سعى لطلب الحديث وهناك من رحلطلباللفقه، ومنهم من قصد علماء اللغة والنحو لينهل من علمهم، وهذه الفئة الأخيرة هي التي

---

[1] ـ ابن حزم القرطبي، رسائل ابن حزم، ج2، ت إحسان عباس، بيروت، ص176.

[2] ـ ينظر: البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1967، ص54.

تهمنا في بحثنا هذا، وقد ذكر الزبيدي في الطبقات هؤلاء الرحالة والشيوخ الذين أخذوا عنهم النحو واللغة من بينهم:

1. أبو موسى الهواري، لقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري ونظراءهما[1].
2. الغازي بن قيس، رحل إلى المشرق ولقي من اللغويين الأصمعيونظراءه[2].
3. جودي النحوي، لقي الكسائي والفراء وغيرهما[3].

ومن خلال تتبع أسماء المشايخ الذين أخذ عنهم الأندلسيون النحو واللغة نجد أن الحظ الأوفر كان لعلماء البصرة وبدرجة أقل لعلماء الكوفة، فنجدهم قد أخذوا عن الأصمعي وسيبويه والمازني، والسجستاني والرياش والمبرد، والزجاج وابن قتيبة وابن دريد، ومن علماء الكوفة نجد: الكسائي والفراء وابن الأعرابي وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن السكيت[4]. ومن أهم أسباب غلبة مذهب البصريين على رواد النحو في الأندلس انتشار كتاب سيبويه، وكان الفضل في ذلك لمحمد بن موسى بن هاشم بن زيد المعروف بالأقشتيق الذيلقيَ أبا جعفرٍ الدِّينَوَرِيَّ، وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته، وأخذه عنه روايةً، وأخذه عن المازني،[5].

ومن علماء الأندلس الذين قصدوا بغداد لطلب العلم نذكر:

---

[1] ـ ينظر: الزبيدي، الطبقات، ص253.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص254.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص 256.

[4] ـ ينظر، البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص57.

[5] ـ الزبيدي، الطبقات، ص281.

ـ أبا عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي (ت 286هـ)، وقد رجع إلى الأندلس بعلم كثير في اللغة والحديث والشعر[1].

ـ البياني القرطبي قاسم بن أصبع بن محمد بن يوسف أوب محمد، وكان من أهل النحو والعربية والشعر، وعالما بالحديث ورجاله، أخذ عن المبرد وابن قتيبة وثعلب وابن الجهم وآخرين، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير[2].

ومثلما كانت الرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق، قابلتها رحلة معاكسة من المشرق إلى الأندلس، وكان عدد العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس أقل من علماء الأندلس وطلاب العلم الذين رحلوا إلى المشرق، وهذا منطقي بحكم أن أهل المشرق كانوا هم مشايخ النحو وعلوم العربية والسفر إليهم للأخذ عنهم كان من الضرورات، كما أن تنوع الغاية من الرحلة إلى المشرق بين السعي إلى الحج وطلب العلم ضاعف من عدد الرحالة إلى بلاد المشرق.

وممن رحلوا إلى الأندلس من علماء المشرق نجد أبا جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي، وكان أبو علي القالي من أشهر العلماء الذين زاروا الأندلس وعقدوا بها حلقات العلم، وكان له إسهامات جليلة في بروز الدرس اللغوي الأندلسي، ومن ثمرات جهده أن ظهر في الأندلس ثلة من العلماء في اللغة والنحو كأبي بكر الزبيدي (ت379هـ) وابن العريف وابن القوطية (ت 367هـ)...

ومن العلماء الذين هاجروا إلى الأندلس عالم يعرف بالعجلي، وهو من العراق، كما هاجر من المشرق إلى الأندلس محمد الأعرابي، وقد قدم من الحجاز وحط الرحال بإشبيلية، وأطلق عليه

---

[1] ـ ينظر: شهاب الدين المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب، ج2، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص236.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص47.

ابن حيان اسم الأعرابي العذري، ويدعوه الزبيدي الأعرابي العامري[1]. وقد عاداه الكثير من علماء الأندلس بسبب ما ناله من مكانة عند ابن الحجاج والي إشبيلية، وكذلك بسبب قلة التفاته إلى علماء العربية واستغنائه عنهم[2]، كما عرف عنه استخفافه بهم وامتحانه لهم بإلقائه عليهم مسائل في اللغة والنحو بنية التهكم.

ومن علماء بغداد الذين هاجروا إلى الأندلس طلبا للرزق والشهرة نذكر: أبا اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي، أخذ عن الجاحظ وابن قتيبة وثعلب والمبرد، ولد وعاش في بغداد، سافر إلى الأندلس في عهد الأمير الأندلسي محمد بن عبد الرحمن الذي أكرمه تقديرا لعلمه وفضله[3]

2 ـ الرحلات العلمية للأطباء والصيادلة الأندلسيين إلى المشرق:

كان للرحلة بين المشرق والمغرب الإسلاميين دور كبير في تطور الحياة العلمية بشكل عام، وتطور الطب ممارسة وتأليفا بشكل خاص، حيث رحل الكثير من الأطباء والعشابين إلى المشرق طلبا للعلم واستزادة من المعرفة.

وقد اعتاد علماء الأندلس على الارتحال إلى مواطن العلم والعلماء بالمشرق العربي واتخذوها سنة حميدة لطلب العلوم المختلفة، وساهمت هذه الظاهرة في ارتقاء الحياة العلمية والحضارية في الأندلس، وأصبح لعلمائها مكانة عالية وصيت محمود.

---

[1] ـ ينظر: البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص57.

[2] ـ ينظر: الزبيدي، الطبقات، ص312.

[3] ـ ينظر: ابن سماك العالمي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، ج2، ت محمود علي مكي، مجلة المعد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، ص30-31.

وقد خصص المقري في كتابه (نفح الطيب) المجلد الثاني للترجمة للعلماء الذين رحلوا إلى المشرق،ومع ضخامة المجلد وحجم ما احتواه من ترجمات لعلماء أندلسيين اتخذوا من الرحلة إلى المشرق سبيلا لطلب العلم والاستزادة منه، فإنه قال في بداية كتابه أنَّ حصْرَ عدد العلماء الذين رحلوا إلى المشرق لا يمكن بحال من الأحوال، ولو أنه استرسل في ذكر من عرفهم من العلماء لطال الكتاب، فاختار أن يذكر أشهرهم من غير إطناب ممل أو اختصار مخل[1].

وكانت أكثر العلماء الذين قصدوا المشرق لطلب العلم، من كان مقصدهم طلب علم الشريعة من فقه وتفسير وحديث، ثم بالدرجة الثانية طلب علوم اللغة والنحو، وهناك من قصد المشرق طلبا للتصوف ومنهم من كانت غايته طلب الفلسفة والطب غيرها من العلوم الدخيلة[2]. وقد استقر بعضهم في البلاد التي ارتحل إليها، لكن معظمهم عاد إلى الأندلس وساهموا في قيام الحضارة الأندلسية بكل أبعادها العلمية والفكرية والعمرانية.

ولأهمية الرحلة العلمية عند الأندلسيين فقد كان يعاب على العالم الذي ليس له رحلة في طلب العلم، ويعد ذلك منقصة في حقه وقدحا في علمه ، حتى إنه قل من علماء الأندلس من لم يرتحل لطلب العلم[3]. فكانت الرحلة إلى المشرق بمثابة الشهادة العليا التي يتلقاها العالم وتؤهله لأن يكون صاحب مكانة علمية مرموقة، وآراء علمية موثوقة، خاصة إذا تلقى العلم مشافهة وسماعا عن علماء المشرق المشهورين.

---

[1] ـ ينظر: المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج2، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ص5.

[2] ـ أحمد أمين، ظهر الإسلام ، ج3، شركة نوابغ الفكر،القاهرة، 2009، ط1، ص30.

[3] ـ ينظر: العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، 74.

وكان للمشرق الإسلامي تأثير كبير على صناعة الطب والصيدلة في الأندلس، وكان المقصد الأول هو بغداد مركز الحضارة والعلم، وقد أدرك الأندلسيون مكانتها العلمية فلا نكاد نجد عالما من الأندلس إلا زارها ومكث بها[1]. وكان أهل الأندلس يحرصون كل الحرص على الاستفادة من كل ما يؤلف في العلوم المختلفة في بغداد، فهذا ابن حزم الأندلسي يشيد ببغداد وعلمائها في قوله:"لقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد، وما علمناه علم على أنهم علية الرؤساء والأكابر العلماء، ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في ذلك أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم"[2]، وبهذا يكون قد أقر أن ليس هناك من يجاري علماء بغداد في تأليفهم.

ولم تكن بغداد وحدها مقصد علماء الأندلس، بل كان للقاهرة والشام والحجاز نصيب من هذه الهجرات العلمية.

كما لم يقتصر تأثير المشرق على الأندلس بفعل الرحلات العلمية التي قام بها الأندلسيون، وإنما كان للكتب المشرقية التي دخلت الأندلس تأثير كبير على نمو الحضارة الأندلسية، وزيادة على الكتب التي كان يجلبها الرحالة الأندلسيون والذين يعودون محملين بها من مراكز العلم المشرقية، أو التي كان ينقلها العلماء المشارقة الذين ارتحلوا إلى الأندلس، فقد كان لحكام الأندلس دور كبير في جلب عدد ضخم من تلك المؤلفات عن طريق إرسال رسل إلى بغداد مع مبالغ مالية كبيرة من أجل الحصول على أهم الكتب التي ألفت في مختلف العلوم، ولم يقصر

---

[1] ـ ينظر: نفسه، ص60.

[2] ـ المقري، نفح الطيب، ج3، ص165.

أولئك الرسل في مهمتهم وجلبوا إلى الأندلس أرقى الكتب العلمية التي ترجمت في بغداد ودفعوا فيها المبالغ الكبيرة[1].

يرى شوقي ضيف أن الأندلس لها ارتباط علمي وفلسفي بالمشرق، سواء عن طريق استيراد نماذجها الثقافية، أو بارتحال أهل الأندلس إلى المشرق لطلب العلم أو بإيفاد علماء المشرق إلى الأندلس كالقالي مثلا[2].

وقد أفرد المقري صاحب (نفح الطيب) فصلا كاملا من كتابه ذكر فيه أسماء من ارتحل إلى المشرق من الأندلسيين لطلب العلم في المشرق، حيث ترجم لمائة وخمسة وعشرين (125) أندلسيا ممن رحلواإلى المشرق طلبا للعلم في تخصصات مختلفة من العلوم، كما ذكر البلدان التي استقروا بها أو مَرُّوا بها في رحلة طلبهم للعلم[3].ويتبين لنا من هذا العدد الكبير لمن قصدوا المشرق العربي طلبا للعلم بأن هذا النشاط لم يكن فرديا بل كانت ظاهرة جماعية ومطلبا لمن تيسر له ذلك.

ومن الأطباء والصيادلة الذين ارتحلوا إلى المشرقطلبا للعلم نذكر:

1. ابن السمينة: (ت 315هـ)، يحيى بن يحيى المشهور بابن السمينة، طبيب من قرطبة، كان عالما بالحساب والنجوم والطب، وبارعا في علوم النحو واللغة والفقه والحديث[4].

---

[1] ـ ينظر: محمد غلاب، الفلسفة الإسلامية في المغرب، القاهرة، 1940، ص326.

[2] ـ ينظر: شوقي ضيف، ابن زيدون، دار المعارف، القاهرة، 1953، ص9-10.

[3] ـ ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص192-193.

[4] ـ صاعد الأندلسي أبو القاسم بن صاعد، طبقات الأمم، ت لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الكاثوليكية، 1912، 65.

2. عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحرّاني: هاجرا إلى المشرق ومكثا فيه عشرة أعوام وانتقلا إلى بغداد وأخذا كتاب جالينوس عن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ، ثم عادا إلى الأندلس سنة 351هـ وخدما في الطب[1].

3. محمد بن عبدون الجبلي: انتقل إلى المشرق سنة 347هـ، دخل البصرة ومصر وبرع في الطب، كما درس المنطق على يد محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي، ثم عاد إلى الأندلس عام 360هـ، وخدم في الطب، وكان من أهل الحساب والهندسة قبل أن يشتغل بالطب[2].

4. الكرماني أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي (ت458هـ)، طبيب من قرطبة، رحل إلى المشرق واستقر بحران بالجزيرة العربية، اشتغل بعلم الهندسة والطب، ثم عاد إلى الأندلس ومكث بمدينة سرقسطة، ومن الكتب التي جلبها معه رسائل إخوان الصفا ويقال إنه أول من أدخلها إلى الأندلس، كان بارعا في الطب[3].

5. أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (ت595هـ): من بلد دانية من الشرق الأندلسي، رحل إلى مصر سنة 510هـ واستقر بالقاهرة مدة من الزمن ثم عاد إلى الأندلس، وكان أديبا شاعرا حيث ترك مجموعة من القصائد في مدح الأفضل وزير الدولة الفاطمية[4].

6. أبو جعفر أحمد بن حسان: هو طبيب الأمير المنصور الموحدي، رافق الرحالة ابن جبير البلنسي الأندلسي (ت614هـ)، ومن آثاره كتاب في الطب بعنوان (تدبير الصحة)[5]. ومن أهم كتبه التي تركها: (كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء)، والرسالة المصرية التي

---

[1] ـ ينظر: صاعد الأندلسي أبو القاسم بن صاعد، طبقات الأمم، ص81.

[2] ـ نفسه، ص81.

[3] ـ ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص376.

[4] ـ ينظر، العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ص78.

[5] ـ ينظر: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص535.

ذكر فيها من اجتمع بهم من الأطباء والمنجمين والشعراء بمصر، كما ذكر ما شاهده من آثار، وترك (رسالة في الإسطرلاب) ورسالة في الموسيقى و كتاب الهندسة[1].

7. غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري (ت714هـ): من أهل غرناطة، كنيته أبو تمام، تعلم الطب في المارستان بالقاهرة المصرية، برع في الطب على طريقة أهل المشرق، انتقل للمداواة ببجاية، ثم عاد إلى الأندلس فخدم في قصر السلطان[2].

هذه عينة صغيرة جدا من أطباء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم والشهرة، وعاد أغلبهم إلى الأندلس وبقي منهم القليل في بلاد المشرق.

وكما كانت الرحلة من الأندلس إلى المشرق، كانت هناك هجرة عكسية للكثير من أطباء المشرق إلى بلاد الأندلس، وأغلب من رحل إلى الأندلس كان غرضهم الاسترزاق، خاصة لما ضاق بهم الحال في بلدانهم. ومن أشهر هؤلاء:

1. الطبيب يونس بن أحمد الحراني: انتقل إلى الأندلس من المشرق أيام الخليفةالمستنصر بالله، واكتسب شهرة في قرطبة، ومن أهم إنجازاته دواء لأوجاع الجوف كان يبيعه واكتسب منه مالا[3].

2. أبو جعفر الجزار: وهو الطبيب أحمد بن أبي خالد الجزار، سكن القيروان، وله مؤلفات في غير الطب كتأليفه التواريخ، وتأليفه كتاب الفصول والبلاغات[4].

---

[1] ـ ينظر: ابن خلكان، وفيات العيان، ج1، ص243-247.

[2] ـ ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص202-203.

[3] ـ ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص94.

[4] ـ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص87.

3. إسحاق بن سليمان الإسرائيلي: وهو طبيب مصري، أخذ الطب عن إسحاق بن عمران الذي يعد أول من وضع معجما مختصا في الأدوية المفردة في اللغة العربية بالقيروان ـ بتونس ـ تحت عنوان (الأدوية المفردة) إلا أن الكتاب مفقود اليوم، وليس لنا منه إلا شواهد ذكرها الغافقي في كتاب (الأدوية المفردة) وابن البيطار في كتابه (الجامع)[1]. خدم إسحاق بن سليمان عبيد الله الشيعي بصناعة الطب، عاش أكثر من مائة عام، وله كتب كثيرة منها: كتاب في (الحميات) وآخر في (البول)، و (كتاب في الحدود) وآخر في المنطق وكتاب في (الترياق).[2]

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد دراسات في المعجم العربي، ص13.

[2] ـ ينظر: العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ص84.

المبحث الثاني: ظهور المعجم المختص في الأندلس

1 ـ بداية التأليف المعجمي في الأندلس:

يعتبر القرن الرابع الهجري مرحلة مهمة في تاريخ الحضارة الأندلسية، فمن الناحية السياسية انفصلت الأندلس عن المشرق بعد إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة، وبهذا الانفصال بدأ الخليفة الناصر يبحث عن إعطاء الأندلس زخما حضاريا وثقافيا يتماشى مع القوة العسكرية والسياسية التي تميزت بها، وعمل على أن تكون الأندلس مركزا علميا ينافس عواصم الشرق لاسيما بغداد.

لكن هذا الرقي الذي بحث عنه الناصر لم يكن ليتحقق بمعزل عن تأثير المشرق وخاصة عاصمة العلم والثقافة بغداد، وكما رأينا من قبل فقد لعبت الرحلات العلمية بين المشرق والأندلس دورا هاما في نهوض الحياة العلمية والثقافية في الأندلس بشكل خاص. وبما أننا في بحثنا هذا نبحث في الجانب المعجمي واللغوي بشكل عام،والذي كان سائدا في الأندلس، فيمكن اعتبار أن أبا علي القالي (ت356هـ) الذي رحل إلى الأندلس كان له التأثير الأكبر في تأصيل الدرس اللغوي الأندلسي، وقد أنشأ مدرسة مع تلامذته استمر تأثيرها على المنهج اللغوي في الأندلس لقرون، ويعود الفضل للقالي في بداية ظهور الحركة المعجمية في الأندلس.

رحل القالي إلى الأندلس سنة 330هـ أيام حكم الخليفة الناصر، وبدأ في عقد حلقات العلم وتدريس علوم العربية بقرطبة، وكان قد جلب معه أمهات الكتب العربية وعكف على تدريسها لتلاميذه، كما ألف الكثير من الكتب اللغوية والأدبية التي انتشرت وصارت مرجعا للمدرسة التي أنشأها القالي، ومن أهم الكتب التي ألفها كانت في المعجمية، ويعد أول معجم لغوي عام ألف

في الأندلس بعنوان (البارع في اللغة)، ويمكن القول إن الذين ألفوا في المعاجم بعد القالي من أهل الأندلس كان جلهم من تلاميذ القالي وتلاميذ تلاميذه أو ممن تأثر بمدرسته[1]. وبهذا يمكن القول إن أبا علي القالي هو مؤسس المدرسة المعجمية في الأندلس بداية من سنة 355هـ وهو التاريخ الذي أتم فيه معجمه البارع، ثم انطلقت بعد هذا التاريخ الحركة المعجمية الأندلسية، وتفرعت إلى مدارس مختلفة، وتمثلت في تخصصات وأشكال عديدة.

ومن أشهر مؤلفات القالي:

1. الممدود والمقصور: رتبه على أساس التفاعيل ومخارج الحروف من الحلق، أي على طريقة الخليل، وذكر في بعض الكتب أنه لم يوضع له نظير[2].
2. فعلت وأفعلت: ويبدو أنه زيادة على كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم[3]. ويذكر الزبيدي أنه جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج[4].
3. كتاب في الإبل ونتاجها وما تصرف منها ومعها.
4. مقاتل الفرسان: ولم يصل إلينا منه غير اسمه.
5. في حلى الإنسان والخيل وشياتها.
6. في تفسير القصائد والمعلقات وإعرابها ومعانيها.
7. فهرسة أبي علي البغدادي.
8. كتاب الأمثال: وهو عبارة عن معجم في الأمثال رتبه على حروف الهجاء.

---

[1] ـ ينظر: عبد العلي الودغيري، المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1984، ص9.

[2] ـ ينظر: الزبيدي، الطبقات، 203.

[3] ـ يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص80.

[4] ـ الزبيدي، الطبقات، ص203.

9. البارع: وهو أول معجم ألف في بلاد الأندلس على حروف المعجم، وكان معجما ضخما يحتوي على مائة مجلد ولم يؤلف مثله في الإحاطة والاستيعاب كما قال الشيخ الإمام أبو محمد العربي[1].

10. كتاب الأمالي: وهو عبارة عن أمال أملاها من حفظه في الأخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء[2].

ومن علماء الأندلس الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الحركة المعجمية الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن، عاصر القالي وأخذ عنه العلم وروى كتبه، وقيل فيه:"إنه كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وأخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر"[3].

من مؤلفاته: كتاب مختصر العين ـ وكتاب المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي ـ واستدراك الخطأ في كتاب العين ـ الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين ـ والواضح في النحو ـ وطبقات النحويين واللغويين ـ والاستدراك على سيبويه[4].

2 ـ التأليف في المعجم المختص:

وما يهمنا هنا هو التأليف في المعاجم المختصة، وهي المعاجم التي ألفت في موضوعات محددة وكانت مادتها تنتمي إلى حقل معرفي واحد، وقد سار علماء الأندلس في هذا المجال على خطى ما ألفه علماء المشرق، حيث نجدهم قد اهتموا بالتأليف في غريب القرآن والحديث، وكتب الأفعال والأسماء، والمعاجم الخاصة بمفردات الأدوية المفردة والأعشاب والأغذية.

---

[1] ـ ينظر: يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص 80.

[2] ـ القالي، الأمالي، المقدمة، ج1، ص3.

[3] ـ يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص 92.

[4] ـ ينظر: نفسه، ص95-96.

وإن كان ظهور المعجم في الأندلس قد تأخر إلى القرن الرابع الهجري، إلا أن إرهاصاته قد بدأت في القرن الثالث الهجري بنفس الطريقة التي سبقت ظهور المعجم في المشرق، حيث نجد عبد الملك بن حبيب أحد علماء الأندلس والذي كان عالما في علوم الشرع واللغة والأدب[1]، ومن أهم مؤلفاته كتاب في شرح غريب الحديث وكان في عشرة أجزاء[2].

2 ـ 1 ـ معاجم الأبنية:

2 ـ 1 ـ 1 ـ معاجم الأفعال:

بدأ التأليف فيما يمكن وصفه بالمعاجم المختصة بمعاجم البنية، وأول من ذكر أبنية اللغة هو سيبويه، حيث جعل لها في كتابه أبوابا جمع فيها أبنية اللغة العربية[3]. وأول من ألف في هذا الفن هو القالي حيث ألف كتاب (فعلت وأفعل)، وهو خاص بصيغتين من صيغ الأفعال (فعل) و(أفعل)، وهذا الكتاب مفقود[4].

كما كان لابن القوطية أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم عيسى بن مزاحم كتاب بعنوان (الأفعال)، ويطلق عليه في بعض المصادر (تصاريف الأفعال)، وموضوع هذا الكتاب هو البحث عن صيغتي فعل وأفعل، والملاحظ أن كتاب ابن القوطية يشترك مع كتاب أستاذه القالي في مادته، وقد يكون لكتاب أستاذه الأثر الكبير في تأليفه. وقسم ابن القوطية كتابه إلى خمسة أقسام هي:

---

[1] ـ ينظر: أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص260.

[2] ـ ينظر: قاسم بن ثابت، دلائل في غريب الحديث، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، 1976، مقدمة شاكر الفحام للكتاب، ص52.

[3] ـ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج2، 315

[4] ـ عبد العلي الودغيري، المعجم العربي بالأندلس، ص100.

القسم الأول مصادر الثلاثي، أما القسم الثاني فخُصص للأفعال الرباعية، والقسم الثالث للثلاثي الصحيح، والرابع للرباعي، والخامس للأفعال الثلاثية خاصة[1]. وقام بترتيبه على حروف المعجم ترتيبا صوتيا على طريقة الخليل في معجم العين، حيث بدأ بحرف الهمزة ثم حرف الهاء، ثم حرف العين إلى أن ينتهي بحرف الياء[2]، فمثلا في قسم مصادر الثلاثي يبدأ بحرف الهمزة وأول فعل يذكره هو "أَجَرَه الله أجْرا"[3]، وفي حرف الياء جاء بفعل وأفعل بمعنى واحد: الثلاثي الصحيح: ينَعَ التمر ينعا ويُنوعا وأينع: طاب[4]. ثم ينتقل إلى قسم الرباعي ويتبع في كل قسم نفس الترتيب، حيث يبدأ بحرف الهمزة وينتهي بحرف الياء ترتيبا صوتيا على حسب مخارج الحروف.

ـ كتاب الأفعال لسعيد بن محمد المعافري اللغوي، ولد بقرطبة، ويكنى أبا عثمان وعرف بابن الحداد[5]، توفي بعد 400هـ شهيدا، وهو تلميذ ابن القوطية[6]، وكتابه هو تتمة لكتاب أستاذه ابن القوطية، حيث أتم ما فيه من نقص وزاد فيه من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية ومن كلام العرب[7]، ويقول في هذا صاحب كتاب الصلة:"وهو الذي بسط كتابه (أي كتاب ابن القوطية)

---

[1] ـ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، كتاب الأفعال، ت علي فوده، مكتبة الخاانجي، القاهرة، ص 3 وما بعدها.

[2] . حرف الياء حسب سيبويه وغيره مخرجه ليس بعد الحروف الشفوية وإنما من وسط اللسان والشجر مثل الجيم والشين.

[3] ـ ابن القوطية، كتاب الأفعال، ص9.

[4] ـ نفسه، ص161.

[5] ـ ابن بشكوال أبو القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، مج1، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010، ص291.

[6] ـ ينظر: نفسه، ص291.

[7] ـ ينظر: المعجم العربي في الأندلس، ص101.

في الأفعال وزاد فيه"[1]. فالكتاب هو تتمة لكتاب ابن القوطية وشرح له ومحاولة لتسهيل مأخذه على طلبة العلم.

ويعد الدافع الأول لتأليف ابن الحداد لكتاب الأفعال هو الوفاء لشيخه ورغبته الصادقة في استكمال ما نقص من كتاب الأفعال[2]. كما أن كتاب الأفعال خصص لـ (فعلت وأفعلت) ولم يتطرق للأفعال الرباعية الأصلية مثل: دحرج وسهلب، وما زاد على ذلك مثل: اقشعر واحمارّ، ولما رأى ابن الحداد هذا الخلل قرر مراجعته وتلافي الخلل الذي وقع فيه وبسط تفسيره وادخل فيه الأفعال التي لم يذكرها من الرباعي وما جاوزها من الزيادة، وزاد في كل باب ما لم يذكره[3]. وهذا العمل الذي قام به ابن الحداد كان ثمرة لسنين قضاها في تدريس كتاب أستاذه ما مكنه من الوقوف على أهم نقاط الخلل فيه، ومعرفته بالنقائص التي احتواها، ومواطن الغموض التي تحتاج إلى شرح وبسط.

أما المنهج الذي اتبعه في ترتيب كتابه فقد اتبع ترتيب أستاذه ولم يبدله، وهو الترتيب على حروف الهجاء مع مراعاة مخارج الحروف، حيث كان أول حرف بدأ به هو الهمزة ثم الهاء، منتهيا بحرفي الواو ثم الياء.

كما قسم كتابه إلى أربعة أقسام: قسم الثلاثي على فَعَل وأفعل باتفاق معنى ـ والقسم الثاني الثلاثي على فَعَل وأفعل باختلاف معنى ـ وقسم الثلاثي المفرد ـ والقسم الرابع للرباعي وما

---

[1] ـ ابن بشكوال أبو القاسم، الصلة، ص291.

[2] ـ المعافري أبو عثمان سعيد بن محمد، كتاب الأفعال، ج1، ت حسين محمد محمد شرف و محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1970، ص24

[3] ـ ينظر: نفسه، ص53-54.

جاوزه بالزيادة مما لم يستعمل ثلاثيه في معناه. إلا أنه في حرف الخاء أضاف قسما خامسا وهو الخماسي.

وقسم الثلاثي إلى أقسام هي: المضاعف ـ الثلاثي الصحيح ـ الثلاثي المهموز ـ الثلاثي المعتل.

وقسم الرباعي إلى مجموعة من الصيغ هي: أفعل المضاعف مثل: أرَن ـ فعللَ ـ فعّل ...

أما الثلاثي المفرد فالقصد منه هو الذي جاء على صيغة (فعل)، وليس منه صيغة (أفعل) مثل (أزج ليس منها آزج) و(أمت ليس منها آمت...)

وفيما يتعلق بالرباعي المفرد فإن ابن الحداد قصد به الذي لم ترد من مادته صيغة ثلاثية مثل: أحضت لا يقال منها حضت...

2 ـ 1 ـ 2 ـ معاجم الأسماء:

كما ألف علماء الأندلس معاجم في الأسماء وهي نوعان: نوع يضم جميع الأسماء والصفات مثل كتب المقصور والممدود والمهموز، وقد ضمها كتاب البارع للقالي، وبعده كتاب ابن القوطية الذي فقد، ثم كتاب ابن مالك (تحفة المودود في المقصور والممدود)[1].

أما النوع الثاني فهو الكتب التي تجمع أسماء خاصة تشترك في أنها تتألف من ثلاثة أحرف، أو تشترك في أن فاء الكلمة فيها ثلاثي النطق: مثل (البَر والبُر والبِر) فالباء هنا مفتوحة ومضمومة ومكسورة، وهذه الأسماء تسمى مثلثات[2]. ومن علماء الأندلس الذين ألفوا

---

[1] ـ ينظر: الودغيري، المعجم العربي في الأندلس، ص108.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص108.

كتبا في الأسماء: أبو حفص عمر بن محمد القضاعي البلنسي (ت570هـ) ألف كتاب (الباهر في المثلث)، كما ألف ابن مالك النحوي (ت672هـ) كتابا سماه (إكمال الإعلام بمثلثات الكلام).

2 ـ 1 ـ 3 ـ معاجم الغريبين:

سار علماء الأندلس على خطى علماء المشرق في شرح غريب القرآن والحديث، وبدأ التأليف في هذا الموضوع في الأندلس مبكرا في القرن الثالث الهجري، حيث ألف في الغريب كل من عبد الملك بن حبيب السلمي (ت239هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشني (ت286هـ)، وكتاباهما قد فقدا، وكتاب الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي.

كما كان لابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت 582هـ) إسهام في مجال الغريبين، إلا أن كتابه لم يعرف اسمه ولكن قيل أنه كتاب كبير في غريب القرآن والحديث[1].

كتاب (المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي) لابن عسكر المالقي أبي عبد الله محمد بن علي بن خضر الغساني المالقي، (ت 636هـ)[2].

---

[1] ـ ينظر: هيثم زينهم مرسي، معاجم الغريبين، ص40.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص44.

المبحث الثالث: المعجم المختص في الطب والصيدلة في الأندلس

لم يقتصر دور الكثير من الأطباء والصيادلة المسلمين على مداواة المرضى وتحضير الأدوية والعقاقير، بل اشتغل الكثير منهم على التأليف في الطب والصيدلة، وعمدوا إلى تفسير الألفاظ والمصطلحات التي تنتمي إلى مجال اختصاصهم وشرحها. وانقسمت هذه المصطلحات إلى مصطلحات طبية ومصطلحات أدوية إما مفردة أو مركبة. وكانت الأدوية تستخلص من مواد طبيعية ومكوناتها من الأشياء التي اعتاد عليها الناس في حياتهم، كالنباتات والأعشاب والحيوانات أو المعادن والأحجار، أو أطعمة وأشربة ونحوها.

ولقد كان لترجمة كتابي ديوسقريديس (المقالات الخمس)، وكتاب جالينوس أثر كبير في ظهور المعجم العلمي المختص عند العرب، وبالتحديد المعجم المختص في الطب والصيدلة.

إلا أن دور العرب لم يقتصر عند ترجمة كتب اليونان والفرس، بل كان لهم منهجهم الخاص الذي استطاعوا من خلاله تطوير الصناعة المعجمية المختصة في الطب والصيدلة، كما كان للرصيد اللمصطلحي الذي دونه العرب في معاجمهم ورسائلهم اللغوية الدور البارز في تكوين الشخصية المعجمية العربية.

وممن ذكر أنه أخذ عنهما الغافقي أبو جعفر بن محمد (ت580هـ)، وابن البيطار، حيث قال الغافقي في مقدمة كتابه (الأدوية المفردة) إنه تعمد الإتيان بكلام ديسقوريدس حرفيا عند شرحه للأدوية التي ذكرها، وسبب ذلك سبقه في هذا العلم، وكان يزيد عليه كلام جالينوس لاستيفائه الغرض المطلوب والمنفعة المرجوة. و ذكر ابن البيطار في كتابه (الإبانة)، أنه رد على أوهام ابن جزلة معتمدا على ما يرجع فيه إلى الأستاذ الأفضل ديسقوريدوس، والمقتدى به الفاضل

جالينوس[1]، كما صرح ابن البيطار في كتاب(الجامع) حيث قال:"واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات في كتاب الأفضل ديسقوريدوس بنصه وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته"[2]. وتُظهر لنا هاتان الشهادتان من أشهر عالمين في مجال الأدوية المفردة مدى التأثير الذي لعبته الحضارة اليونانية في نشأة المعجم العربي المختص في الطب والصيدلة. كما يبين لنا وصف ابن البيطار في كل مرة للعالمين اليونانيين بالأفضل والفاضل قدرَهما عند من اشتغل بهذا الفن ومكانتهما عند أهل الطب والأدوية.

ولما كان التأليف في المعجم اللغوي العام ابتداء مرتبطا بالقرآن الكريم والحديث النبوي، كان المعجم اللغوي إبداعا عربيا خالصا، أما التأليف في المعجم العلمي المختص في الطب والأدوية المفردة فقد كان بتأثير مباشر من اليونان، غير أن العقلية الفذة التي كان يتميز بها الأطباء العرب والمسلمين جعلتهم يتفوقون على اليونان والفرس في هذا المجال.

وقد تأخر التأليف في المعجم المختص في الطب والصيدلة في الأندلس مقارنة بالمشرق العربي، حيث ألف الطبري (ت 250هـ) كتابه (فردوس الحكمة) وهو كتاب في الطب والصيدلة، ثم ألف الرازي (ت 313هـ) كتاب (المنصوري)، ثم يأتي بعدهما أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي (ت 404هـ) بكتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف).

---

[1] ـ ينظر: إبن مراد، المعجم العلمي المختص، ص39-40.

[2] ـ ابن البيطار، الجامع، ص3.

1 ـ الحياة العلمية والفكرية في الأندلس:

1 ـ1 ـ إسهامات علماء الأندلس في العلوم الطبية.

برع علماء الأندلس في العلوم العقلية كما برعوا في العلوم اللغوية والدينية. وتختلف العلوم العقلية عن العلوم اللغوية بكونها لا تختص بجنس من الأجناس أو بقوم من الأقوام أو بعرق من الأعراق، بل هي علوم مشتركة بين جميع البشر، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ القديم.

إلا أن العرب لم يعرفوا العلوم العقلية قبل الإسلام ولا في بداية ظهور الإسلام، وجاءت معرفتهم بها متأخرة مقارنة بعلوم اللغة والشريعة، كما أن معرفتهم بتلك العلوم كان عن طريق كتب اليونان والفرس والهنود. ومن أشهر العلوم التي برع فيها العرب ـ بعد أن أخذوها عن كتب اليونان ـعلما الطب والصيدلة، وكان لأهل الأندلس الحظ الوافر منها.

وكما كان الحال بالنسبة لعلوم اللغة، فقد كان للمشرق أثره الظاهر على علم الطب في الأندلس، حيث لعبت الرحلات العلمية بين المشرق والأندلس دورا كبيرا في نقل العلوم وتلاقح الأفكار، ومن أشهر علماء المشرق الذين ارتحلوا إلى الأندلس: الطبيب يونس بن أحمد الحراني، قدم إلى الأندلس أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، واشتهر بقرطبة[1]. ومن أطباء بغداد الذين هاجروا إلى الأندلس نجد إسحاق بن عمران، ومن مصر رحل إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، ومن أشهر الأطباء أبو جعفر الجزار، وهو أحمد بن أبي خالد الجزار، سكن القيروان[2].

---

[1] ـ ينظر: محمد بشير حسن راضي العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م، ص83.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص84.

ومن ثمرات الرحلات العلمية بين المشرق العربي والأندلس اشتهار أسرة آل زهر في العلوم الطبية، وهي أسرة عريقة خدمت الطب الأندلسي منذ حكم الطوائف مرورا بدولة المرابطين وصولا إلى دولة الموحدين[1]. وكان لهذه العائلة إسهامات طبية جليلة على مدار قرن من الزمان، قدمت خلاله الكثير من الأطباء والمؤلفات الطبية ككتاب (الاقتصاد في صلاح الأجساد) لأبي مروان عبد الملك، وله كتاب آخر بعنوان (الأغذية)، وله كتاب ثالث سماه (الترياق السبعيني)، وغيرها من الكتب التي أسهمت في تطوير الطب في الأندلس خلال القرن السادس الهجري[2].

كما اشتهر الطبيب محمد بن عبدون العذري في عهد الخليفة الناصر، الذي هاجر إلى مصر سنة (337هـ) وعين مديرا لمارستانها[3]. وفي عهد الخلافة بدأ علم الطب ينمو ويزدهر بفعل ترجمة كتب الطب، وبدأ التأليف فيه، ومن أمثلة ذلك كتاب للطبيب سعيد بن عبد ربه ، كما كان للطبيب يحيى بن إسحاق مؤلفات عديدة[4].

كما كان لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي زيادة على شهرته كفيلسوف وفقيه مؤلفات في الطب، الأول: (الكليات) وهو كتاب في المبادئ الطبية العامة، وله مؤلف

---

[1] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، دار دجلة، الأردن، 2016، ص286.

[2] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص286.

[3] ـ ابن أبي أصيبعة أحمد بن قاسم السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، 1998م، ص 452.

[4] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص252.

آخر شرح فيه الأرجوزة الطبية لابن سينا[1]. ومن مؤلفات ابن رشد في الطب كذلك: (تلخيص لكتاب جالينوس)، و(مقال الترياق)[2].

وكان للفيلسوف الطبيب موسى بن ميمون (ت592هـ) مؤلفات كثيرة في الطب الداخلي وعلم العقاقير، غير أنه عاش في سوريا ومصر، ومن أشهر كتبه التي طبعت ونشرت في القاهرة عام 1950، كتاب (شرح أسماء العقاقير)، وهو كتاب له فائدة كبيرة[3].

وفي عصر مملكة غرناطة شهدت الأندلس تراجعا في النشاط الفكري، غير أن هذا التراجع لم يؤثر في النشاط الطبي وهذا لاهتمام الحكام آنذاك بهذا العلم وإعطائه الأولوية. ومن أشهر الأطباء ورواد النهضة العلمية ابن السراج، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري، وكان له مؤلفات في علم النبات[4].

ومن أطباء وصيادلة غرناطة:

1. ابن حسان أحمد الغرناطي ومن أشهر كتبه(كتاب تدبير الصحة)[5].
2. ابن السمح أصبغ بن محمد الغرناطي، ولد بغرناطة، وكان مشتغلا بالهندسة والفلك وكان له عناية بالطب.
3. الشفرة أبو الوليد القربلياني، من كتبه: (كتاب الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام)، وهو كتاب في ثلاث مقالات.

---

[1] ـ ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص489.
[2] ـ ينظر: نفسه، ص489.
[3] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص290.
[4] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص290-291.
[5] ـ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص535.

4. الشقوري أبو عبد الله محمد بن علي، وكان له مؤلفات هي: (تحفة المتوصل في صنعة الطب)، وكتب أخرى.

5. ابن الخطيب، ومن مؤلفاته: (أرجوزة في العلاج من صنعة الطب)، و(رسالة في الطاعون)، و(كتاب المسائل الطبية)، و(المعتمد في الأدوية المفردة)، و(الوصول لحفظ الصحة في الفصول)، و(اليوسفي في صناعة الطب)، و(كتاب في البيطرة)، و(الرجز في عمل الترياق الفاروقي)، وآخرها (رسالة تكوين الجنين)[1].

1 ـ 2 ـ إسهامات علماء الأندلسفي مجال الأدوية:

بدأت أولى التجارب الأندلسية في مجال الأدوية بتأثير من المشرق في منتصف القرن الرابع الهجري مع وصول الطبيب الصيدلاني يونس بن أحمد الحراني إلى قرطبة، وقبل أن يحل هذا العالم بالأندلس كان الطب والتداوي هناك ما زال شعبيا متواضعا موروثا من الحقبة الرومانية، وبحلول الحراني بدأت حقبة جديدة في هذا المجال، حيث عرف الطب والصيدلة في المشرق تطورا كبيرا بعد ترجمة (كتاب الحشائش) لديسقوريدس اليوناني إلى العربية[2]. ومكن كتاب الحشائش المنقول إلى العربية من التعرف على الكثير من النباتات وأنواع الأدوية التي كانت مجهولة عند العرب.

---

[1] ـ ينظر، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ت يوسف علي الطويل، بيروت، 2003، ص388.

[2] ـ السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص295.

ومن أوائل النباتيين الأندلسيين أحمد بن إياس الذي رحل من المشرق إلى الأندلس لما كانت تحت إمارة محمد بن عبد الرحمن، وكان تلميذا ليونس بن أحمد الحراني، ومن العشابين الأندلسيين الذين برعوا في هذا الفن محمد بن فتح، الذي صنع مراهم لعلاج الحروق[1].

1 ـ 3 ـ إسهام علماء الأندلس في علوم مختلفة:

لم يبرع علماء الأندلس في علوم الشريعة وعلوم اللغة والنحو وعلوم الطب والأدوية فقط، بل كانت لهم صولات وجولات في علوم أخرى، كالفيزياء، والكيمياء، والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك.

أما ما تعلق بعلم الفيزياء: فقد كان لابن حزم (ت456هـ) جهود فيها، كما اشتغل ابن الطفيل (ت 581هـ)، بهذا العلم، كما عرف عن أبي عبيد البكري (487هـ) اشتغاله بهذا العلم[2].

وعندما نتحدث عن علم الكيمياء: فأول ما نذكر من علماء العرب جابر بن حيان (ت198هـ)، وهو من أكبر علماء العرب في هذا العلم، حتى إن ابن خلدون ذكر أن علم الكيمياء صار ينسب إلى جابر بن حيان فيسمونه علم جابر[3]، وهذا باعتباره شيخ هذا العلم وإمامه. ومن أشهر من اشتغل بهذا العلم من أهل الأندلس: مسلمة بن أحمد المجريطي (ت398هـ)، وكان له كتاب في هذا الفن بعنوان (رتبة الحكيم). والعالم الثاني هو عباس بن

---

[1] ـ ينظر: السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص303.

[2] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص329-330..

[3] ـ ابن خلدون، المقدمة، ص585.

فرناس التكرني، وكان بارعا في الكيمياء[1]. كما نجد من علماء هذا الفن ابن بشرون، وابن الذهبي أبو محمد عبد الله بن محمد (ت 456هـ)، وغانم الطلمنكي.

أما ما تعلق بعلوم الرياضيات فقد كان الحساب والهندسة أول ما اهتم به العرب، وكان للهنود الفضل في معرفة العرب بالحساب، أما الهندسة فأخذها العرب عن اليونان، أما الجبر فهو من إنشاء العرب وأول من أنشأه الخوارزمي[2].

ومن أوائل الأندلسيين الذين اشتغلوا بعلم الحساب: أبو عبيدة مسلم بن أحمد الملقب بصاحب القبلة (ت295هـ)، أما المجريطي فهو مؤسس المدرسة الرياضية الفلكية، وهو إمام الرياضيين في الأندلس[3] وغيرهما كثير امتد ذكرهم على مدى العصور والملوك والأمراء الذين حكموا الأندلس.

أما علم الفلسفة: فلم يكن للأندلسيين في العصر الأموي اهتمام به، فقد انصب اهتمامهم على علوم الدين واللغة، وكان من يشتغل بالفلسفة عند عامة الناس يوصف بالزنديق. وتأخر دخول الفلسفة إلى الأندلس إلى عهد عبد الرحمن الأوسط، وأول من اشتغل بها أبو عبيدة مسلم بن أحمد، ثم يحيى بن يحيى القرطبي، وأبو القاسم مسلمة بن أحمد[4].

---

[1] ـ ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ت إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، 1989، ص188.

[2] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص342.

[3] ـ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص444.

[4] ـ ينظر: عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، ص382.

2 ـ كتب الطب والصيدلة عندعلماء الأندلس:

2 ـ 1 ـ التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي: هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت 404هـ) نسبة إلى الزهراء وهي المدينة الأندلسية التي ولد بها، وهي ضاحية من ضواحي مدينة قرطبة حاضرة العلم والعلماء. ولقب بالأنصاري نسبة إلى أنصار المدينة المنورة، والذي يرجع نسبه إليهم. كما يكنى بأبي الجراحة لبراعته في الجراحة[1]. عاصر الزهراوي الطبيب ابن سينا (371هـ-428هـ)، وشهد علماء الغرب على عبقرية الزهراوي وبقي كتابه يدرس في جامعات أوروبا لقرون عديدة[2].

ولمكانة كتابه العلمية ترجم إلى لغات عديدة، منها اللاتينية بالبندقية سنة 1490م، وترجم إلى الفرنسية سنة 1861م على يد لوسين ليكلرك Lucein Lecler، وله ترجمة حديثة في مطبعة جامعة كاليفورنيا سنة 1973م من قبل المستشرق م. س. سبينك. [3].M.S. Spink.

وكتاب الزهراوي عبارة عن موسوعة طبية ضخمة تفوق كتاب القانون لابن سينا والحاوي للرازي، وهو عبارة عن تسع وعشرين مقالة، أما عن سبب تسميته فيقول الزهراوي:"وسميته كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب، وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات، وليجد فيه جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف، وكفيتكم فيه قراءة الكتب الكبار المتشعبة المطولة وكتب الأوائل الموحشة المستغلقة، التي لا تجنى منفعة ثمرتها إلا بعد عمر طويل، وتعب شديد، وعناية بالغة، وكل ما جربته واستحسنته في طول عمري منذ ستين

ـ ينظر: الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس، التصريف لمن عجز عن التأليف، ت عبد الله عبد الرزاق [1]مسعود السعيد، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص10.

[2] ـ الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص11.

[3] ـ ينظر: الزهراوي نفسه، ص12.

سنة..."[1]، ومن خلال كلام الزهراوي يتبين لنا أنه ألف كتابا جامعا لعلوم الطب، توخى فيه الوضوح والابتعاد عن الإغلاق والغرابة التي وقع فيهما سابقوه، كما صرح بالمدة التي استغرقها في إنجاز كتابه وهي ستون عاما كاملة، وهذه السنين هي خلاصة تجاربه في مجال الطب.

و من بين الثلاثين مقالة التي احتواها كتاب التصريف للزهراوي، نجد مقالة واحدة وهي المقالة التاسعة والعشرون التي ألفها في صورة معجم مختص في الأدوية، وخصصها لتسمية العقاقير وبدلها وأعمارها، وأسمائها بمختلف اللغات، وشرح الأسماء الواقعة في كتب الطب، وهذه المقالة توجد مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم 4865، وهي مرتبة على حروف المعجم[2]. كما خصص الزهراوي المقالة السابعة والعشرين في معرفة قوى الأغذية وخواص الأدوية وإصلاحها. أما بقية المقالات فهي خلاصة تجربته العملية ومشاهداته العينية للأمراض وكيفية علاجها.

2 ـ 2 ـ كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والألية: لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، (ت529هـ) انتقل إلى تونس وعاش بها إلى حين وفاته، الكتاب لا يزال مخطوطا، وتوجد نسخة منه في الخزانة الحسنية بالرباط (رقم 1716) مكتوبة بالخط المغربي في 26ورقة، وهي في عشرين بابا مرتبة على حسب أنواع الأدوية ومنافعها، ولم يرتب مواد معجمه على حروف المعجم، وبرر هذا في مقدمة كتابه بأن الترتيب على حسب أفعال

---

[1] ـ الزهراوي، كتاب الزهراوي في الطب لعلم الجراحين، ت محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ص13.

[2] ـ ينظر، ابن مراد، المعجم العلمي المختص، ص41.

تلك الأدوية على البدن بشكل عام وفي كل عضو من أعضائه أنسب للمداواة من الترتيب على حروف المعجم[1]. وقد قسم المؤلف كتابه إلى عشربن بابا هي:

- البابالأول: في الأدوية المصفية للدم والمصلحة للجوهر والمسكنة لوجعه
- الباب الثاني: في الأدوية المسهلة للبلغم
- الباب الثالث: في الأدوية المسهلة للصفراء والمطفية لها
- الباب الرابع: في الأدوية المسهلة للسوداء
- الباب الخامس: في الأدوية المسهلة لأكثر من خلط
- الباب السادس: في الأدوية التي تفعل في البدن أفعالا عامة كليّة دون أن يختص بها عضو
- الباب السابع: في الأدوية النافعة من أمراض العظام
- الباب الثامن: في الأدوية النافعة من أمراض العصب
- الباب التاسع: في الأدوية النافعة من أمراض العضل
- الباب العاشر: في الأدوية النافعة من أمراض العروق
- الباب الحادي عشر: في الأدوية النافعة من أمراض الدماغ وبالجملة الرأس وأعضاؤه
- الباب الثاني عشر: في الأدوية النافعة من أمراض القلب وآلات التنفس
- الباب الثالث عشر: في الأدوات النافعة من أمراض الكبد

---

[1] - ينظر: الودغيري، المعجم في المغرب العربي، ص127.

ـ الباب الرابع عشر: في الأدوية النافعة من أمراض الطحال

ـ الباب الخامس عشر: في الأدوية النافعة من أمراض المعدة .

ـ الباب السادس عشر: في الأدوية النافعة من أمراض الأمعاء

ـ الباب السابع عشر: في الأدوية النافعة في أمراض الكليتين

ـ الباب الثامن عشر: في الأدوية النافعة من أمراض المثانة والرحم

ـ الباب التاسع عشر: في الأدوية النافعة من أمراض السرم والمقعدة

ـ الباب العشرون: في الأدوية النافعة من أمراض الأنثيين والقضيب[1].

2 ـ 3 ـ مختصر كتاب حيلة البُرء لجالينوس لابن زهر الأندلسي: هو الوزير أبو بكر محمد بن عبد الملك (ت595هـ) بمراكش، ذكر ابن زهر في كتابه هذا مائة وستة وتسعين مرضا، وذكر الأدوية التي تناسب كل مرض، وكانت البداية بأمراض الرأس منتهيا بأمراض العيون، والكتاب لا يزال مخطوطا توجد منه نسختان في الخزانة الحسنية بالرباط. وهو عبارة عن جداول قسمها إلى ست خانات: جعل الأولى لأسماء الأمراض، والثانية للطبائع، والثالثة للنبض، والرابعة للبول، والخامسة للأدوية، والسادسة للفصد[2]. وقد ذكر الودغيري أن منهج ابن زهر في ترتيب معجمه لا يخرج عن طريقين سلكهما مؤلفو كتب المفردات الطبية والأدوية، أما الطريق الأول وهو ذكر أسماء الأمراض ثم الأدوية التي تناسبها، والمسلك الثاني هو البدء بأسماء الأدوية ثم

---

[1] ـ صلاح محمد الخيمي، فهر مخطوطات الكتب الظاهرية الطب والصيدلة، مج2، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1981م، ص16.

[2] ـ ينظر: محمد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الحسينية، ج2، الرباط، 1983 ص142.

ذكر الأمراض التي تصلح لها[1]. هذه الأخيرة هي التي اعتمدها أغلب من ألف في الأدوية المفردة كابن البيطار وغيره، أما الطريقة الأولى فتعتمد غالبا في كتب الطب والعلل.

2 ـ 4 ـ تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس لابن جلجل: هو أبو داود سليمان حسان بن جلجل، وهو من أهل قرطبة ولد بها سنة 332هـ، كان تلميذا للدينوري حيث سمع عنه الحديث وهو ابن عشر سنين، كما قرأ كتاب سيبويه في آخر عمره قبل وفاته، كما اشتغل بالطب وهو ابن أربع عشرة سنة وغلب عليه واشتهر به، وألف كتابا في طبقات الأطباء والحكماء[2]. وقد توفي بعد سنة 384هـ ويجهل في أي سنة بالضبط كانت وفاته.

كان على دراية بكتاب ديوسقريديس الذي أهداه ملك القسطنطينية أرمانيوس الأول سنة 337هـ للخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمن الناصر، حيث قام عدد من علماء الأندلس بمراجعة ترجمة الكتاب التي قام بها اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق ببغداد، وكان علماء الأندلس يجهلون اللغة اليونانية فأرسل عبد الرحمن الناصر إلى الملك البيزنطي يطلب منه أن يرسل إلى قرطبة عالما يتقن اللاتينية واليونانية، ليعين أطباء الأندلس على ترجمة الكتاب، فأرسل إليه عالما اسمه نقولا الراهب، وكان لهؤلاء الأطباء الدور الكبير في ضلوع ابن جلجل بالعلوم التي احتواها كتاب ديوسقريديس، حيث أدركهم وصحبهم وأخذ عنهم[3]. وهذه الصحبة تفسر لنا سر عنايته بكتاب ديوسقريديس حيث ألف فيه (كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقريديس)، و (مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه) وهي مقالة في ما أغفله العالم اليوناني إما لأنه لم يره عيانا، أو لأن ذلك لم يكن مستعملا في زمانه. كما

---

[1] ـ ينظر: الودغيري، المعجم في المغرب العربي، ص141-142.

[2] ـ ينظر: ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، ت عبد السلام الهراس، ج4، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص85

[3] ـ ينظر:ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص57.

كان له كتاب بعنوان (رسالة التبيّن فيما غلط فيه بعض المتطببين)، وهو كتاب في أخبار الأطباء والفلاسفة، قام بتأليفه في عهد المؤيد بالله. كما أن له (مقالة في أدوية الترياق) وكتاب (طبقات الأطباء والحكماء)[1].

ولم يكن ابن جلجل أول من قام بشرح كتاب ديوسقريديس، بل سبقه إلى ذلك ابن الجزار (ت369هـ)، في كتابه (الاعتماد في الأدوية المفردة)، الذي ألفه قبل عام 334هـ، أي قبل أن تتم المراجعة الأندلسية للكتاب (350هـ). ثم ألف من بعده الغافقي كتابه (الأدوية المفردة)، وقد بين غرضه من تأليف كتابه في نقطتين: الأولى جمع أقوال القدماء والمحدثين من أهل الطب في الأدوية المفردة، والثانية شرح الأدوية المجهولة التي جاء ذكرها في كتب الأطباء[2]. وكان منهجه في جمع أقوال القدماء إثبات أغلب المصطلحات التي جاءت في كتابي ديوسقريديس وجالينوس في الأدوية المفردة، وكان في أغلب الأحيان يحاول شرح المصطلحات اليونانية المجهولة، وكان من أهم مصادره كتاب (المقالات الخمس) لديوسقريديس[3]. كما عمد ابن البيطار في كتابه (الجامع) على استيعاب جميع ما في (المقالات الخمس) لديسقوريديس بنصه، وجميع ما في (المقالات الست) لجالينوس[4]. وكانت محاولة ابن البيطار من أهم المحاولات في مراجعة (المقالات الخمس) بسبب تأخرها عن المحاولات السابقة، وبالتالي استفادة ابن البيطار من المراجعات التي سبقه إليها غيره من الأطباءولمكانة ابن البيطار العلمية وتفوقه الكبير في مجال الأدوية المفردة. ومن خلال تتبع المراجعات والشروح التي دارت حول كتاب (المقالات

---

[1] ـ ينظر: محمد بشير العامري ونهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص181-182.

[2] ـ ينظر: الغافقي، الأدوية المفردة، ص 1-2.

[3] ـ ينظر، إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص214.

[4] ـ ينظر: ابن البيطار، الجامع، ج1، ص2.

الخمس) واتخاذها مصدرا لكثير من المؤلفات الطبية العربية، يبين هذا الاهتمام قيمته عند العلماء العرب ومكانته العلمية، وسبقه في هذا الفن.

وقد اهتم بتفسير كتاب ديسقوريديس وشرحه إضافة إلى ابن جلجل ثلاثة من الأطباء وكلهم من الأندلس، وتكتسي هذه الكتب أهمية كبيرة، فهي في أصلها معاجم لغوية اصطلاحية، وهي المحاولات الأولى لبداية ظهور المعاجم العربية ثنائية اللغة، فهي في حقيقتها معاجم يونانية عربية[1].

وأول من ألف في تفسير مفردات ديوسقريديس من أطباء الأندلس ابن جلجل (توفي بعد سنة 384هـ)، والثاني هو أبو العباس أحمد بن محمد النباتي ابن الرومية (ت 637هـ)، والثالث هو ابن البيطار، أما رابعهم فهو أبو الحسن علي بن عبد الله الإشبيلي المعروف بغلام الحرة[2]. والظاهر أن اهتمام علماء الأندلس بشرح كتاب ديسقوريديس راجع إلى المراجعة التي قام بها أطباء الأندلس للكتاب في عهد الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمن الناصر، فضلا عن مكانة الكتاب العلمية.

أما تفسير ابن جلجل فيمكن إدراجه ضمن صنف المعاجم ثنائية اللغة، وفقد معظمه ولم يصل إلينا منه إلا قسم من شرح جزء من المقالة الثالثة وكامل المقالة الرابعة وجزء من المقالة الخامسة، وقد أحصى ابن مراد عدد المصطلحات التي فسرها ابن جلجل ثلاثمائة وثلاثة وعشرون مصطلحا من جملة مداخل (المقالات الخمس)[3]. وقد عمد ابن جلجل إلى تفسير المصطلحات المداخل دون المصطلحات الواردة ضمن المواد وكان تفسيره عبارة عن ترجمة

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص246.

[2] ـ نفسه، ص246.

[3] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص246

للمصطلح، حيث يقوم بذكر المصطلح المدخل للمقالات الخمس، ثم يأتي بالمصطلح الذي يقابله باللغة العربية، وإذا لم يجد المقابل العربي للمصطلح اليوناني لجأ إلى ترجمته بما يسعفه من مصطلحات بربرية أو لاتينية أو فارسية[1].

أما أبو العباس النباتي فقد ألف كتابا بعنوان (شرح أدوية ديسقوريدوس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها)، والكتاب لا يزال مخطوطا، ويرى ابن مراد أن نسخة منه موجودة في مكتبة نور عثمان باستانبول[2]. ومن خلال عنوان الكتاب يتبين لنا أنه عبارة عن مراجعة لترجمة كتابي العالمين اليونانيين وتصحيح لما وقع من وهم وغلط فيهما بعد ترجمتهما.

وكان لابن البيطار كتاب بعنوان (تفسير كتاب دياسقوريدوس) ألفه في مصر حوالي سنة 623هـ، ولم يصل إلينا الكتاب كاملا بل وصلنا منه شرح المقالة الأولى والثانية والثالثة ونصف من الرابعة، أما بقية المقالة الرابعة وشرح المقالة الخامسة فقد ضاع، وأحصى ابن مراد 553 مصطلحا من المصطلحات التي وردت في المقالات التي بقيت ولم تضع[3].

أما كتاب (شرح كتاب دياسقوريدوس) لأبي الحسن غلام الحُرة، فقد ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي:" كان أبو الحسن غلام الحرة أديبا حافظا شاعرا محسنا كاتبا بارعا ذا مشاركة في الطب وتقدم في معرفة النبات، وله (شرح في كتاب ديسقوريدوس) أفاد به وضبط كثيرا من أسماء الأدوية المذكورة فيه، تلقاها عن مملوكته آنة القليقية، وكانت وقعت إليه من

---

[1] ـ ينظر: نفسه، ص 57.

[2] ـ نفسه، ص 246.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص247.

سبي سرقوسة بصقلية، وكانت أمها قابلة وعارفة للحشائش والأدوية..."[1]. ولم يصلنا من هذا الكتاب شيء كما أشار إلى ذلك ابن مراد، ولا يعرف عنه إلا ما جاء في النص الذي ذكره عبد الملك المراكشي[2].

وبما أن ما بقي من كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ما يزال مخطوطا يصعب الوصول إليه أو الاستفادة منه، فإني سأذكر بعض الملاحظات التي أوردها إبراهيم بن مراد في كتابه (دراسات في المعجم العربي) حول كتاب ابن جلجل[3]: كان لابن جلجل مساهمة في المراجعة الأندلسية لكتاب (المقالات الخمس)، واستفاد كثيرا من جهده هذا،حيث يعد كتابه ثمرة لتلك المراجعات التي قام بها، إذ تحدث عن المشاكل التي واجهها المراجعون وذكر المنهج الذي اتبعوه في معالجة المصطلحات اليونانية.

وقد استنتج ابن مراد من خلال دراسته لما تبقى من كتاب ابن جلجل أن الكثير من المصطلحات اليونانية استعصى على مترجمي بغداد شرحها ونقلها إلى العربية، كما استعصت على المراجعين الأندلسيين ومن بينهم ابن جلجل فاكتفى بذكرها كما وردت في الأصل دون إدراج مقابل لها معترفا بأنه لم يجد لها ما يعرفها، وعددها أربعة عشر مصطلحا كما أحصاها ابن مراد نذكر منها: اسقليبياس، ص1ب، بيحين، ص3أ، و قرقا، ص3أ.

وهذا لا يعني أن ما بقي من مصطلحات غير التي لم يجد لها مقابلا عربيا قد عربت كلها، بل هناك الكثير من المصطلحات ترجم إلى اللاتينية حصرا، وهذا يدل على تساهل علماء

---

[1] ـ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، ج5، ت إحسان عباس وغيره، ط1، بيروت، 1965، ص239.

[2] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص247.

[3] ـ ينظر: نفسه، ص 249-250-251.

الأندلس في استعمال المصطلح اللاتيني وإيراده في كتبهم، وهو نفس المنهج الذي اتبعه اصفن وحنين مع اللغة الفارسية، وهذا راجع لاحتكاك أهل المشرق بالفرس واحتكاك أهل الأندلس بالعنصر الإسباني اللاتيني. وذكر ابن مراد بعض المصطلحات اليونانية التي عرفها ابن جلجل باللاتينية منها: (براطينقي) Bretannikeهو باللطيني برتنوالة حلوة. وألوبن (Alupon) ويسمى بالطيني شلباشُة[1].

أما باقي المصطلحات فيفسرها إمابكلمات عربية أو معربة قديمة من الفارسية أو السريانية، أو يترجم معنى المصطلح ترجمة حرفية. كما كان ابن جلجل في كثير من الأحيان يستعين بالطريقتين لشرح مصطلح واحد، وقد يعمد إلى ترجمته بأكثر من لغة واحدة، وهذا ــ كما يرى ابن مراد ــ دليل على اهتمام من ألف في الأدوية المفردة بقضية التواصل بين اللغة العربية وغيرها من اللغات، إذ ليس هناك ما يجبرهم على ذكر مرادفات أعجمية للمصطلح اليوناني والمقابل العربي متاح إلا قضية تحاور الثقافة العربية والثقافات الأعجمية. ومن أمثلة ذلك:قوله في تعريف (لِيثُس فرمون): تأويله في اليوناني بَزْرُ الحجر، ويقال له بالعربية القُلبُ لشدة بياضه، ويسمى باللطيني شَخْسِفْراغَه، أي كاسر الحجر أو مُشْظِيه.

ورغم النقائص التي كانت في محاولة ابن جلجل تفسير كتاب المقالات الخمس، كاعتماده على المقابل اللاتيني دون العربي لبعض المصطلحات اليونانية، وإيراده بعض المصطلحات مغفلة دون شرح، إلا أن هذا لا ينقص من جهد الرجل ولا من قيمة كتابه، إذ هو أول محاولة عربية لصناعة المعاجم ثنائية اللغة، كما يعد عالما مصطلحيا عمل على تدقيق مفاهيم المصطلحات الأعجمية.

---

[1] ـ ينظر:ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص248.

أما ابن البيطار فقد ألف كتاب (تفسير كتاب دياسقوريدوس)، بعد قرنين ونصف من تأليف ابن جلجل لكتابه، وقد قال ابن البيطار في مقدمة كتابه أن الدافع وراء تأليفه هو البحث عن تفسير وترجمة للمصطلحات المبهمة عند المتعلمين والأطباء والشجارين[1].

وكان ابن البيطار أعلم أهل زمانه بكتاب ديسقوريدوس، وشهد له تلميذه ابن أبي أصيبعة بهذا التفوق بقوله:"وأتقن دراية كتاب ديسقوريدس إتقانا بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه، وذلك أني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه...[2].وقد أحصى ابن مراد 553 مادة تضمنها كتاب التفسير لابن البيطار، ذكر لأغلبها مقابلا عربيا، إلا سبعة عشر مصطلحا، سبعة منها ذكر أنها مجهولة ولم يجد لها مقابلا مثل: فولامونيون، وستة وجد لها تعريفات عند غيره من العلماء لكنه رفضها لعدم اقتناعه بتفسيرهم لها مثل: (سيسارون) قال عنه:"زعم ابن جزلة أنه خشب الشونير، وهو غير صحيح، وزعم ابن وافد ــ رحمه الله ــ أنه القلقاس، ولم يصح أيضا. والأحق بهذه الترجمة أن يقال فيها هي مجهولة..."[3]، كما استدرك على ابن جلجل وخطّأه حين شرح مصطلح (بُطِرّيون) بأنه عود الأراك وحبه يعرف بالبرير، ويرى ابن البيطار أن ابن جلجل جانب الصواب لأن الأراك ليس نباته مشوكا مثل بُطريون، ويرى أنه مجهول[4]. لكن ابن البيطار وبسبب ترحاله من بلد لآخر وانصرافه إلى دراسة نباتات وحشائش كل بلد ينزل به قد عثر على المقابل العربي للبطريون، حيث قال إنه عرفه بجبل لبنان، ويدعونه بالقتاد الأعظم[5]. ومراجعة

---

[1] ـ ينظر: ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس، ت إبراهيم بن مراد، 1990، ص1ظ.

[2] ـ ابن أبي أصيبعة، العيون، ج2، ص133.

[3] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص254.

[4] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص255.

[5] ـ نفسه، ص255.

ابن البيطار لترجمة ابن جلجل بعد حوالي قرنين من تأليف ابن جلجل لتفسيره يبين لنا حجم الإشكال الذي وجده العلماء العرب في نقل (المقالات الخمس) إلى العربية، وبقيت إلى يومنا هذا الكثير من مصطلحاتها مفسرة بلغات أعجمية ولم يوضع لها مقابل عربي صحيح. حيث لجأ ابن البيطار وغيره إلى تفسير الكثير من المصطلحات بأسماء عامية حيث يقول ابن مراد أنه لا يوجد أحد من علماء الطب والصيدلة ممن عاصر ابن البيطار أو ممن سبقه قد أعطى للعامي من الألفاظ المنزلة التي أعطاها له ابن البيطار، ولم يقتصر استعمال العامي من الألفاظ في كتاب التفسير لابن البيطار على لهجة بلد واحد بل تنوعت بين كل البلدان التي زارها، لكن بشكل متفاوت، حيث نجد اللهجة الأندلسية غالبة على بقية اللهجات بحكم أنها لهجته، ثم تأتي في المرتبة الثانية لهجة أهل المغرب وبشكل خاص لهجة تونس بسبب طول مُكثه بها، ثم تأتي في المرتبة الموالية لهجة مصر والشام والعراق[1]. هذا هو الجهد الذي قام به ابن البيطار في إيجاد المقابل العربي الفصيح للمصطلح اليوناني، وإن لم يسعفه ذلك لجأ إلى المقابل العامي المستعمل في مختلف الأقطار العربية، ويميزه عن سابقيه من أهل المشرق ممن ترجموا المقالات الخمس ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن المقابلات العربية الفصيحة للكثير من الألفاظ التي وردت في (المقالات الخمس)، واكتفوا بترجمتها إلى الفارسية، أو اللاتينية كما فعل ابن جلجل. وتميز ابن البيطار هذا ربما يعود لتأخره عن سابقيه في الزمن، واكتسابه خبرات لم تتح لغيره بفضل رحلاته واطلاعه الواسع على نباتات وحشائش مختلف الأقطار العربية.

وفي الأخير يمكن القول إن العلماء العرب بذلوا جهدا كبيرا في تعريب العلوم وعلى رأسها الطب والصيدلة، وما اهتمامهم بالمقالات الخمس للعالم اليوناني على مدار أربعة قرون إلا دليل على تفانيهم في محاولة إيجاد أرضية علمية عربية أصيلة، بدأت بترجمة المقالات في القرن

---

[1] ـ ينظر: نفسه، ص259

الثالث الهجري على يد حنين واصطفن، ثم جاءت المرحلة الثانية وهي المراجعات التي قام بها ابن جلجل، وابن البيطار وغلام الحرة، إلى أن أصبح لمجال الأدوية المفردة مصطلحات عربية خالصة وهي نتيجة العمل الذي قام به ابن البيطار في (تفسيره) وفي (كتاب الجامع).

ويمكن للمحدثينالمشتغلينبالمصطلح العلمي الاستفادة من هذه التجربة، فتعامل القدماء ممن اشتغلوا بمجال الأدوية المفردة مع المصطلح الأعجمي وما يقابله من عربي فصيح وعامي، تستحق منا الوقوف عندها ودراستها واستخلاص الفوائد منها.

2 ـ 5 ـ شرح أسماء العقار لابن ميمون: هو أبو عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي، ولد في قرطبة عام 529هـ، ثم هاجر إلى المغرب مع عائلته ونزل بفاس سنة 552، ثم هاجر إلى فلسين واستقر في مصر عام 561هـ[1]، ويرى ابن مراد أن الكتاب ليس في الأدوية المفردة المحضة بل هو عبارة عن شرح للأدوية المشكّلة التي وردت في عدد من مؤلفات علماء الأندلس في الأدوية المفردة. وخاصة كتب ابن جلجل وأبي بكر حامد بن سمجون (ت392هـ)، وأبي الوليد مروان بن جناح (ت 432هـ)، وأبي المطرف عبد الرحمن بن وافد (ت467هـ)، وأبي جعفر أحمد الغافقي[2]. فالكتاب عبارة عن شرح لأسماء عقاقير أشكل فهمها ذكرت في كتب الأندلسيين فعمد ابن ميمون إلى شرحها وإزالة الغموض عنها. وقد ذكر ابن ميمون في مقدمة معجمه "أن الغرض من مقالته ليس تعريف أنواع الأدوية بصفاتها أو ذكر منافعها بل شرح بعض أسمائها ببعض"[3]. لهذا نجده قد اختار ذكر الأدوية التي لها عدة أسماء سواء كانت من

---

[1] ـ ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص62.

[2] ـ ينظر: موسى بن ميمون، أبو عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي، شرح أسماء العقار، ت ماكس مايرهوف، طبعة المعهد الفرنسي، القاهرة، ص3-4..

[3] ـ ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص3.

لغات مختلفة أو مترادفات من لغة واحدة، فالغرض من معجمه ليس هو شرح الأدوية أو ذكر منافعها بل تعريف أسمائها وشرح معناها بما ورد من مرادفات أو مما يقابلها من لغات أخرى.

وقد تمثل منهج ابن ميمون في معجمه في عدم ذكر الدواء الذي صار معروفا، وكذلك الأدوية ذات الأسماء الشاذة وغير المشهورة والتي تكون منفعتها محدودة فإنه لا يذكرها[1]. والظاهر من اتباعه هذا المنهج هو طلب الاختصار والابتعاد عن الحشو والتطويل.

وقد رتب المؤلف مصطلحات الكتاب على حروف المعجم مع حذف التكرار، حيث لا يعيد ذكر دواء يبدأ بحرف الباء مثلا وقد ذكره في حرف الألف بحكم أنه مرادف للدواء الذي يبدأ بحرف الألف، وهذا من أجل الاختصار وتسهيلا للحفظ. أما عن مداخل معجمه فقد خصصها لأسماء الأدوية الأكثر شهرة عند أهل الصناعة.

أما عن مصادر المعجم فقد صرح ابن ميمون في مقدمة كتابه أنه اعتمد في شرح ألفاظ معجمه على كتاب ابن جلجل وكتاب أبي الوليد بن جناح، والكتاب الجامع الذي ألفه بعض المتأخرين في الأندلس وهو المسمى بالغافقي وعلى ابن وافد وابن سمجون[2].

2 ـ 6 ـ الكليات في الطب لابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، ولد بقرطبة سنة 520هـ و توفي سنة 595هـ بمراكش[3]. وهو القاضي والفيلسوف والطبيب، درس

---

[1] ـ نفسه، ص3.

[2] ـ ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص4.

[3] ـ العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ص14-15,

العلوم عن أبيه، وتلقى علوم الطب عن أبي مروان ابن جربول الأندلسي، وأبي أحمد بن هارون الترجالي[1].

ولابن رشد مؤلفات طبية عديدة في الطب نذكر منها[2]:

ـ كتاب الكليات في الطب ـ كتاب فصل المقال ـ كتاب شرح أرجوزة ابن سينا في الطب ـ مقالة في الترياق ـ تلخيص كتاب الحميات لجالينوس ـ مقالة في أصناف المزاج ـ مسألة في نوائب الحمى ـ تلخيص الثلاث من كتاب قوى الطبيعة لجالينوس ـ كتاب في اختصار العلل والأعراض لجالينوس.

ويمكننا القول إن خلفية ابن رشد الفلسفية والفقهية قد ألقت بظلالها على مؤلفه الطبي (الكليات في الطب)، فهو يعد عملا غير مسبوق من حيث كونه يرتقي من مجرد مجموعة معارف متراكمة عن طريق الممارسة إلى أسس ومبادئ ومناهج، لابد أن تؤخذ كأساس للفكر الطبي، فهو كتاب أقرب إلى أن يكون في فلسفة العلم منه إلى كتاب في الطب كممارسة[3].

ومن أهم مصادر ابن رشد جالينوس، حتى إن محمد عابد الجابري وصف في المقدمة التحليلية التي وضعها للكتاب قال: بأن جالينوس كان المرجعية الرئيسة لابن رشد، حيث عد آراءه أولى من آراء غيره، وكان يعتبره أستاذا في صنعته أما غيره فلا يرى أنهم يجاوزونه معرفة وقدرا، إلا أنه كان يأتي بآراء الكثير من شيوخ الطب كأبقراط والرازي وابن سينا[4].

---

[1] ـ ينظر: نفسه، ص186.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص15-16,

[3] ـ ينظر، ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد، الكليات في الطب، ت محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م، ص12.

[4] ـ ينظر: نفسه، ص58.

تتوفر من كتاب الكليات لابن رشد خمس نسخ عربية، ونسخ كثيرة بالعبرية واللاتينية، وهناك اختلاف بينها ناتج عن المراجعة الدائمة للكتاب من قبل ابن رشد عبر سنين عديدة، حيث ما يوجد من إضافة في النسخة اللاتينية لا نجده في النسخة العربية، وقد نجد ما أثبت في النسخة العبرية منه ما هو موجود في النسخة العربية ومنه ما هو موجود بالنسخة المترجمة للاتينية[1].

قسم ابن رشد كتابه إلى سبعة كتب:

ـ الكتاب الأول: كتاب التشريح

ـ الكتاب الثاني: كتاب الصحة

ـ الكتاب الثالث: كتاب المرض

ـ الكتاب الرابع: كتاب العلامات

ـ الكتاب الخامس: كتاب الأدوية والأغذية

ـ الكتاب السادس: كتاب حفظ الصحة

ـ الكتاب السابع: كتاب شفاء الأمراض

أما سبب تأليف كتابه فقد قال في مقدمة الكليات إنه كان بأمر من أمير المؤمنين ببلاد المغرب، حيث أمره بوضع كتاب في الطب يتضمن جميع موضوعات هذه الصناعة[2]. أما عن

---

[1] ـ ينظر، ابن رشد، الكليات في الطب، مقدمة التحقيق، ص95.

[2] ـ ينظر: ابن رشد، الكليات في الطب، ص119.

سبب تسمية الكتاب بـ (الكليات) فيرجع إلى المنهج الذي اتبعه في ترتيبه، حيث بدأ بالقول في المسائل الكلية وبعدها إذا مد الله في عمره يضع كتابا يستوعب المسائل الجزئية[1].

وقد خالف ابن رشد في وضع كتابه الكثير ممن وضعوا كتبا في الطب من قبله، وخاصة في كتاب الأدوية والأغذية، حيث يعتبر بحثه نظريا تأصيليا، ولم يجعله ــ كما فعل الكثير من الأطباء والصيادلة ــ معجما لمصطلحات الأدوية والأغذية، بل جعل كتابه لتبيان دور ومنفعة كل نوع من الدواء بشكل عام، كما لم يذكر أعيان الأدوية بل ذكر صفاتها من يبس ولين، أو طباعها كالحارة والباردة، أو بذكر الأمراض التي يصلح لها نوع معين من الدواء، فمثلا يذكر الأدوية المنقية للصدر مثلا فيقول:"وأما الأدوية المنقية للصدر والرئة، المعينة على نفث ما فيها من المِدّة، فينبغي أن يكون فيها إنضاج ما وتقطيع لطيف بحرارة قوية..."[2] ويذكر خصائصها وأحوالها بشكل عام ويبتعد عن التفصيل فيها.

2 ـ 7 ـ كتاب الأدوية المفردة لأبي المطرّف عبد الرحمن بن وافد: (ت بعد 460هـ).

هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد المعروف بابن وافد، ولد في طليطلة سنة (387هـ)، تعلم الطب، وبرع في علم الأدوية المفردة، من أشهر كتبه (الأدوية المفردة) الذي قضى عشرين عاما في كتابته وجمع أسماء الأدوية وصفاتها، ترجم كتابه إلى اللاتينية بعنوان De medicamentis simplicibus، وله كتب في الطب منها (الوساد في الطب) و(مجربات في الطب) و(تدقيق النظر في علل حاسة البصر) و(المغيث).

---

[1] ـ ينظر: ، ابن رشد، الكليات في الطب ، ص119.

[2] ـ نفسه، ص376.

وكان ابن وافد من دعاة التداوي بالأغذية دون الأدوية إلا للضرورة والحاجة الملحة، وكان ينصح باستعمال الأدوية المفردة أو البسيطة، وعدم الإكثار من تركيب الأدوية[1].

2 ـ 8ـ الكتاب المستعيني في الأدوية المفردة ليونس بن إسحاق بن بكلارش:

هو يوسف أبو يونس بن إسحاق بن بكلارش (ت503هـ)، من أشهر أطباء الأندلس، كان يهودي الديانة، برع في الأدوية المفردة.ومن أشهر كتبه (المجدولة في الأدوية المفردة)، كتبه بمدينة ألميرية للمستعين بالله أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بالله بن هود.

وألف ابن بكلارش كتابا آخر سماه (رسالة التبيين والترتيب)، لكنه فقد ولم يصل إلينا، وقد ذكره في مقدمة كتاب (المستعين) وأخبر أنه رتب فيها الأغذية، كما أورد فيها القوى الأربع وهي: الحدية والحاصرة، والهاضمة والرافعة، وما تفعله بأعضاء البدن.

ولا يزال كتاب المستعين مخطوطا لم يطبع بعد، حيث توجد ثلاث نسخ، واحدة منها في الخزانة العامة بالرباط. كما توجد منها نسخة في المكتبة الوطنية في مدريد، وهي في 140 صفحة.

افتتح ابن بكلارش كتاب (المستعين) بمقدمة نظرية تكلم فيها عما جاء به جالينوس، ووضع فيها قائمة تحتوي على أكثر من 750 مصطلحا لأدوية نباتية وحيوانية وصلبة.

قسم ابن بكلارش كتابه إلى أربعة أجزاء، خصص الجزء الأول للتعريف بقوى الأدوية المفردة، وتحدث عن صفات تلك الأدوية وخصائصها والأمراض التي تداويها. أما الجزء الثاني

---

[1] - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%81%D8%AF .

من الكتاب فخصصه للحديث عن الأدوية المركبة، حيث ذكر طرق تركيبها، كما تحدث عن أنواع الأدوية المفردة ومنافعها.

2 ـ 9 ـ الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سند (ت560هـ)، قال فيه بن أبي أصيبعة:" إمام فاضل، وحكيم عالم... أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة"[1] ألف كتاب (الأدوية المفردة) واستقصى فيه ما جاء بهديسقوريدس وجالينوس، وتوخى فيه الإيجاز، مع تمام المعنى، وذكر فيه أقوال المحدثين،فاتصف كتابه بالجمع بين الأقوال المختلفة فكان أفضل مرجع في فنه.

2 ـ 10 ـ عمدة الطبيب في معرفة النبات لأبي الخير الإشبيلي: من علماء القرن السادس الهجري، لم يعرف عنه الكثير ولم يقم أحد بترجمته، وكل ما يعرف عنه أنه من إشبيليا بالأندلس، حتى إن اسمه الكامل غير معروف، ولم يعرف إلا بكنيته "أبي الخير الإشبيلي"، وقد ذكره ابن العوام في كتاب (الفلاحة) من بين المصادر التي أخذ عنها ووصفه "بالشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي"، وزيادة على عنوان كتاب أبي الخير (عمدة الطبيب في معرفة النبات) والذي يدل على تمرسه في الطب والدواء، فإن وصف ابن العوام لأبي الخير ــ أستاذه ــ بالشيخ الحكيم يدل على أنه كان بارعا في الطب[2]. إلا أنه لم يشتهر بممارسته للطب.

قام الباحث محمد العربي الخطابي بتحقيق كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات)، وقامت أكاديمية المملكة المغربية بطباعته.

---

[1] https://shamela.ws/book/11790/3038#p1.

[2] ـ ينظر: سليمي محجوب، أبو الخير الاشبيلي وكتابه " عمدة الطبيب في معرفة النبات" مجلة التراث العربي، ع 85، 2002، ص218.

ومن أهم ما يميز أسلوب أبي الخير في كتابه دقة وصف النبات وتحليل أجزائه، فيذكر أوراقه وساقه وجذره. فتجده يهتم بخصائص النبات دون البلد الذي ينبت فيه[1].

وما يزيد من القيمة العلمية للكتاب، أنه اعتمد على المعاينة الشخصية للنبات، أو مشافهة العارفين بالنباتات الوافدة من بلدان لم يطلع عليها.

2 ـ 11 ـ كتاب الأغذية: لأبي مروان عبد الملك بن زهر (557هـ)، هو طبيب أندلسي إشبيلي من أسرة طبية مشهورة معروفة ببني زهر، أخذ الطب عن أبيه، كان ضليعا في صناعة الأدوية المفردة والمركبة[2].

ألف ابن مروان هذا الكتاب بأمر من الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي،فترة إمارته (526هـ – 558هـ)

بدأ بذكر الأغذية بحسب فصول السنة فذكر أصنافها من لحوم وحبوب وألبان وفواكه، وبين منافعها أو مضارها، انتقل بعدها إلى المياه وصنف أنواع الأشربة والمعاجين والأدهان والدبيدات...

والكتاب مخطوط توجد منه نسختان، النسخة الأولى تامة والثانية مبتورة، وهي تبدأ بنسخ ما بدأت به النسخة الأولى أي بذكر اللحوم والحبوب، ثم يذكر في وسطها الأدوية وأصنافها ولم يذكر الأغذية في هذا الجزء، ثم يعود إلى ذكر الأغذية إلى آخر النسخة[3].

---

[1] . ينظر عمدة الطبيب، ت محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1955، ص40، نبتة الآذريون مثالا.

[2] ـ ينظر: محمد بشير العامري و نهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية لأطباء الأندلس، ص216.

[3] ـ ينظر: محمد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، مج2، ص33-34.

2 ـ 12 ـ كتاب الأغذية وحفظ الصحة لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن خلصون:

ترجم ابن الخطيب لابن خلصون وكناه بأبي القاسم وقال عنه: "إنه كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة وأن أصله من روطة ومنها انتقل إلى لوشة ثم إلى مالقة فتحرف بها بصناعة الطب إلى حين وفاته[1].

ذكر ابن خلصون في بداية كتابه سبب تأليفه للكتاب في صيغة إجابة عن سؤال أحدهم وصفه بـ (الأخ الحبيب) أن يصنع له كتابا مختصرا في الطب يغنيه عن الطبيب، فأجابه ابن خلصون بأن علم الطب وجد لغايتين، الغاية الأولى هي حفظ صحة الإنسان وكتابه وضعه لهذه الغاية، أما الثانية فهي معالجة الأمراض ولا غنى فيها عن الطبيب[2]، والمتمعن في عنوان الكتاب يرى أنه خاص بالغاية الأولى وهي حفظ الصحة بالغذية.

ويختم كتابه بالإشارة إلى أن ماذكره كاف فيالأغذية المشهورة بالأندلس[3]، يدل كلامه هذا على اقتصار كتابه على الأغذية الأندلسية دون غيرها من البلدان.

قسم ابن خلصون كتابه إلى خمس مقالات:

المقالة الولى: مدخل إلى العلم الطبيعي ـ المقالة الثانية: في حفظ أعضاء البدن ـ المقالة الثالثة: في حفظ الصحة على الإطلاق ـ المقالة الرابعة: في تدبير فصول السنة ـ المقالة الخامسة: في ضروب الأغذية وذكر قواها.

توجد من الكتاب نسخة في الخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 0،12،259734[1].

---

[1] ـ نفسه، ص35.

[2] ـ ينظر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ـ محمد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، ص35.

2 ــ 13 ـ التبيين في قطع الشك باليقسن لأبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن زهر (ت525): من عائلة بني زهر المشهورة بالطب.

الكتاب هو عبارة عن انتصار لجالينوس عن الشكوك التي نسبت إلى أبي بكر الرازي حوله. حيث يشرح المؤلف أقوال جالينوس وأفكاره التي وردت في كتبه ردا على كتاب منسوب إلى أبي بكر محمد زكرياء الرازي أثار فيه شكوكا حول جالينوس[2]. كان لجالينوس قيمة علمية كبيرة عند أطباء العرب عموما وعن الأندلسيين بشكل خاص، فلا غرابة أن يدافع بن زهر عنه بشراسة ضد كل من يشكك فيما جاء به من نظريات في الطب والصيدلة.

---

[1] ـ العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص212.

[2] ـ ينظر: محمد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، ص48.

المبحث الرابع: جهود ابن البيطار المعجمية:

لم يكن ابن البيطار مجرد طبيب أو عالم بالنبات والعقاقير، بل كان معلما ومؤلفا للعديد من الكتب الطبية والشروح التي ترقى بامتياز إلى مصاف المعاجم المختصة، خاصة وأنه قد اهتم بمجال الأدوية المفردة حيث تعد الكتب التي ألفت في هذا الفن مثالا واضحا للجهود المعجمية المختصة، والتي تتوفر فيها الكثير من شروط صناعة المعجم المختص، سواء من حيث المصادر والمراجع، أو ما تعلق بالمستويات اللغوية التي تشتمل عليها، وتستجيب كذلك إلى شروط الوضع المعجمي من ترتيب وشرح.

وقد شارك ابن البيطار بشكل فعال في الحركة المعجمية العربية المختصة، وله جهود كثيرة ومؤلفات عديدة، منها ما هو أصيل في بابه (كالجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ومنها ما كان شرحا لكتب أخرى مثل (تفسير كتاب دياسقوريدوس) ــ ويمكن اعتبار هذا المعجم من أول الجهود العربية في صناعة المعاجم ثنائية اللغة ــ أو نقدا لعمل غيره من العلماء مثل (الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) وهو نقد لكتاب (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) لأبي علي يحيى ابن جزلة البغدادي (ت493هـ).

1 ـ كتاب (الإبانة والإعلام بما في المناهج من الخلل والأوهام):

وهو الكتاب الرابع لابن البيطار مؤلف (المغني) و(الجامع) و(تفسير كتاب دياسقوريدوس)، وهذا الكتاب كغيره من الكتب العلمية الكثيرة التي لا تزال مخطوطة، ألف ابن البيطار كتابه هذا وهو نقد لكتاب (مناهج البيان فيما يستعمله الإنسان) لأبي علي بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت493هـ)، وهو فيلسوف وطبيب من نصارى العراق اعتنق الدين الإسلامي وكان له جهود

جليلة في الطب والفلسفة. ومن أهم كتبه في الطب كتاب (مناهج البيان)، رتبه على حروف المعجم وضمنه الكثير من أسماء الأدوية المفردة والمركبة والأغذية والأشربة، وقد اعتمد في تأليفه على أقوال من سبقه من أهل الطب والصيدلة ولم يكن يتثبت في نقله فضم كتابه الكثير من الأخطاء[1]، وهذا ما دفع ابن البيطار إلى تأليف كتابه (الإبانة) الذي ينتقد فيه كتاب ابن جزلة ويكشف الأخطاء التي تضمنها، وقد صرح ابن البيطار بالدافع الذي كان وراء تأليفه للإبانة بقوله:"...وهو كتاب (المنهاج) لابن جزلة رحمه الله، فأستطلع بسائط أدويته وأتعقب ما جرى فيها من التباين أو الغلط، وأُعلِم بما وقع فيها من الأوهام في الأسماء والتَحْليات والمنافع بأوضح إعلام"[2]. والكتاب لا يزال مخطوطا وهناك نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (1151)[3]، وتوجد منه نسخة جيدة في خزانة الحرم المكي الشريف، رقم 36 طب. وقد قام إبراهيم بن مراد بتحقيق مقدمته وثمانية من مواده.

ألف ابن البيطار كتابه هذا بمصر بعد تأليفه لكتاب (تفسير كتاب دياسقوريدوس)، قبل سنة 633هـ[4].

2 ـ عناية ابن البيطار بكتابي ديقوريدوس وجالينوس:

وكان لابن البيطار عناية خاصة بكتاب ديسقوريدس وأتقنه حتى لا يكاد يكون من هو أعلم بما فيه منه، وكان يملك من الذكاء والفطنة والقدرة العجيبة على النقل من كتابي ديسقوريدس وجالينوس بشكل يُتعجَّب منه، وكان يُدَرس كتاب ديسقوريدس ومن بين تلاميذه الطبيب المشهور

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص64.

[2] ـ ابن البيطار، الإبانة، نقلا عن : ابن مراد، المعجم العربي المختص، ص64.

[3] ـ العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص224.

[4] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص63.

ابن أبي أصيبعة الذي أثنى على أستاذه ثناء كبيرا[1]. وهذه العناية ظهرت في كتبه التي ألفها، حيث كان تفسير ديسقوريدس وجالينوس للأدوية المفردة أول ما يبدأ به حين شرحه للأدوية وتفسيره للنبات، ثم يأتي بآراء المتأخرين من الأطباء والعشابين.

أما كتابه عن (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) فقد ذكر أنه اعتمد فيه على جميع ما في (الخمس مقالات) من كتاب ديسقوريدوس حرفيا، كما اعتمد على جميع ما جاء في (الست مقالات) لجالينوس[2]. ويظهر لنا هذا الكلام لابن البيطار أن أهم مصدرين له في كتابه الجامع هما كتابا ديسقوريدوس وجالينوس. وقد تعجب تلميذه ابن أبي أصيبعة من قدرته على تعيين كل دواء يذكره في أي مقالة هو من كتابي ديسقوريدوس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة[3]، وهذا دليل على سعة اطلاعه وقوة حفظه وضبطه لمصادر مادته، وهي صفات لا تجتمع إلا في عالم فذ متبحر.

ولم يقتصر اهتمام ابن البيطار بكتابي ديسقوريدوس على الاقتباس والاستعانة بتفسيره والمادة المصطلحية التي ذكرها، بل قام بشرح كتابه تحت عنوان (تفسير كتاب ديسقوريدوس)، ولم يصل إلينا الكتاب كله، وما وصل إلينا هو شرح المقالة الأولى والثانية ونصف المقالة الرابع، أما ما بقي من المقالة الرابعة وكل المقالة الخامسة فقد ضاع، وقد أحصى ابن مراد عدد المصطلحات التي فسرها ابن البيطار فيما وصل إلينا ب 553 مصطلحا[4]. وهذا الكتاب يعد من أولى المحاولات العربية لصناعة المعجم الثنائي اللغات، وهو معجم مصطلحي ثنائي اللغة

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص133.

[2] ـ ينظر: ابن البيطار، الجامع، ج1، ص3.

[3] ـ ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص133.

[4] ـ ينظر: إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص247.

بامتياز، ولم يكن هو أول من فسر كتاب ديسقوريدوس بل سبقه قبل ذلك ابن جلجل بحوالي قرنين من الزمن.

وأشار ابن البيطار في مقدمة كتابه إلى الغرض الذي ابتغاه من وضع كتابه، وهو أنه رام من وضعه كتابا يفسر مقالات ديسقوريدوس ترجمة المصطلحات وأسماء الأشجار والحشائش التي تعذر على أهل الاختصاص فهمها بسبب عجمتها، وقصد من عمله تفسير أسماء الأدوية ورفع الغموض عنها[1]. وهذا يدل على أنه رغم مرور ثلاثة قرون على ترجمة كتاب ديسقوريدوس إلا أنه مازال الكثير من مصطلحاته مبهما عند الكثير من أهل الصنعة حتى اضطر ابن البيطار لشرحها ورفع العجمة عنها.

وكما أشرنا أن ترجمة كتاب ديسقوريدوس كانت قبل ثلاثة قرون إلا أن الكثير من المصطلحات بقيت مبهمة دون شرح أو ترجمة، حتى جاء ابن البيطار وقلص تلك المصطلحات المبهمة حتى صارت سبعة عشر مصطلحا من جملة 553 مصطلحا لتي خصها ابن البيطار بالشرح. سبعة منها لم يجد لها مقابلا عند غيره من العلماء، وستة وجد لها مقابلات لكن لم يقبلها[2].

وقد استعان ابن البيطار بتجربته الواسعة في مجال الأدوية والأعشاب والتي اكتسبها من معاينته للنباتات خلال رحلته من الأندلس إلى المشرق، واتصاله بعلماء وأطباء البلدان التي زارها وأخذ العلم عنهم، كما مكنه الاطلاع الواسع على المؤلفات الطبية والنباتية التي كانت قبله من إيجاد مقابلات في تلك الكتب للمصطلحات اليونانية التي جاءت في كتاب ديسقوريدوس،

---

[1] ـ ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدوس في الأدوية المفردة، ت إبراهيم بن مراد، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون، ط1، 1990، ص1.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص247.

كما استخدم طريقة المشافهة بأن أخذ أسماء بعض الأدوية والنبات مباشرة من أفواه العلماء حيث قال:"واعتمدت في ذلك على ما تصفحته من كتب القدماء وشافهت به أكابر العلماء"[1] وأهم وسيلة استعملها لإيجاد مقابلات للأدوية والنباتات التي ذكرها ديسقوريدوس هي اللغات المحلية أو لهجات البلدان التي زارها والتي انحدر منها كالأندلسية والبربرية...

وقد أحصى ابن مراد ثلاث وسائل للتوليد اللغوي اعتمدها ابن البيطار في تفسيره لكتاب ديسقوريدوس، واعتمد هذه الوسائل من أجل شرح المصطلحات اليونانية وفك عجمتها وإيجاد مقابل لها، وهذه الوسائل هي[2]:

1 ـ الوسيلة الأولى: هي استقراء كتب الأدوية المفردة التي ألفت، ولم يكتف ابن البيطار بالنقل عن تلك الكتب بل قام بانتقادها وتصويب ما جاء فيها، و وأصحابها هم:حنين بن إسحاق، واصطفن بن بسيل، وأبو حنيفة الدينوري، وابن الجزار، وأبو عبد الله الصقلي، وابن جلجل، وابن سينا، وابن وافد، وأبو عبيد البكري، وابن جزلة، وأبو العباس النباتي. كما اعتمد على وسيلة أخرى في النقل ــ زيادة على النقل عن الكتب ــ وهي مشافهة العلماء.

2 ـ أما الوسيلة الثانية للتوليد اللغوي التي اعتمدها ابن البيطار فهي الترجمة، وهي الوسيلة التي اعتمدها باطراد وأولاها اهتماما كبيرا، ونجده في أغلب الأحيان يبدأ بها في شرح مواده، حيث يذكر بداية ترجمة المصطلح اليوناني، ثم يتبع ذلك بذكر مرادفاته، وهذا ما يجعلنا نفهم أن ابن البيطار كان يرى أن ترجمة المصطلح هي الوسيلة التي تمكن القارئ العربي من فهمه وهي الطريقة الأمثل لرفع العجمة عنه، ومن أمثلة ذلك قوله: "قونُس باطُس: تفسير عُلّيْق الكلب، لأن

---

[1] ـ ابن البيطار، التفسير، ص1.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص258.

قانُس باليونانية كلب وباطس عُليق"[1]، وقوله في مادة:"دِبْساقوس" تأويل هذا الاسم في اليوناني العطشان"[2]. تدل هذه الأمثلة وأمثلة أخرى كثيرة على تقديم ابن البيطار لوسيلة الترجمة في شرحه للمصطلحات اليونانية.

3 ـ أما الوسيلة الثالثة لتوليد المصطلحات التي اعتمدها ابن البيطار فهي الاعتماد على العامي من الألفاظ النباتية، ولا يكاد يعرف من العلماء الذين ألفوا في النبات أو الأدوية المفردة من اعتمد الألفاظ العامية في كتبه بالقدر الذي اعتمده ابن البيطار، حيث نجده قد أكثر من الاعتماد على العامي من المصطلحات، ولم يكن يعتمد على ألفاظ عامية خاصة بقطر واحد من الأقطار العربية، بل نجدها تتنوع بحسب تنوع البلدان التي زارها، إلا أن حجم الاعتماد يتفاوت من بلد إلى آخر، والألفاظ العامية الأكثر اعتمادا هي التي تخص بلده الأندلس، ثم لهجات بلاد المغرب.

ومن أمثلة المصطلحات الأندلسية التي استعملها نجد:"أقسيا اقينُش" هذه الشجرة هي المعروفة بلغة أهل الأندلس بزغرور الأودية"[3]، وفي شرحه لمصطلح "إفولاباثن" يقول:"ويسمى الحُماض بلغة أهل الأندلس اللبّاصة"[4]. أما المصطلحات المغربية فنجدها مثلا في تعريفه لـ"سخينونس" وهو تبن مكة بلغة أهل المغرب"[5]، أما استعماله للعامية الإفريقية (التونسية)، فنجده يعرف "بنتوقس أوطا" وهذا النبات تسمية أهل إفريقية عين الهدهد"[6].

---

[1] ـ ابن البيطار، التفسير، ص6.

[2] ـ نفسه، ص20.

[3] ـ نفسه، ص6.

[4] ـ ابن البيطار، التفسير، ص14.

[5] ـ نفسه، ص3و.

[6] ـ نفسه، ص1ظ.

كما نجد ابن البيطار يجمع بين عاميتين عربيتين أو أكثر في تفسيره للمصطلح الواحد، ويفعل هذا لغرضين، فقد يكون الغرض هو إظهار اتفاق اللهجتين في الاسم الواحد مثل: تسمية "أوبشنتي" التي ترجمها بالأفسنتين الساحلي شيب العجوز وهي تسمية تشترك فيها عامية الأندلس والمغرب[1]، كما قد يستعمل لهجتين عربيتين للدلالة على اختلافهما في تسمية الشيء الواحد مثل:"قِرِثْمُن" وهو نبات يسميه أهل الأندلس قرن الأيل، أما عند بعض سواحل إفريقية فيسمى زِبْلُ النواتيّة"[2]. وبهذه الطريقة استطاع ابن البيطار أن يجد الكثير من المقابلات العربية (العامية) لمصطلحات يونانية استعصت على من ترجم (المقالات الخمس) قبله ولم يجدوا لها مقابلا يفسرها ويقرب فهمها من القارئ العربي، إلى أن جاء ابن البيطار بسعة اطلاعه وفطنته، ووفق بشكل كبير في تعريب كتاب (المقالات الخمس)، وهي الغاية التي ألف من أجلها (تفسيره)، والوجهة التي ابتغاها لنفسه والتي خالف فيها من سبقه كابن جلجل وغيره من الأندلسيين الذين راجعوا الكتاب اليوناني واكتفوا في أحيان كثيرة بنقل المصطلحات من اليونانية إلى اللاتينية مما أدخلها في عجمة ثانية زيادة على عجمتها الأولى، وكما فعل اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق اللذان اتخذا من الفارسية وسيلة لترجمة المصطلحات اليونانية في (المقالات الخمس) وبسبب هذا المنهج بقيت الكثير من المصطلحات مبهمة وغير مفهومة عند العلماء العرب لقرون عديدة. وقد تفطن ابن البيطار إلى هذا الخلل وعمل على تفاديه من خلال انفتاحه على العاميات العربية لنقل المصطلحات اليونانية، وعدم انكفائه على الفصيح منها فقط، ويمكننا القول إن ابن البيطار وفق في هذا المنهج الذي اتبعهلأنه من الصعب أو قد يكون مستحيلا أن تجد مقابلا لمصطلح دواء أو نبات يوناني لم تعرفه العرب من قبل أو لا ينبت في

---

[1] ـ ينظر: ابن البيطار، التفسير، ص21و.

[2] ـ نفسه، ص15و.

أقطارها من الأساس، والأولى الاستعانة بالعامي على أن تستعين بالأعجمي (فارسيا كان أو لاتينيا) لتعريف مصطلح يوناني.

إلا أن حرص ابن البيطار على استعمال المقابل العربي لتعريف المصطلحات اليونانية، لم يمنعه من الاستعانة ــ في أحيان كثيرة ــ بالمصطلحات الأعجمية جنبا إلى جنب مع المصطلحات العربية مثل: "مُرْسينُس إيمارُس" هو المرديانَجُ بالسريانية والمُرْتان والمرتة باللطيني العامي وزهره يسميه البربر بلغتهم أقمام"[1]. فنجده هنا استعمل ثلاث لغات أعجمية وهي السريانية واللطينية والبربرية، فرغم أن المصطلح العربي موجود إلا أنه استعمل المصطلح الأعجمي وهذا الفعل من ابن البيطار قد يكون الغرض منه توسيع حقل المصطلح العلمي[2]، وهو دليل على أن ابن البيطار كان متفتحا على اللغات الأخرى، وكان منهجه براغماتيا بعيدا عن العاطفة والتعصب.

3 ــ كتاب المغني في الأدوية المفردة: ترك ابن البيطار آثارا كثيرة، وكلها في الطب والصيدلة، وجل ما تركه من مؤلفات كان في الأدوية المفردة، ومن بين ما ألف في هذا الفن كتاب (المغني في الأدوية المفردة) وهو من أهم ما ألف، ولا يزال الكتاب مخطوطا، توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس برقم (n.299..2991,6625)، ومخطوط في غوطا (Gotha) بألمانيا تحت رقم (n.2..4,2,26-2fol27-7)، ويوجد مخطوط منه بجامعة ليدن. Universiteits bibliotheeck Leiden 1356، ومخطوط بمكتبة بلوديان Bodleian Library, Oxford, n 1588 ,1624ومخطوط مكتبة M.the Original Public Library at Bankipore n.92 ومخطوط لنينغراد الروسية Institut Nardow Azl Leningrad.,

---

[1] ـ ابن البيطار، التفسير، ص8ظ.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص264.

n174 ومخطوط بمكتبة الطب Biblioteca Medicea Laurenziaa Florenziana, n.244,224 ومخطوط مدريد بإسبانيا الخاص بالمجموعة الملكية للتأريخ تحت رقم CXL.CXLVIRAHM[1]

قسم ابن البيطار كتاب المغني إلى جزأين وكان ذلك بين سنتس 635 و636 هـ أي بعد وفاة الملك الكامل الذي كان يحكم مصر، فقام بإهدائه إلى الملك نجم الدين. وعلى أهمية الكتاب ودلالته على غزارة علم ابن البيطار بالأدوية المفردة والنبات، إلا أنه لم يشتهر بين الناس ولم ينل حظه من الاهتمام كما نالته بقية الكتب التي ألفها ابن البيطار كالجامع والتفسير.

[1] ـ ينظر: العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص223.

الفصل الرابع:

دراسة تطبيقية لمعجم الجامع لابن البيطار

تمهيد:

عرفت الصناعة المعجمية العربية تطورا كبيرا منذ نشأتها وظهور إرهاصاتها في القرن الثاني الهجري، إلى أن اكتهلت ونضجت في عهد ابن البيطار في القرن السابع الهجري، وبدأ التأليف في المعجم المختص بالرسائل اللغوية الخاصة التي جُمعت فيها ألفاظ الأشياء والنبات والحيوان، إلى أن وصل إلى صناعة معاجم في علوم مختلفة اتخذت من تلك المؤلفات السابقة مصادر لها، كما أضافت عليها ما تم ترجمته من كتب أعجمية متخصصة، فانتقل التأليف المعجمي من الجهود الرامية إلى جمع اللغة العربية وحفظها، إلى صناعة معجمية حقيقية تسعى إلى التعريف بالعلوم وشرح مصطلحاتها وتحديد مفاهيمها.

المبحث الأول: التعريف بابن البيطار وكتاب الجامع

1 ـ التعريف بابن البيطار:

هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المشهور بابن البيطار، ولد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري بالأندلس بمدينة مالقة من أسرة اشتهرت بالعلم، فأبوه كان بيطريا، إلا أن ابن البيطار سلك طريق عالم النبات والطب والصيدلة.

درس علم النبات على يد أكبر عالم أندلسي في زمانه وهو ابن الرومية النباتي (ت637هـ)، وكان من منهج معلمه الخروج إلى الريف لمعاينة النبات وكان يصطحب ابن البيطار معه، حتى إن ابن البيطار تفوق على أستاذه بفضل إجادته للغة اليونانية والسريانية مما مكنه من الاطلاع على الكتب الطبية اليونانية واستيعاب كل ما تحتويه من علوم. كما أن رحلته إلى أقطار العالم الإسلامي مكنه من معاينة النبات بنفسه[1].

رحل ابن البيطار عن الأندلس وسنه أربعة وعشرون عاما في رحلة علمية طويلة ولم يعد إلى الأندلس ثانية، فمر بالمغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط منتقلا إلى إفريقيا (تونس) ثم انتقل إلى طرابلس الغرب وركب البحر منها إلى آسيا الصغرى، ومنها اتجه إلى بلاد اليونان حتى وصل إلى أقصى بلاد الروم، ثم انتقل إلى المشرق الإسلامي فزار بلاد فارس والعراق ثم انتقل إلى الشام فمصر، وكان يحرص على زيارة أرياف كل بلاد مر بها وصحاريها للوقوف على أنواع النباتات التي تنمو بها خاصة النباتات التي لم يطلع عليها من قبل[2]. وقد وصفه ابن أبي

---

[1] ـ ينظر: علي عبد الفتاح، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، ج1، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2010، ص763

[2] ـ ينظر: نفسه، ص763 ـ 764.

أصيبعة بـ :"علامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير وعاينه في مواضعه واجتمع أيضا في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات وعاين منابته وتحقق ماهيته"[1]، وهذا يدل على أن ابن البيطار لم يكن ليكتفي بما يأخذه من أطباء الأمصار التي زارها بل كان يعاين بنفسه النبات في منابتها وهذا حرصا منه على معرفة أدق التفاصيل عنها وتوخيا لأمانة النقل والشرح، وأتاح له هذا المنهج الذي اتخذه لنفسه التبحر في علم النبات، حتى صار علامة زمانه في هذا الفن.

حظي ابن البيطار بمكانة عالية عند سلطان مصر الملك الكامل محمد بن أبي بكر الأيوبي (615هـ ـ 635هـ)، حيث جعله رئيسا على العشابين وأصحاب البسطات، وكان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش، وبقي في خدمته إلى أن توفي الملك الكامل، ثم انتقل إلى القاهرة وخدم الملك نجم الدين بن الملك الكامل وكان يحظى بمكانة مرموقة عنده كذلك[2]، حتى إنه كان ملازما له ينتقل معه بين القاهرة ودمشق حتى وفاته بدمشق سنة 646هـ.

2 ـ كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية): وهو مدونة فصلنا هذا، وقد ألفه ابن البيطار وأهداه إلى السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين، وكان ذلك بعد تأليفه لكتاب المغني بعد سنة 640هـ[3]، ويعد كتاب (الجامع) موسوعة كبيرة في الأدوية والنبات، وتأخر اكتشافه من قبل

---

[1] ـ ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، ت امرؤ القيس بن الطحان، المطبعة الوهبية، ط1، 1882، ص133.

[2] ـ ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص133.

[3] ـ ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص52.

الأوربيين إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث ترجم ترجمة مختصرة إلى اللاتينية سنة 1833م، ثم ترجم ترجمة تامة إلى الألمانية سنة 1840م[1].

أما الترجمة التامة والدقيقة للكتاب فكانت على يد لوسيان لكلرك Lucien Leclerc وهي ترجمة فرنسية وتعد من أتم الترجمات وأدقها، وهي الترجمة الوحيدة التي كانت في مستوى أعظم كتاب في الصيدلة ظهر في القرون الوسطى[2]. وهذا الاهتمام الأوروبي بالكتاب من خلال ترجمته إلى عدة لغات يبين قيمة الكتاب ومكانته العلمية.

كما أن الكتاب لم يظهر عند العرب إلا في الفترة التي ظهر فيها عند الأوروبيين، حيث لم يتم الكشف عنه إلا سنة 1291هـ -1874م، في طبعةببولاق، وبقيت هذه الطبعة هي السائدة، وبقي اهتمام الباحثين المعاصرين بالكتاب قليلا جدا، إلى أن قامت دار الكتب العلمية ببيروت بطباعة كتاب الجامع ونشره سنة 1992م في أربعة مجلدات.

أما سبب تأليف ابن البيطار لكتاب (الجامع) فقد كان استجابة لأمر سلطان مصر السلطان الصالح نجم الدين، وقد ذكر هذا في مقدمة كتابه وبين أن تأليفه للكتاب كان استجابة لأوامر السلطان بتأليف كتاب في الأدوية المفردة يذكر فيه ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها، كما أثنى ابن البيطار في مقدمة كتابه على العمل الذي قام به، وتميزه عما سواه وفضله على غيره بما احتواه[3]، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام الحكام والسلاطين منذ القرون الأولى بالعلم والعلماء، وحرصهم على تشجيع التأليف في مختلف صنوف العلم

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، ص271-272.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم، ص272.

[3] ـ ينظر: ابن البيطار، الجامع، المقدمة ص،3.

والمعرفة، وكان ابن البيطار من جلساء السلطان ومقربيهم وكانت عادة الملوك تقريب أهل العلم وإجزال العطاء لهم.

أما الغرض من تأليف الكتاب، فقد ذكر ابن البيطار في مقدمته ستة أغراض ابتغاها من تأليف كتاب الجامع وهي:

الغرض الأول: استيعاب كل ما يتعلق بالأدوية المفردة والأغذية، وذكر كل ما ينتفع به الناس من شعار ودثار، كما عمد ابن البيطار إلى استيعاب كل ما جاء في (الخمس مقالات) لديسقوريدوس وما جاء كذلك في (الست مقالات) لجالينوس، غير أن ابن البيطار لم يكتف بهذين المصدرين بل استعان بأقوال المحدثين من علماء الأدوية والنبات مما لم يجده عند ديسقوريدوس وجالينوس، وكان يحيل الأقوال إلى أصحابها[1]. وقد تميز أسلوب ابن البيطار بإسناد الأقوال إلى قائليها بكل أمانة وتثبت.

الغرض الثاني: اعتمد ابن البيطار على أسلوب المشاهدة والتثبت فيما ينقله عن المتقدمين أو المتأخرين من العلماء، فكان الغرض من تأليفه لكتاب الجامع صحة النقل عن الأقدمين والمتأخرين، وكان لا يثبت في كتابه إلا ما صح عنده بالخبرة والمشاهدة والتجربة، أما ما خالف المشاهدة والصواب، أو شك في عدل ناقله أو قائله فإنه كان ينبذه ولا يأخذ به ويخطئه دون أخذ اعتبار لمكانة قائله أو من نقل عنه[2].

الغرض الثالث: تجنب ابن البيطار الوقوع في التكرار قدر الإمكان، إلا لحاجة فرضتها زيادة المنفعة وتوضيح للمعنى.

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ص3.

[2] ـ الجامع، ص3-4.

الغرض الرابع: طلب ابن البيطار التسهيل على من يريد الاطلاع على كتاب الجامع باعتماده على طريقة الترتيب على حروف المعجم، وهي أسهل طريقة تمكن المتصفح للكتاب من الوصول إلى مبتغاه دون مشقة أو عناء[1].

الغرض الخامس: وهو أهم غرض وأجل عمل قام به ابن البيطار في كتابه الجامع، وهو اعتماده على التجربة والمشاهدة لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها غيره من العلماء في نقل الأدوية بسبب اعتمادهم على النقل دون تثبت أو تجريب[2].وهذا الأسلوب العلمي تميز به ابن البيطار عن غيره من العلماء مما أضفى على كتابه قبولا ومصداقية منقطعة النظير.

الغرض السادس: اعتمد ابن البيطار على لغات عدة في نقل المصطلحات وشرحها، حيث ذكر الكثير منها زيادة على اللغة العربية مثل: البربرية واللاطينية، وكان الغرض من ذكر أسماء الأدوية بلغات مختلفة هو زيادة منفعة أو التعريف بتجربة مشهورة عند أهل البلد الذي تنبت فيها تلك الأعشاب. كما حرص ابن البيطار على ضبط الكلمات ــ خاصة العجمية ــ بالشكل تجنبا للوقوع في التصحيف والخطأ.

وعن سبب تسميته بـ (الجامع) فلكونه جمع بين الدواء والغذاء، وبلغ من خلاله الغرض الذي قصده مع الإيجاز والاستقصاء[3].

2 ـ 1 ـ مكانة كتاب الجامع العلمية: من خلال النظر في سيرة ابن البيطار العلمية ومكانته التي ملأت الآفاق، يمكن الحكم على جهوده العلمية المتمثلة في مؤلفات عديدة وعلى رأسها كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، حيث جمع فيه أكثر من 3000 مصطلح طبي

---

[1] ـ ينظر: الجامع، ص4.

[2] ـ الجامع، ص4.

[3] ـ الجامع،المقدمة، ص4.

وصيدلاني، وتميز كتاب الجامع بضخامة المادة التي يعالجها وتنوعها، حيث ضم كتابه المصطلحات التي ترجمت عن اليونانية ونقلت إلى العربية، كما احتوى على مصطلحات العلماء العرب كالدينوري والرازي والغافقي...

كما اكتسب كتاب ابن البيطار مكانة علمية ـ زيادة على تنوع مادته وضخامتها ـ من خلال اتباعه منج المعاينة الشخصية للكثير من المادة العلمية التي دونها، والرواية عن أهل العلم والاختصاص، كما اتبع منهج النقد وتصحيح الكثير من الأغلاط التي وقع فيها النقلة عن جهل أو بسبب التصحيف.

وقد شهد لوسيان لكلرك (L.Leclerc) في مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب (الجامع) على أنه منذ (ديوسقريدس) إلى عصر النهضة، لا يقارن أي أثر بكتاب (الجامع)[1]، وهذه شهادة تبين القيمة العلمية لهذا الكتاب وصيته الذي ملأ الآفاق.

---

[1] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، 275.

المبحثالثاني: قضيتا الجمع والوضع في كتاب الجامع

من أهم القضايا التي تميز الصناعة المعجمية قضيتا الجمع والوضع، وهما متصلتان بالمدونة التي يتناولها معجم ما بالدراسة، فالمعجم يتميز عن غيره من المؤلفات بأنه يشتمل على مادة لغوية هي عبارة عن مدونة تجمع من مصادر محددة وتوضع في معجم وفق منهج محدد يعرف بالوضع. وأول من تطرق لهذين المصطلحين من العلماء العرب ابن منظور في مقدمة معجمه (لسان العرب) في معرض حديثه عمن سبقه ممن ألفوا في المعاجم اللغوية، حيث انتقد طريقة تأليفهم لها وخاصة في مسألتي الجمع والوضع حيث يرى أن العلماء في هذا الفن انقسموا إلى قسمين، فمنهم من أحسن جمع مادة معجمه ولم يحسن وضعه، وأما القسم الثاني فهم من أجاد وضعه ولم يجد جمعه[1]، وهذا يبين أهمية هاتين القضيتين في صناعة المعجم، فلا يكتمل المعجم ولا يؤدي وظيفته إلا إذا أُجيدجمعه ووضعه معا.

1 ـ قضية الجمع في كتاب الجامع: تعد المصادر التي اعتمد عليها المعجمي في صناعة معجمه إحدى أهم مسائل الجمع، وقد تكون المصادر كتبا أو نصوصا مكتوبة ــ وهي الأصل ــ كما قد تكون شفهية عن طريق الرواية المباشرة من خلال مجالس العلم أو سؤال أهل الخبرة والمعرفة.

ومن مسائل الجمع كذلك المستويات اللغوية، ويقسم إبراهيم بن مراد المستويات اللغوية إلى قسمين: أولها من حيث العموم والخصوص، فقد يكون اللفظ لغويا عاما أو قد يكون مصطلحا ينتمي إلى حقل مفهومي خاص، وحتى المصطلح ينقسم إلى قسمين فإما أن يكون علميا أو

---

[1] . ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ مقدمة الكاتب، 7/1.

فنيا[1]، فإن اتفق المصطلحان في كونهما ينتميان إلى اللغة المختصة إلا أنهما يختلفان في مجال التخصيص، وعلى هذا الأساس تصنف المعاجم إلى معاجم علمية ومعاجم فنية.

أما القسم الثاني من المستويات اللغوية فيكون على حسب معيار فصاحة الكلمة وعدمه، وقد جعل ابن مراد لهذا الصنف أنواعا وأقساما، وأول نوع هو الفصيح، وهذا الأخير ينقسم إلى فصيح قديم نادر، وفصيح وحشي غريب، وأدبي مستعمل، وفصيح إسلامي مُحدث[2]، وهذا المستوى اللغوي من أقل المستويات استعمالا في المعاجم العلمية المختصة وخاصة معاجم الطب والصيدلة بسبب أن العرب لم تكن تعرف هذا النوع من التأليف، وأول ما ظهرت معاجم الطب والصيدلة كانت نتيجة لتجارب أخذت عن كتب اليونان والفرس، وهذا ما يفسر تأخر ظهورها مقارنة بالمعاجم اللغوية العامة التي تعد جهدا عربيا خالصا.

أما النوع الثاني من المستويات اللغوية فهو المولَّد، وهو ما تكلم به المولدون الذين لا يحتج بكلامهم في النحو واللغة، سواء أكانوا عربا أم غير عرب، وقد يقصد بالمولدين من كان آباؤهم عربا وأمهاتهم أعجميات[3]، ولم يكن يحتج بكلامهم، وقد أورد علماء اللغة الكثير من كلامهم للتنبيه على أنه لا يجوز الاحتجاج به.

والنوع الثالث هو العامي المبتذل، وهو ما تكلمت به العامة بعد انتهاء الفصاحة، وانتشار الإسلام في بلاد كثيرة خارج الجزيرة العربية، فكانت هناك عاميات تنتمي إلى أقطار عربية عديدة، وكانت هذه العاميات ملاذ الكثير من العشابين والأطباء لإيجاد مقابلات لمصطلحات

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص69.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص69-70.

[3] ـ ينظر: محمد الحباس ، بحوث في فقه اللغة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2023م، ص515

أعجمية لم تسعفهم الفصحى في إيجاد مقابلات لها. أما النوع الرابع فهو الأعجمي، وقد يكون معربا أو دخيلا.

أما المسألة الثالثة في قضية الجمع فهي المجالات المفهومية في المعجم العلمي، أو المجالات الدلالية في المعجم اللغوي العام[1]، فالكلمة لها معنى لغوي تهتم به المعاجم اللغوية العامة، وللمصطلح مفهوم يدرس ضمن المعاجم العلمية المختصة.

1 ـ 1 ـ مصادر ابن البيطار في معجم الجامع:

يعد معجم ابن البيطار من المعاجم المختصة في الأدوية المفردة والأغذية، وهذا التخصص لم يعرفه العرب في شبه الجزيرة العربية لا في جاهليتهم ولا في بداية الفترة الإسلامية، وقد اطلع العرب على هذا العلم عن طريق ترجمة الكتب الأعجمية اليونانية منها خاصة، وبالتالي يمكننا القول إن المعاجم العلمية المختصة في الطب والصيدلة قد ارتكزت في بداية تأليفها على مصادر أعجمية، وهذا سينعكس بالضرورة على المسألة الثانية من مسائل الجمع وهي المستوى اللغوي كما سنرى لاحقا.

واعتماد علمي الطب والصيدلة في نشأتهما على مصادر أعجمية جعل بينها وبين المعاجم اللغوية فرقا شاسعا من حيث اللغة والمصادر المعتمد عليها ومن حيث المستوى اللغوي السائد في كل نوع من المعاجم المذكورة. فالمصادر التي اعتمد عليها واضعو المعاجم اللغوية العامة هي مصادر حددت زمنيا وجغرافيا، وتمثلت في المأثور من الكلام العربي ويشمل القرآن الكريم والشعر الجاهلي وبعض الإسلامي، والنثرالجاهلي والإسلامي على قلته، والكلام المروي مشافهة من أفواه العرب وخاصة الأعراب، أما مصادر معاجم الطب والصيدلة فكانت أغلبها أعجمية.

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص70.

وبما أن مدونتنا في الأدوية المفردة، أي في مجال الصيدلة، فمن الواضح أن ابن البيطار لم يخالف القاعدة، حيث اعتمد على مصادر أعجمية كثيرة في كتابه الجامع، وبالأخص (المقالات الخمس) لديوسقريديس، وتلميذه جالينوس، وقد اعتمد ابن البيطار على هذين العالمين اعتمادا كبيرا، حتى إنه أورد كل مادتهما في كتابه الجامع، إذ يقول في مقدمة كتابه:"...واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصه وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفردات بنصه ثم ألحقت بأقوالهما من أقوال المحدثين"[1]. وهذا دليل على أن ابن البيطار قد اعتمد علي المصدرين اعتمادا كليا وحرفيا، حيث استوعب معجمه كل المادة التي أوردها ديسقوريدس وجالينوس، غير أنه لم يكتف بأقوالهما بل استعان بأقوال العلماء المعاصرين له فتنوعت مصادره.

ـ **المصادر الأعجمية:**وكانت لابن البيطار عناية خاصة بكتاب ديسقوريدوس، حيث خصه بالشرح في كتاب(تفسير كتاب دياسقوريدوس)، وقد أثنى ابن أبي أصيبعة ــ وهو تلميذ ابن البيطار ــ على تمكن ابن البيطار من استحضار كل ما ورد في كتابي ديسقوريدوس وجالينوس وقدرته على تعيين كل دواء يذكره في أي مقالة هو من كتابيهما وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة[2]، وهذا يدل على سعة اطلاع ابن البيطار وحفظه للكتابين وقدرته على الاستشهاد بهما عن ظهر قلب.

ولن نتكلف جهدا كبيرا ونحن نتصفح كتاب الجامع حتى نعثر على المصطلحات والنصوص التي اقتبسها ابن البيطار من المصدرين اليونانيين، إذ نجد أول مصطلح افتتح به معجمه كان مصطلحا يونانيا وهو (آالُسَن): اسم يوناني ... ديسقوريدوس في المقالة الثالثة: هو

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، المقدمة ص3.

[2] ـ ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص133.

دواء يستعمل في وقود النار...[1] ثم يذكر خصائص الدواء ومذاقه وشكله وأماكن نباته... ويستفيض في ذكر النص الوارد في المقالة الثالثة لديسقوريدوس كاملا، ثم يأتي بعد ذلك بقول جالينوس في المقالة السادسة: إنما سمي هذا الدواء بهذا الاسم أعني آالوس[2] لأنه ينفع من نهشة الكلب...[3]، ونجد كذلك مصطلح (أبنوس): ديسقوريدوس في المقالة الأولى: ... وهو أسود وليس فيه طبقات... جالينوس في السادسة: هذه الخشبة من الأشياء التي إذا حكت بالماء انحلت...[4]، وفي أغلب الأحيان نجده يورد شرح ديسقوريدوس للمصلح يليه رأي جالينوس، وأحيانا يكتفي بشرح أحدهما مثل ما فعل في مصطلح (أبوقابس): وهو الغاسول الرومي... ديسقوريدوس في الرابعة: ... وهو شيء يقصر به الثياب[5].

ومن خلال تتبعنا لمصادر ابن البيطار نجد أن كتابي ديسقوريدوس وجالينوس من أهم المصادر التي اعتمد عليها في معجمه، ولا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من رأي للعالمين اليونانيين أو على الأقل رأي أحدهما وبالأخص ديسقوريدوس بحكم أنه أستاذ جالينوس وأعلم منه وأعلى مكانة في هذا الفن.

وقد قال ابن البيطار في مقدمة معجمه أنه استوعب في كتابه الجامع كل ما في المخمس مقالات من كتابديسقوريدوس بنصه وفعل نفس الأمر مع ما ورد في كتاب جالينوس في الست

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص5.

[2] . ذكر ابن البيطار أن هذه الكلمة تكتب بكيفيتين: آالسن و آالوس، 5/1.

[3] ـ الجامع، ج1، ص5.

[4] ـ الجامع، ج1، ص11.

[5] ـ الجامع ، ج1، ص12.

مقالات[1]، ويفهم من كلامه أنه نسخ نص ما جاء في الكتابين، ويمكن القول إن أغلب مادة معجم الجامع مأخوذة من الخمس مقالات والست مقالات.

ومن المصادر الأعجمية التي اعتمدها ابن البيطار زيادة على المصدرين السابقين ولكن بنسبة أقل بكثير نجد: ديمقراطيس، وقد غلب عليه الفلسفة، وكان من معاصري سُقراط،وبعض المصادر أشارت إلى أنه كان في زمن بقراط وهو الأقرب إلى الصواب. ذكره ابن البيطارفي معرض شرحه للمصطلح (آالسن) نقلا عن ديمقراطيس: هذا النبت يشبه الفراسيون إلا أنه أخشن...[2].

كما نجده قد اعتمد على العالم بديقورس في شرحه للمصطلح أصابع صفر: وبدله وزنه مرة ونصف وزنه...[3] وهناك من يسميه بديغورس ويرى ابن مراد أنه هو نفسه العالم الرياضي المشهور فيتاغورس، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد[4]، وحتى ابن البيطار استشهد بقوله في موضع آخر تحت اسم بديغورس، وهذا في معرض شرحه لمصطلح (كهرباء) حيث قال: بديغورس: إذا شرب منه نصف مثقال بماء بارد حبس القيء..."[5]. ومن المعلوم أن العلماء قديما كانوا يتخصصون في أكثر من علم فنجد العالم منهم يبرع في الفلسفة والرياضيات والطب والفلك في آن واحد.

ومن مصادر ابن البيطار الأعجمية استشهاده برأي دوقس في شرحه لمصطلح (افتيمون)، كما جاء برأي بولس في نفس المصطلح، وهو على الأرجح الطبيب اليوناني بولس الجانيطي

---

[1] ـ الجامع، المقدمة، ص3.

[2] ـ الجامع، ج1، ص5.

[3] ـ الجامع، ج1، ص54.

[4] ـ ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص73.

[5] الجامع، ج4، ص356.

الذي عاش في القرن السابع الميلادي، وعرف عند العرب بتخصصه في أمراض النساء، وقد ترجم حنين كتابه (الكناش في الطب) إلى العربية، كما أن له كتابا في (علل النساء).

كما استشهد بآراء كل من دياغورس و سطراطيس وأندراوس ومنديمس[1]، وكلهم علماء يونانيون جاء ذكرهم نقلا عن العالم ديسقوريدوس.

وقد نجد من مصادر ابن البيطار من العلماء المشهورين والذين ذاع صيتهم مثل: بقراط وهناك من يسميه إبقراط بإثبات الهمزة، وهو طبيب يوناني توفي حوالي عام 377 قبل الميلاد، وهو من أطباء الطبقة الثانية، ألف كتبا عديدة في الطب منها كتاب (الفصول)، وكتاب (تقدمة المعرفة) وكتاب (أفيذيميا) وكتاب (الأمراض الحادة) كما ألف كتاب (الجبر والخلع) وله كتاب في (طبيعة الإنسان) وكتاب (الأخلاط) وألف كتابا في (القروح وجراحات الرأس) وكتب أخرى كثيرة[2]. وقد استشهد ابن البيطار بقوله في معرض شرحه لمصطلح (الثوم) حيث قال:"وقال بقراط في كتاب ماء الشعير: هو محرك للريح في البطن...[3].

كما نجد الكثير من المصادر التي لم نعثر على ترجمة لأصحابها، ولا نعلم إن كان قد أخذ عنها مباشرة أم هي ضمن المصادر التي اعتمدها، مثل: سنهشار الهندي: حيث قال في الثوم إنه جيد للرياح والنسيان...[4]، وكذلك نجده قد اعتمد على رأي قسطس وروفس حول نفس

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص62.

[2] ـ ينظر، طبقات الأطباء والحكماء، ابن جلجل، ص16.

[3] ـ الجامع، ج1، ص208.

[4] ـ الجامع، ج1، ص208.

المصطلح. ومن المصادر الأعجمية نجد بولس: حيث ذكره ابن البيطار في شرحه لمصطلح: "(جاورس) قال: بولس: له قوة مجففة مع ما فيه من القبض"[1].

ومن المصادر الأعجمية التي اعتمدها ابن البيطار نجد أرماسوس: في شرحه لمصطلح "(اسطوخودوس): إذا سقي منه بماء العسل نفع من تزعزع الدماغ...[2]. كما نجده اعتمد على شرح ثاوفرسطس لمصطلح (كهرباء) يوقول:"ثاوفرسطس:إن علق على الحامل حفظ جنينها..."[3]

ـ **المصادر العربية:** رغم أن ابن البيطار قد اعتمد بشكل أساسي على المصادر العجمية وعلى رأسها الخمس مقالاتـ ديسقوريدوس والست مقالات لجالينوس، خاصة في ما تعلق بمداخل معجمه، وهذه الحقيقة نجدها عند تصفحنا للمعجم الجامع ونجدها في مقدمة كتابه. غير أنه لم يكتف بهذين المرجعين ــ رغم أهميتهما في مجال الأدوية المفردة وسبقهما ــ بل استعان بمصادر عربية وإسلامية عديدة، خاصة في شرحه لمصطلحات الأدوية والأطعمة، حيث يقول في مقدمة معجمه:"ثم ألحقت بقولهما (أي ديسقوريدوس وجالينوس) من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه..."[4] والغالب أنه يقصد بالمحدثين العلماء العرب والمسلمين الذين برعوا في مجال الأدوية المفردة وكانت لهم إسهامات كبيرة في هذا الفن.

ومن المصادر العربية التي اعتمد عليها ابن البيطار في كتابه الجامع، نجد الغافقي وهو أبو جعفر أحمد بن السيد الغافقي (ت650هـ) طبيب وصيدلي أندلسي، عاصر ابن البيطار، وهو من أكابر علماء الأندلس وحكمائها، وكان أعلم أهل زمانه بالأدوية المفردة وله كتاب سماه(في

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص14

[2] ـ الجامع، ج1، ص33-34.

[3] ـ الجامع،ج 4، ص356.

[4] ـ الجامع، المقدمة، ص3.

الأدوية المفردة) لا نظير له في جودته، استقصى فيه ما أورده ديسقوريدوس وجالينوس، وكان فيه موجزا مع تمام المعنى[1]، وسار ابن البيطار على نهجه بذكر أقوال المحدثين من علماء الأدوية المفردة تبعا لقول العالمين اليونانيين وتكملة لما لم يذكراه أو يقوما بشرحه. ذكره ابن البيطار في شرحه لأول مصطلح في معجم الجامع وهو مصطلح (آالسن) حيث قال:" وذكر الغافقي: دواء آخر وسماه عشبة السباع وهو ينفع من عضة الكلب..."[2]، كما اعتمد ابن البيطار على آراء الغافقي كثيرا، خاصة حين يتطرق لشرح المصطلحات الأندلسية والبربرية بحكم أن الغافقي عالم أندلسي، ومن أمثلة ذلك: (آارفيس) اسم بربري...الغافقي: أصل شجرة البرباريس إذا طبخ بشراب أو خل وسقي نفع من أوجاع الكبد..."[3]، كما اعتمد على شرحه لمصطلح (آامليس) ...اسم بربري لشجر معروف... الغافقي: هو شجر يعلو فوق القامة ويتدرج ..."[4]. وقد يعتمد ابن البيطار على شرح الغافقي ضمن شروح علماء آخرين، كما أنه يعتمد على شرحه منفردا مثل ما نجده في شرح مصطلح (إبرة الراعي): الغافقي: وإبرة الراهب أيضا يسمى بهذا الاسم..."[5] فذكر ما جاء به الغافقي دون غيره.

ومن العلماء العرب الذين أكثر ابن البيطارالأخذ عنهم والاستشهاد بأقوالهم، العالم إسحاق بن عمران، وهو أول عالم ألف معجما مختصا حقيقيا وكان له الأثر الكبير في نشأة المعاجم العلمية العربية المختصة، وهو طبيب وفيلسوفمن أصل عراقي وألف معجمه في القيروان التي انتقل إليها حوالي سنة 262هـ (ت279هـ)، إلا أن كتابه (الأدوية المفردة) مفقود. ولم يبق لنا

---

[1] ـ ينظر، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء،ج2، ص56.

[2] ـ الجامع، ج1، ص6.

[3] ـ الجامع، ج1، ص8.

[4] ـ الجامع، ج1، ص8.

[5] ـ الجامع، ج1 ص13,

منه غير الشواهد التي أوردها ابن البيطار في الجامع وغيره من العلماء كالغافقي في (الأدوية المفردة)، وقد أحصى ابن مراد شواهد إسحاق بن عمران التي اعتمدها ابن البيطار في الجامع 180 شاهدا جاءت في 164 مادة، ومن هذه الشواهد ما هو في التعريف اللغوي أو التعريف بخصائص العقاقير، ومنها ما هو في النبات والمداواة[1]. رغم أن كتاب ابن عمران قد فقد ولم يصل إلينا إلا أن كثرة استشهاد ابن البيطار بأقواله يدل على قيمة الكتاب العلمية وأهميته في مجال المعجم المختص في الأدوية المفردة.

ومن أمثلة شواهدابن البيطار من كتاب إسحاق بن عمران نجد: أبهل: ... إسحاق بن عمران: الأبهل هو صنف من العرعر..."[2].

كما نجد إسحاق بن سليمان: والمعروف بإسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وهو طبيب وفيلسوف مصري، رحل إلى القيروان وجالس إسحاق بن عمران وكان من تلاميذه، ومن أهم مؤلفاته كتاب (في البول)، وكتاب في (الحميات)، وآخر في (الغذاء والدواء)[3]، وقد ذكره ابن البيطار في شرحة لمصطلح (أثل): ...إسحاق بن سلمان: ومن منافع حب الأثل إذا طبخ أو نقع في الماء الحار...نفع من الصفرة..."[4]. ونجد مثالا آخر في شرحه لمصطلح (إجاص): إسحاق بن سلمان: هو صنفان أسود وأبيض..."[5].

---

[1] ـ ينظر، ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص43-44.

[2] ـ الجامع، ج1، ص9.

[3] ـ العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، ص84.

[4] ـ الجامع، ج1، ص16.

[5] ـ الجامع، ج1، ص18.

ومن بين مصادر ابن البيطار، ابن جلجل القرطبي (332-384هـ) وهو أبو داود سليمان بن حسان، مؤلف كتاب (طبقات الأطباء)، عاش في عهد هشام المؤيد بالله، واعتنى بالأدوية المفردة، ومن أهم كتبه: كتاب تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، وكتب أخرى كثيرة[1].

ومن أشهر من ذكرهم ابن البيطار يوحنا بن ماسويه، وكان طبيبا ومترجما، خدم هارون الرشيد، حيث كلفه بترجمة كتب الطب اليونانية، وصار في عهد الخليفة المأمون رئيسا لبيت الحكمة. ومن شواهده التي اعتمدها ابن البيطار كان في شرح مصطلح "(أرماك): يوحنا بن ماسويه: هو دواء هندي يشبه قرفة القرنفل"[2].

كما أخذ ابن البيطار عن الرازي، وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت313هـ)، ولد وكبر بالري، وسافر إلى بغداد بالعراق، تعلم الطب كبيرا[3]. مؤسس علم الطب والصيدلة العربي، وكتابه (الحاوي) يعد أضخم موسوعة في الطب والأمراض، تتألف من ثمانية مجلدات. تردد ذكره كثيرا في كتاب الجامع ومثال ذلك: (ارتديريد):"الرازي: دواء فارسي..."[4]، ومن أمثلة ما استشهد به ابن البيطار بقول الرازي في تعريفه لمصطلح (ارتديريد)[5]. وقد ذكره ابن البيطار في الجامع حوالي 400 مرة[6]، وهذا يدل على أهمية هذا المصدر في مجال الأدوية والطب.

---

[1] ـ العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص181.

[2] ـ الجامع، ج1، ص27.

[3] ـ بنظر: الرازي، الحاوي في الطب، المقدمة ص أ.

[4] ـ الجامع، ص27.

[5] ـ الجامع، ج1، ص27.

[6] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العربي المختص، ص78.

ومن أشهر علماء الأندلس الذين أخذ عنهم ابن البيطار[1]، أبو العباس النباتي، وهو أبو العباس بن محمد بن مفرح بن أبي الخليل الأموي الإشبيلي والمعروف بابن الرومية (637هـ)، جمع بين علمي الحديث والنبات والعقاقير، انتقل إلى المشرق فدخل مصر والعراق وبلاد الشام والحجاز، ومن مؤلفاته: (كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس)، وكتاب (الرحلة النباتية)...[2]، وتجربته في مجال الأدوية تشبه كثيرا تجربة ابن البيطار، فكلاهما اشتغل على كتابي ديسقوريدس وجالينوس، كما انتقلا إلى بلاد المشرق وسلكا الطريق نفسها تقريبا لطلب علم الأدوية والأعشاب.

ومن أهم المصادر التي اعتمدها ابن البيطار أبو حنيفة الدينوريوهو أحمد بن داود الدينوري (282هـ)، ومن أهم مؤلفاته (كتاب النبات)، وقد اعتمد عليه ابن البيطار كثيرا خاصة في تعريفه للمصطلحات العربية الفصيحة، مثل (أراك): أبو حنيفة: هو أفضل ما استيك به...[3]، ويعد كتاب النبات من أشهر الكتب في هذا العلم، جمع فيه ما نطقت به ألسنة العرب من أسماء النبات.

ومن مصادر ابن البيطار كذلك، التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر ابن حمدون، شرف، ولد سنة (580هـ) بتيفاش وهي بلدة بسوق أهراس، ومن أشهر كتبه (فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب)، وهو الكتاب الذي أخذ عنه ابن البيطار

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص27.

[2] ـ ينظر: العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص 220-221.

[3] ـ الجامع، ج1، ص28.

قول التيفاشي في شرحه لمصطلح (أرجوان)[1]وهي من المرات النادرة التي يذكر فيها ابن البيطار عنوان المصدر الذي أخذ عنه إضافة إلى اسم كاتبه.

ولا يزال ابن البيطار سائرا على منهجه الذي اتخذه وهو إيعاز الأقوال والآراء إلى قائليها فنجده في شرحه لمصطلح (أرنب بري)[2] يعتمد على قول الغافقيأبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي، صاحب كتاب (الأدوية المفردة). ومن مصادر ابن البيطار: أبو عبيد البكري القرطبي الأندلسي[3]. وابن سمحون[4]، وأحمد بن أبي خالد (ت212هـ) وكان كاتبا ووزيرا في عهد الخليفة المأمون.

ومن العلماء الذين كان لهم الفضل في نشأة التأليف المعجمي في الطب والصيدلة نجد ابن ماسويه[5] (ت243هـ)، وكان له إسهام كبير في الترجمة من اليونانية إلى العربية، كما أشرف على بيت الحكمة، ومن أهم كتبه (إصلاح الأدوية المسهلة)، ويليه حنين بن إسحاق العبادي (ت260هـ)، كما نجد من علماء القرن الثالث الهجري ممن كانوا مصادر لابن البيطار الطبري[6] وهو أبو الحسن علي بن زين (ت250هـ). ومن علماء الطب الذين اعتمد عليهم صاحب الجامع هو أبو علي الحسين ابن سينا[7]، ومن أشهر مؤلفاته (كتاب القانون) حيث خصص جزءا منه للأدوية المفردة.وابن رضوان أبو الحسن علي (ت453هـ)[8].

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص29.
[2] ـ الجامع، ج1، ص29.
[3] ـ الجامع، ج1، ص31.
[4] ـ الجامع، ج1، ص31.
[5] ـ الجامع، ج1، ص33.
[6] ـ الجامع، ج1، ص27.
[7] ـ الجامع، ج1، ص27.
[8] ـ الجامع، ج1، ص54.

ومن المصادر اللغوية التي اعتمد عليها ابن البيطار نجد: الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم (العين)[1]، وقد تنوعت المصادر اللغوية التي اعتمدها ابن البيطار، فمنها المعاجمك (العين) للخليل، ومنها ما أُلف من رسائل لغوية ضمت في طياتها أسماء الحيوان والنبات الفصيحة، وقد اعتمد عليها ابن البيطار للتعريف بالنبات والأعشاب والحيوان. ومن أشهر اللغويين الذين استشهد بقولهم الفراء (ت 207هـ)[2]. كما اعتمد على أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)[3]، والأصمعي[4]. والملاحظ أن المصادر اللغوية ــ معجمية كانت أم لغوية محضة ــ قليلة جدا مقارنة بالمصادر المختصة في الطب والأدوية والنبات. فإذا استثنينا الدينوري باعتباره مصدرا لغويا اطرد ذكره في كتاب الجامع فإننا نجد شحا بينا في الاستعانة بالمصادر اللغوية، وهذا يفسره غلبة التفسير المنطقي على تعريفات ابن البيطار والتي ركز فيها على خصائص النبات والأدوية وصفاتها واستعمالاتها، ولم يلتفت إلى شرح معانيها اللغوية، ومن أسباب إهمال المصادر اللغوية أن أغلب المادة التي يعالجها ابن البيطار هي أعجمية الأصل ولا مكان لها في كتب العربية ومعاجمها.

أما المصادر الأدبية والشعرية فهي أندر من المصادر اللغوية العامة، ولم نقف على مصدر منها، وهذا عائد لطبيعة المعجم العلمي المختص، الذي يستخدم اللغة العلمية ومنهجه الاختصار والابتعاد عن الإطناب.

ويظهر لنا من خلال هذا العدد الكبير من المصادر العربية والإسلامية، الجهد الكبير الذي بذله ابن البيطار في شرح مادة معجمه، وعدم الاكتفاء بالمصادر الأعجمية المترجمة، وهذا

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص54.

[2] ـ الجامع، ج3، ص140.

[3] ـ الجامع، ج4، ص 490.

[4] ـ الجامع، ج2، ص292.

يعكس القيمة العلمية التي حظي بها كتاب الجامع، ويمثل نقلة كبيرة في مجال التأليف في الأدوية المفردة من خلال الاعتماد على المصادر العربية لتعريف الكثير من المصطلحات الأعجمية وإيجاد مقابلات عربية لها.كما يظهر لنا هذا الاعتماد الكبير على المصادر العربية تطور الصناعة المعجمية المختصة عند العرب، فلو عدنا إلى بداية ظهور هذا الفن في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري لوجدنا المعجم العلمي المختص في الطب والصيدلة قائما بشكل أساس على المصادر الأعجمية وتحديدا اليونانية. ولم يطرح الإشكال حول المصادر أعجمية الأصل فقط، بل الإشكال بقي قائما حتى بعد ترجمتها إلى العربية، وهذا بسبب كون من ترجمها ونقلها إلى العربية لم يكن لهم دراية كافية بالثقافة العربية ولا بلغتها بحكم أن أغلبهم كانوا من النصارى والسُريان، وحتى من كان من أصل عربي وصاحب ثقافة عربية واسعة كحنين بن إسحاق، فإنهم قد وقعوا في معضلة نقل علوم لم يعرفها العرب وبالتالي افتقار المعجم العربي الفصيح لمعظم ما تم ترجمته.

ومن جانب آخر يمكننا القول إن التأثر بالمصادر أعجمية الأصل، أو المصادر التي اعتمدت على ما تُرجم عن اليونانية والفارسية بقي قائما إلى غاية القرن السابع الهجري، وهي الفترة التي عاش فيها ابن البيطار، ويظهر ذلك جليا في كتابه الجامع، فرغم الجهود التي قام بها العرب منذ القرن الثالث الهجري من أجل التأصيل لعلم الطب والصيدلة وغيرهما من العلوم، إلا أن التأثر بالثقافة اليونانية بقي قائما، وهذا لا ينفي الجانب الإيجابي الذي يظهر من خلال كل تلك المصادر العربية التي أُلفت في الطب والصيدلة، وأغنت متنها بمادة لغوية عربية خالصة وأخذت من مصادر لغوية فصيحة كالرسائل اللغوية والمعاجم وكتب اللغة المختلفة.

وحديثنا عن المصادر العربية لا ينبغي أن يبعدنا عن حقيقة مهمة وهي الانفتاح على لغات الأمم الأخرى من أجل الاستفادة من العلوم التي كان لهم السبق فيها، وهذا ما قام به ابن البيطار، حيث كان للمصادر الأعجمية حضورقوي في كتابه.

1 ـ 2 ـ المستويات اللغوية في كتاب الجامع:

يمكن تقسيم المستويات اللغوية إلى صنفين، أما الصنف الأول فهو ما اتصل بالعموم والخصوص من الألفاظ المدرجة في المعجم، فمادة المعاجم المختصة هي المصطلحات العلميةالتي تنتمي إلى مجال مفهومي معين، وفي المقابل نجد المعاجم اللغوية العامة تعالج معاني ألفاظ اللغة العامة، وعلى هذا الأساس يمكن تصنيف المعجم إلى معجم مختص ومعجم لغوي عام.

ينتمي معجمنا المدروس إلى صنف المعاجم المختصة، فهو يعالج المصطلح العلمي الخاص بالأدوية المفردة والأغذية،إلا أن الأدوية التي كانت تستعمل قديما كانت عبارة عن أعشاب ونبات وما تعلق بهامن أزهار وحبوب، وأطعمة وأشربة مختلفة، فالمصطلحات الواردة في معجمنا لا تخرج عن هذه الأشياء وما لزمها من صفات وأدوات، وأوان وأوزان ومكاييل، كما يوجد صنف آخر من المصطلح وهو ما تعلق بالأدوية المركبة والأمراض.

ومن أمثلة المصطلحات النباتية نجد: "(إبرة الراعي): نبات يقال له الحجلق"[1]، ومن الشجر (أترج):"وهو مما يغرس غرسا...شجرته تبقى عشرين سنة"[2]، (أثل):"شجر عظيم)[3]، (إجاص)،:"

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص13.

[2] ـ الجامع، ج1، ص13.

[3] ـ الجامع، ج1، ص15.

هو صنفان أسود وأبيض"[1]، ومن الحبوب نجد (أرز):"في الأرز شيء من القبض...وهو قليل الغذاء يعقل البطن"[2](اراقوا):" بزر صغير صلب"[3]والملاحظ أن أغلب الدواء كان من النبات والأشجار، ويأتي في المرتبة الثانية الحيوان أو ما تعلق بعضو من أعضائه، ومن الأدوية الحيوانية التي ذكرها ابن البيطار، (اتوا):" هو صنف من الطير"[4]، (أرنب بري):" إذا شوي وأكل دماغه نفع من الارتعاش"[5]، (أخيون): "هو رأس الأفعى"[6].

كما اتخذت الأدوية من الأحجار والمعادن مثل (أرتكان): "هو حجارة صغار صفر"[7] و(إثمد):"حجر يخالطه الرصاص"[8]، (اكتمكث):"حجر يعرف بحجر الولادة)[9]. أما ما تعلق بالأشربة فنجد(بتع):" شراب مسكر يُتخذ باليمن)[10].

هذه أمثلة عن بعض أصناف المصطلحات التي تدل على الأدوية التي جاءت في معجم ابن البيطار، والملاحظ أنها تنتمي إلى مجالات مفهومية متنوعة، كالنبات والحيوان... ومن الصعب أحيانا الفصل بين مجال وآخر بسبب التداخل بينها، حيث نجد الكثير من المصطلحات تنتمي إلى حقول دلالية مشتركة، كحقلي الطعام والنبات مثلا، فكثير من النبات أو الشجر يستعمل طعاماكالأترج مثلا أو الأرز، وبهذا يصعب الفصل بينها.

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص18.
[2] ـ الجامع، ج1، ص25.
[3] ـ الجامع، ج1، ص26.
[4] ـ الجامع، ج1، ص18.
[5] ـ الجامع، ج1، ص29.
[6] ـ الجامع، ج1، ص20.
[7] ـ الجامع، ج1، ص28.
[8] ـ الجامع، ج1، ص17.
[9] ـ الجامع، ج1، ص70.
[10] ـ الجامع، ج1، ص115.

وهناك إشكالية أخرى متعلقة بالمصطلح الذي يكون وسطا بين اللفظ العام والمصطلح العلمي، وهناك من الدارسين من وصفه بالمصطلح الفني، كمصطلحات الأوزان والمكاييل، ومصطلحات الأدوات والأواني... إلا أننا نرى أن هذا الفصل لا يؤخذ بالحسبان، فالمصطلح يصنف على حسب الحقل الذي يستعمل فيه، فكل ما تعلق بالأدوية والطب فهو مصطلح طبي أو صيدلي.

يمكننا القول إن لغة معجمنا المدروس هي لغة تتسم بالخصوص وتبتعد عن اللغة العامة، وهذا ظاهر وبيّن من خلال المصطلحات المداخل، أو من اللغة التي استعملت في التعريف بتلك المصطلحات، حيث ابتعد ابن البيطار عن اللغة العامة فلا نجده يستشهد بأقوال الشعراء أو الأعراب الفصحاء، ولا أثر للشواهد القرآنية أو الحديثية كذلك، فالمعجم ألف لغرض علمي خالص وكتب بلغة علمية بعيدة عن العاطفة والذاتية.

هذا ما تعلق بالمستوى العام والخاص في لغة معجمنا المدروس، وهناك مستويات أخرى تتعلق بفصاحة المصطلح من عدمها، وهي مستويات لا تقل أهمية عن مستويات العموم والخصوص، فالفصيح من الألفاظ كان ولا يزال يطرح جدلا كبيرا خاصة في المجال العلمي وبالتحديد في العلوم العقلية، حيث انقسم العلماء بين متشدد ورافض لكل شكل من أشكال الاقتراض من لغات الأعاجم، وبين منفتح على ظاهرة الاقتراض دون قيد أو شرط، وفريق ثالث وسط بين الفريقين يرى أن الاقتراض لا يكون إلا للضرورة وبشروط وضوابط.

وتنقسم الألفاظ بحسب درجة الفصاحة إلى أربعة أقسام هي: الفصيح، والمولد، والأعجمي، والعامي. وهذه المستويات تعكسها المصادر التي أخذعنها ابن البيطار وبتنوعها تتنوع المستويات اللغوية التي تضمنها كتاب (الجامع).

فإذا أخذنا مستوى الفصيح من الألفاظ، فإننا نجد المصادر التي عالجت هذا النوع من الألفاظ حاضرة في كتاب (الجامع)، كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدي،و(كتاب النبات) لأبي حنيفة الدينوري، وهذا الأخير يعد من أهم المصادر اللغوية التي اعتمدها ابن البيطار لإثبات المصطلحات العربية الفصيحة، أو لشرح المصطلحات الأعجمية واعتمادها لإيجاد مقابلات عربية لها.

ومن أمثلة المصطلحات الفصيحة في كتاب الجامع: "(سجا): أبو حنيفة: أخبرني بعض الأعراب أنه نبات الفجل..."[1]. (سدر ونبق)[2]وهو شجر النبق[3]. "[4](سعدان): هو اسم عربي مشهور"والسعدان: شوك النخل"[5]. (سكر)[6]. (قرظ): "اسم لثمرة الشوكةالمصرية"[7]، "شجر يدبغ يدبغ بثمره وورقه"[8]. وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية كلسان العرب لابن منظور، فإننا نقف على فصاحة هذه الألفاظ ونتأكد من أصولها العربية، ومثل هذه الألفاظ الفصيحة كثير في كتاب (الجامع)، ويدل هذا على عناية ابن البيطار باللغة العربية واعتماده اللفظ الفصيح ما أمكنه ذلك، كما يدل على التطور الذي شهده التأليف المعجمي المختص في الطب والصيدلة على مستوى تعريب المصطلح وإيجاد مقابلات عربية فصيحة له. فقد كانت المصطلحات العلمية بشكل عام ومصطلحات الأدوية بشكل خاص ـ في مجملها ـ مأخوذة عن الكتب المترجمة من اليونانية مثل كتابي (ديقوريدوس وجالينوس)، أو من الفارسية والسريانية،وكانت بدايات التأليف

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص6.

[2] ـ الجامع، ج3، ص6.

[3] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة سدر.

[4] ـ الجامع، ج3، ص22.

[5] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة سعد.

[6] ـ الجامع، ج3، ص29.

[7] ـ الجامع، ج4، ص257.

[8] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة قرظ.

في الفن لا تراعي الفصيح من الألفاظ حين ترجمة كتب الطب والصيدلة لأسباب موضوعية، وهي عدم توفر المقابل العربي للكثير من المصطلحات العجمية، أو لأسباب ذاتية راجعة لكون المترجمين الأوائل كانوا من أصول غير عربية وكانت لغتهم العربية ضعيفة.

وقد جاء ابن البيطار بعد حوالي أربعة قرون من بداية التأليف في مجال الطب والصيدلة، فاستفاد من زخم المؤلفات التي عكف العلماء العرب على تأليفها، واستفاد كذلك من رحلته إلى المشرق ومعاينته للأدوية التي تتوفر عليها البلاد العربية وتدوين أسمائها مما مكنه من إيجاد الكثير من المقابلات العربية لمصطلحات يونانية بقيت عصية على المترجمين.

أما الألفاظ الأعجمية في كتاب (الجامع) فهي كثيرة للأسباب التي ذكرناها من قبل، وظاهرة الاقتراض اللغوي من اللغات الأخرى ليست بالجديدة على اللغة العربية، فهي موجودة حتى قبل ظهور الإسلام، إلا أنها اتسعت في القرن الأول الهجري، ومن أهم أسباب انتشارها نقل الكتب اليونانية إلى العربية، وقد نال ميدان الطب والصيدلة الحظ الأوفر من هذه العملية، وهذا ما يفسر كثرة الألفاظ الأعجمية في مؤلفات هذا الفن.

ولم يشذ ابن البيطار عن هذه القاعدة، حيث ضم كتابه الكثير من الألفاظ الأعجمية، منها ما جعله مداخل لمعجمه مثل: (سبستان): ..."بالفارسية أطباء الكلية"[1]، فالمصطلح الذي يعالجه من أصل فارسي،إلا أن ابن البيطار في مواضع كثيرة يستعمل النقل العكسي أو ترجمة اللفظ العربي باللغة الأعجمية مثل:"(سرة الأرض): "هو النبات المسمى باليونانية قوطوليدون"[2]، وهذه

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص5.

[2] ـ الجامع، ج3، ص14.

الطريقة التي اتبعها ابن البيطار في ترجمة المصطلح العربي إلى اليونانية تظهر انفتاح ابن البيطار على اللغات الأخرى.

أما عن اللغات التي تضمنها كتاب ابن البيطار ـ إضافة إلى العاميات العربية المختلفة ـ فنجد اليونانية واللاتينية والفارسية والسريانية والبربرية، وقد ذكر ابن البيطار في مقدمة كتابه بعض اللغات التي احتواها كتابه فقال:"الغرض السادس في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات، مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه منفعة مذكورة...وذكرت كثيرا منها بما يعرف به في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية وهي عجمية الأندلس إذ كانت مشهورة عندنا وجارية في معظم كتبنا"[1]، فهنا يشير ابن البيطار إلى منهجه في ذكر أسماء الأدوية وهو ذكرها بأسمائها الأصلية التي سميت بها في البلاد التي تنسب إليها، وأعطى مثالين للغتين من أقرب اللغات إليه جغرافيا وحضاريا وهي البربرية واللاتينية، التي وصفها بعجمية الأندلس وبين انتشارها في كتب أهل الأندلس، وهذا ما يؤكد معرفة ابن البيطار باللغة اللاتينية، وأحيانا يشير إليها بعجمية الأندلس كما فعل في تعريفه لمصطلح:"(سطاحيس): "هو النبات المعروف ببلاد الأندلس بالفارَّة وبالأقوشة بعجمية الأندلسأيضا"[2]. وفي هذا المثال تتبين لنا ظاهرة الثنائية اللغوية التي كانت سائدة في بلاد الأندلس، فنجد المصطلح الأول وهو "الفارَّة "عربيا فصيحا والمصطلح الثاني "الأقوشة" مصطلحا بعجمة الأندلس أي (لاتينيا).وبنفس الطريقة يعرف مصطلح :"(سمقوطن آخر): ويسمى بعجمية الأندلس الشبيطة"[3]. إلا أن ابن البيطار لم يكتف بذكر اللغتين اللتين كانتا

---

[1] ـ الجامع، ج1، مقدمة.

[2] ـ الجامع، ج3، ص19.

[3] ـ الجامع،ج3، ص42.

سائدتين في الكتابات الأندلسية (العربية واللاتينية)، بل كان للعامية الأندلسية حضور كبير في كتابه مثل:"(سم الفأر): وهو التراب الهالك عند أهل العراق وأهل الأندلس يعرفونه برهج الفأر وهو الشك..."[1]، وكلمة (رهج) عربية فصيحة ومعناها الغبار[2]، وقد أطلقها أهل الأندلس على سم الفأر، وهي لا تزال مستعملة إلى يومنا هذا في العامية الجزائرية للدلالة على السم أو كل ما يهلك الإنسان أو الحيوان من المطعومات، وهذا دليل على التداخل اللغوي بين أهل الأندلس وسكان شمال إفريقيا. ومن الأمثلة على العامية الأندلسية في كتاب (الجامع): "سلطان الجبل: هو النبات المسمى بصريمة الجدي عند شجاري الأندلس"[3].

ومن اللغات الأعجمية التي كثر استعمالها في كتاب الجامع اليونانية، وهذا أمر بديهي بحكم أن ابن البيطار أخذ كلما ورد في كتابي العالمين اليونانيين (ديسقوريدوس وجالينوس)، وبحكم أن علم الأدوية والطب العربي أخذ في مجمله من عند اليونان. ومن الأمثلة على ذلك:(آالُسن):"اسم يوناني، أوله ألفان الأولى منهما مهموزة ممدودة، والثانية هوائية ولام مضمومة ثم سين مهملة مفتوحة بعدها نون...وهو الدواء المعروف اليوم بالشام بحشيشة اللجاة وحشيشة السلحفاة"[4]، نلاحظ أن ابن البيطار قام بضبط نطق المصطلح اليوناني ضبطا دقيقا تجنبا للوقوع في التصحيف، و(سوس): ويقال عود السوس...علوقريا ومعناه باليونانية الحلو"[5]، إلا أنه في أغلب الحالات لا يشير إلى الأصل اليوناني للمصطلحات، وخاصة التي أخذت من كتابي (ديسقوريدوس وجالينوس) فذكر مصدرها يحيلها بالضرورة إلى الأصل اليوناني الذي

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص47.

[2] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة رهج.

[3] ـ الجامع، ج3، ص38.

[4] ـ الجامع، ج1، ص6.

[5] ـ الجامع، ج3، ص55.

تنتمي إليه. إلا أن ابن البيطار يذكر الأصل اليوناني للكلمة حينما تكون ترجمة لمصطلح عربي أو فارسي أو غير ذلك مثل:"(شجرة التيس): هي الشجرة المسماة باليونانية طراعيون)[1].

أما اللغة الثالثة التي اطرد ذكرها في (الجامع) فهي السريانية، ومن الأمثلة عنها ما ذكره ابن البيطار في شرحه لمصطلح (سكي رغلا): ...معناه الكثير الأرجل بالسريانية..."[2]، ومصطلح (سندريطس): ...ويسمى بالسريانية مسميفا"[3].

كما نجد للغة الفارسية مكانة كبيرة في كتاب (الجامع)، وتظهر مكانتها ليس فقط في الألفاظ المقترضة منها، بل نجده في كثير من المرات يترجم إليها من العربية مثل: (سوار الهند): هو الدواء الذي يسمى بالفارسية كشت بركشت[4]"، و(شاهنجير):"وقال آخرون: إن الشاهنجير بالفارسية هو خير أنواع التين فاعرفه"[5]. والذي يمكن استنتاجه من عدم التزام ابن البيطار بنقل المصطلحات العجمية إلى العربية وعمله على القيام بعملية عكسية وهي ترجمة المصطلح العربي إلى اللغات الأعجمية هو انفتاح ابن البيطار على اللغات الأخرى، وعدم تحرجه أو تردده في نقل المصطلحات من الأعجمية إلى العربية أو العكس ما أمكنه ذلك، وما قام به ابن البيطار يزيد من مكانة كتابه العلمية، فالقيام بالترجمة العكسية (من العربية إلى الأعجمية) يتيح الفرصة لمن وقع بين يديه المصدر الأعجمي وليس له دراية بمعاني مصطلحاته، فيجد في جهد ابن البيطار ضالته.

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص72.
[2] ـ الجامع، ج3، ص33.
[3] ـ الجامع، ج3، ص51.
[4] ـ الجامع، ج3، ص59.
[5] ـ الجامع، ج3، ص66.

كما أن للغة البربرية وجود ظاهر في كتاب (الجامع)، ومثال ذلك:"(آاطريلال): اسم بربري وتأويله رِجْلُ الطائر"[1]، والملاحظ هنا استعمال ابن البيطار لتقنية الترجمة الحرفية لنقل معنى المصطلح (رجل الطائر)، وهذا يدل على معرفته باللغة البربرية. والمثال الثاني هو:(آاكثار):"اسم بربري أيضا الكاف فيه مضمومة بعدها ثاء منقوطة بثلاث نقط من فوقها وهي مفتوحة ثم ألف وراء مهملة"[2]. (آارغيس):"اسم بربري"[3]، (آامليس): "اسم بربري". (آافثروا): "اسم بربري"[4]. ولاحظنا أن اللغة البربرية تتميز أسماؤها بالبدء بألف مهموزة وممدودة وألف ثانية هوائية.

أما العامي من الألفاظ فيمكن القول إن ابن البيطار قد ذكر منه الكثير، وهذا راجع إلى سببين: أولهما هو انفتاح ابن البيطار على اللغات وابتعاده عن التعصب للعربية الفصيحة، فقد جعل الغاية العلمية من بحثهأولى غاياته، فكان همه تدوين ما أمكنه من المصطلحات الطبية والدوائية وشرحها، أما ما تعلق باللغة وجمالها، وما تعلق بالحفاظ على نقائها وخلوها من الشوائب التي قد تطرأ عليها فلم يكن من أولوياته ولا من صميم اهتمامه، فقد مارس ابن البيطار دوره كمعجمي متخصص وخصص جهده كله في جمع المصلح وترتيبه وشرحه، أما السبب الثاني فهو رحلته التي قام بها إلى المشرق مرورا بالعديد من الأقطار العربية والإسلامية، وحرصه على تدوين أسماء الأعشاب والأطعمة والأدوية بلغة البلد الذي ينبت فيها، سواء كان اللفظ من الفصيح أو الأعجمي أو العامي.

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص7.
[2] ـ الجامع، ج1، ص8.
[3] ـ الجامع، ج1، ص9.
[4] ـ الجامع، ج1، ص9.

والملاحظ على منهج ابن البيطار في مسألة تعامله مع المصطلحات عدم مراعاته للعربي للفصيح في ترتيب مادة معجمه، بل نجد أغلب مداخل معجمه أعجمية حتى مع وجود اللفظ العربي الذي يقابلها، مثل:"(شبطباط):"هو عصا الراعي وتفسيره بالسريانية عصية"[1]، فنجده يقدم المصطلح السرياني على المصطلح العربي، وكان يمكنه البدء بالعربي ويقوم بترجمته إلى السريانية، ومثال آخر على هذا:(شبوقة):"هو الخمان الكبير باللطينية"[2]، فقدم اللطينية على العربية كذلك، وهذا فعله في أغلب المصطلحات الأعجمية، يقدمها، ولا يبدأ باللفظ العربي إلا إذا لم يكنللمصطلح ما يقابله في اللغة الأعجمية مثل:(شبرق):"أبو حنيفة: هي عشبة ذكروا أن لها أطرافا كأطراف الأسل..."[3]، و(شجرة الكف):"...هي شجرة لها أصل ككف إنسان براحة وخمس أصابع..."[4]، وهذا منهجه في التعامل مع المصطلحات، حتى إن ابن البيطار لم يراع أهم خاصية من خصائص اللغة العربية الفصيحة والتي تتمثل في القاعدة التي تقول "إن العربية لا تبتدئ بساكن ولا تقف على متحرك"، فنجده يبدأ بالساكن في الألفاظ الأعجمية ولم يكلف نفسه إخضاع اللفظ للقواعد الصرفية والنحوية والصوتية العربية، بل يورده على عُجمته دون تغيير إلا من حيث استعمال الحروف العربية في كتابته.فالابتداء بالساكن متعذر في كل اللغات، وما يبدو أنه ابتداء بالساكن فهو في الحقيقة ابتداء بحركة مختلسة على همزة شبيهة بهمزة الوصل، فمثلا: كْتاب، يبتدأ فيها بهمزة مختلسة لا يلحظها السامع أي اَكْتاب.

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص71.

[2] ـ الجامع، ج3، ص71.

[3] ـ الجامع، ج3، ص71.

[4] ـ الجامع، ج3، ص73.

أما العامي من الألفاظ فهو كثير في معجم ابن البيطار ومن أمثلته نذكر:(شجرة أبي مالك):"تعرف بدمشق بصابون القاق"[1]، فصابون القاق هو عامية دمشقية تطلق على شجرة أبي مالك، ومثال آخر على العامية الأندلسية والمغربية: (شجرة مريم): "اسم مشترك يقال في بلاد الأندلس على ضرب من النبت وهو الأقحوان على الحقيقة، وهي الكافورية عند أهل المغرب..."[2]، والظاهر لنا من خلال طريقة تعامل ابن البيطار مع لألفاظ العامية أن مصادرها كانت إما المعاينة أو الرواية الشفوية، مقارنة بالألفاظ الفصيحة والأعجمية التي كانت مصادرها ـ في الغالب ـ كتب من سبقه من العلماء أو من عاصروه، فلا تكاد تجده يذكر مصدرا للألفاظ العامية التي أخذها غير الرواية، فنجده قد ينسب المصطلح إلى أهل المنطقة التي أخذه منها مثل:"(محتجم):"أهل الأندلس يسمون بهذا الاسم الدواء المعروف عند أطباء الشام بالمخلصة..."[3]، حيث رد اللفظ إلى أهل الأندلس دون تحديد وأطباء الشام دون أن يحيل إلى مصدر بعينه.ومن أمثلة ذلك أيضا، (هالوك):"هو عند أهل مصر وإفريقية أيضا اسم لنوع من الطراثيث[4] وهو الجعفيل...[5]، فاللفظ منسوب إلى أهل مصر وإفريقيا، وهذا على الأرجح يدل أن اللفظ كان قبل تدوينه من قبل ابن البيطار يستعمل في اللغة الشفاهية ولم يكن قد أدرج ضمن كتب أو مصنفات. وهذا دليل على الجرأة التي تعامل معها ابن البيطار مع الألفاظ الطبية والصيدلية، متجاوزا كل الخطوط الحمراء التي وضعها علماء العربية في التعامل مع كل الألفاظ غير الفصيحة، ومن العلماء من تشدد في وصف من يأخذ اللفظ الأعجمي ويترك ما يقابله من اللفظ العربي فوصفه "بالخيانة"، ونجد هذا الوصف عند البيروني يقول:"وللتراجم فيها (أي كتب

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص71.

[2] ـ الجامع، ج3، ص73.

[3] ـ الجامع، ج4، ص188.

[4] ـ مفرده طرثوث: هو نبات كالفطر، العين للخليل، مادة طرث.

[5] ـ الجامع، ج4، ص260.

الطب المنقولة) خيانة أخرى هي ترك بعض ما يوجد في أرضنا من العقاقير، وفي لغة العرب اسم لها، على حاله باليونانية حتى يُحوج بعد الترجمة إلى تفسير"[1]، ذكر البيروني مشكلتين كبيرتين يقع فيهما المترجم من اللغة اليونانية، أما الأولى فهي ما وصفها بالخيانة وهي ترك اللفظ العربي الفصيح والاستعاضة عنه باللفظ اليوناني، أما المشكلة الثانية فهي ما ينتج عن هذا الفعل (الخيانة)، من حاجة مستعملي تلك المراجع إلى شرح لها، ومن خلال اطلاعنا على كتاب الجامع يمكن إضافة مشكلة خطيرة قد تتسبب في هلاك الناس أو عدم شفائهم بسبب التصحيف الذي يقع فيه النقلة والأخطاء التي تنجر عن عدم فهم المصطلحات الأعجمية والخلط بينها.وماقيل في ترجمة المصطلح اليوناني ينطبق على باقي اللغات، كما ينسحب كذلك على الألفاظ العامية التي لها مقابلات عربية فصيحة مع بعض الفارق.

1 ـ 3 ـ موقف ابن البيطار من اللغات الأعجميةوالعاميات:

لم يكن لابن البيطار رأي لغوي واضح وصريح إلا ما ذكره في مقدمة كتابه أنه اعتمد على مجمل ما جاء في كتابي (ديسقوريدس وجالينوس)، ومن خلال تتبعنا للمصطلحات التي اعتمدها ابن البيطار يظهر لنا جليا الكم الكبير من المصطلحات اليونانية التي أوردها في كتابه، إضافة إلى المصطلحات الفارسية واللاتينية والبربرية والسريانية.

وهذا الاعتماد على المصلح الأعجمي ليس موضع خلاف أو جدل في نظرنا، بحكم أن علمي الطب والصيدلة هما نتاج لترجمة كتب الأعاجم ونقلها إلى العربية، أما الخلاف الذي يطرح فهو مكانة تلك المصطلحات الأعجمية مقارنة بما يقابلها من المصطلحات العربية، وما مدى وقوع المترجم أو الناقل في (الخيانة) كما وصفها البيروني؟

---

[1] ـ البيروني، الصيدنة في الطب، ص14.

بعد تتبعنا لمنهج ابن البيطار في تعامله مع الألفاظ الأعجمية لم نقف على ذلك الحرص الشديد في تتبع الفصيح من الألفاظ وإعطائها مكانة متقدمة على الألفاظ الأعجمية، بل سار على طريق أسلافه ممن ألفوا في هذا العلم، وأول ما يمكن ملاحظته هو تقديمه للفظ الأعجمي على اللفظ العربي في الكثير من الألفاظ المداخل لمعجمه، وهذا التأخير للفظ العربي الفصيح إشارة إلى عقلية ابن البيطار العلمية وتفكيره البراغماتي مثال ذلك: (أشنة):"هو المعروف بشيبة العجوز"[1]، و (فقلامينوس):"...اسم يوناني للنبت المسمى بخور مريم"[2]، (فقلامينوس):"...هو النبت المسمى عند بعض شجارينا الأندلس بصريمة الجدي"[3]. والظاهر من الأمثلة أن ابن البيطار يقدم اللفظ الأعجمي مع وجود ما يقابله في العربية، وهذا راجع إلى عقلية ابن البيطار العلمية، فهو يقوم بدور المصطلحي الذي همه الأكبر هو تحديد مصطلحات الفن الذي يشتغل عليه، ويحمل هم شرح تلك المصطلحات وبسط مفهومها أمام الطلاب بأيسر الطرق وأكثرها نفعا.

وما يحسب لابن البيطار ذكر مرادفات المصطلحات بأكثر من لغة ما أمكنه ذلك، مثال ذلك: (أشخيص): "هو شوكة العلك عند أهل الأندلس ويعرفونه بالبشكاني أيضا بالبربرية"[4]، ويتبع نفس الأسلوب فيما يخص العاميات مثل: (فودنج): "أجناسه ثلاثة بري وجبلي ونهري، فأما البري فهو نبات معروف وهو اللبلابة بعجمية الأندلس وعامة مصر تسميه فلية ...وهو المسمى باليونانية غليجن"[5]، نجده يذكر مرادف اللفظ بلغات مختلفة وعامية أهل مصر، إلا أننا

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص50.[1]

[2] ـ الجامع، ج3، ص226.

[3] ـ الجامع، ج3، ص226.

[4] ـ الجامع، ج1، ص51.

[5] ـ الجامع، ج3، ص223.

لم نقف على وصف ابن البيطار للمصطلحات بالفصاحة، ويستعمل لفظ العربية مثل: (أمسوح): "ومعناه الأنابيب بالعربية ويسمى بعجمية الأندلس النبشالة"[1].كما يورد مرادفات عامية عدة للدلالة على مصطلح معين مثل:(بخور مريم):"يعرف بأفريقية بخبز المشايخ وأهل الشام يعرفونه بالركف"[2]، والمقصود بأفريقية (تونس)، فابن البيطار يعطي مرادفات عامية للفظ الواحد.

وفي مواضع عدة لا يذكر أصل المصطلح المدخل فيورده مبهما، ويذكر أصل المرادف له في الشرح مثال ذلك:"(برنجاسف): "هو الأرطاماسيا باليونانية والشويلاء بالعربية"[3]، وهذه الطريقة مطردة عنده، والأرجح أن تلك المصطلحات في أغلبها مأخوذة من كتابي (ديسقوريدوس وجالينوس)، فهي عنده معلومة المصدر ولا حاجة لتحديده.

ويحسب لابن البيطار إدخاله في معجمه لكمّ كبير من المصطلحات العربية كمداخل، كما كان للمصطلحات العربية حضور في شرحه، هذا على مستوى اللفظ، أما على مستوى النص فإن ابن البيطار يورد أقوال العلماء العرب من مصادرها، وهي شروح عربية لمختلف أنواع الأدوية ومثال ذلك: "(برنج):"وبرنق وبرنك...هو بالفارسية حب صغير منقط بسواد مدور أملسفي قدر حب الماش لا رائحة له وفي طعمه شيء من المرارة يؤتى به من الصين وهو المستعمل في ذاته"[4]، فالملاحظ أن اللفظ فارسي الأصل لكن شرحه وتعريفه كان بكلام عربي فصيح يظهر ما مدى اضطلاع العرب بمعاني المصطلحات ومدى استيعابهم لخصائصها وقدرتهم على التعبير عنها بلغة عربية علمية وفصيحة. وهذا ما نفتقر إليه اليوم في زماننا هذا، إذ لا تزال الأمة العربية لا تحسن التعبير عن المفاهيم العلمية الحديثة باللغة العربية وهذا راجع

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص78.

[2] ـ الجامع، ج1، ص78.

[3] ـ الجامع، ج1، ص118.

[4] ـ الجامع، ج1، ص122.

للتأخر الكبير في مجال الترجمة ونقل العلوم إلى العربية، فابن البيطار ومن عاصره أو من كان قبله لم يتأت لهم التعبير عن تلك العلوم وشرح تلك المصطلحات من فراغ، بل كانت هناك جهود تراكمية عبر سنوات من الزمن حتى صار للعربية رصيد لغوي علمي يسمح للمشتغلين بمختلف العلوم التعبير عنها، فانتقل العرب من الترجمة والنقل إلى التأليف والإبداع.

2 ـ قضية الوضع في معجم الجامع:

لقد قلنا سابقا إن المعجم يبنى على ركيزتين أساسيتين هما الجمع والوضع، أما الوضع فهو المنهج الذي يتبعه واضع المعجم لتخريج المادة التي جمعها في معجم، فبعد ما يقوم المؤلف بجمع ما يحتاج من مادة (ألفاظ ومصطلحات وتعريفات وشواهد) من مصادرها، ينتقل إلى المرحلة الثانية من صناعة المعجم وهي وضع تلك المادة في قالب معجمي وفق طريقة يحددها المعجمي لنفسه، وتكتسي هذه العملية أهمية كبيرة وتعد مرحلة مهمة من مراحل صناعة المعجم، إذ هي وسيلة من وسائل تصنيف المعجم، ولا يمكن الحديث عن صناعة معجمية حقيقية إذ لم يُعتمد على منهج معين في وضعه، والوضع يقوم على ركنين هما: الترتيب والتعريف.

2 ـ 1 ـ أنواع الترتيب:

صنفت المعاجم العربية منذ ظهور الدراسات المعجمية ـ إضافة إلى التصنيف على أساس الخصوص والعموم ـ حسب المنهج الذي اتبعه مؤلفوها في ترتيب مادتها، حيث انقسم المؤلفون في هذا إلى مدرستين رئيسيتين هما: الترتيب على حسب حروف الهجاء، والمدرسة الثانية تقوم على الترتيب حسب المواضيع، حيث يقوم هذا الأخير على ترتيب المواد حسب الحقول الدلالية أو المفهومية.

وقد اتبع ابن البيطار المدرسة الأولى لترتيب معجمه (المدرسة الألفبائية)، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع، أما النوع الأول وهو أول ما اعتُمد في المعجم العربي كان من إبداع العالم الخليل بن أحمد في معجمه العين، إذ اعتمد ترتيب مادة معجمه على حروف المعجم وابتكر طريقة الترتيب على حسب مخارج الحروف، إلا أن هذا الترتيب لم يستمر طويلا حيث كان آخر من اعتمده ابن سيده في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) في منتصف القرن الخامس الهجري، ولم تتعد المعاجم التي اعتمدت هذه الطريقة في الترتيب الخمسة معاجم وهي: (كتاب العين) للخليل، و(البارع في اللغة) للقالي، و(تهذيب اللغة) للأزهري، و(المحيط) لابن عباد، و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده،ويعود انقطاع العمل بهذه الطريقة في الترتيب (على حسب مخارج الحروف) إلى صعوبتها وعدم تلبيتها لحاجة مستعملي المعجم في الوصول إلى المعلومة بأيسر طريقة.

أما النوع الثاني من الترتيب فهو الترتيب الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي (ت89هـ) وهو الترتيب الألفبائي على حسب تتابع حروف الهجاء، وهو الأكثر انتشارا والأيسر استعمالا، ويتفرع عن هذا التقسيم أنواع كثيرة أشهرها:

الترتيب على حسب الحرف الأول مع تجريد اللفظ من الزوائد، وقد استعملت هذه الطريقة في معاجم كثيرة كـ (الجمهرة في اللغة) لابن دريد. أما الطريقة الثانية داخل هذا النوع فهي الترتيب على حسب الحرف الأول لكن مع المحافظة على بنية اللفظ على حالها دون تجريده من الزوائد، وقد انتشر هذا الضرب من الترتيب في المعاجم المختصة دون المعاجم العامة وأشهر من اعتمدها صاحب معجمنا المدروس ابن البيطار في (الجامع) . والطريقة الثالثة هي التي

تعتمد نظام التقفية، أي الترتيب على حسب الحرف الأخير للفظ، وأشهر من اعتمده الجوهري في معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية).

أما النوع الثالث من أنواع الترتيب فهو الترتيب الأبجدي، ويختلف عن الترتيب الألفبائي فهذا الأخير يكون حسب تتابع الحروف (أ . ب . ت . ث...)، أما الأبجدي فيكون بحسب تتابع (أ . ب . ج . د . هـ . و. ز ..).

2 ـ 2 ـ الترتيب في (الجامع لابن البيطار):اعتمد ابن البيطارعلى الترتيب الألفبائي، وبالتحديد على الصنف الثاني منه وهو ترتيب المداخل على حسب ترتيب حروف المعجم دون تجريدها من الزوائد، واعتماد هذه الطريقة (عدم تجريد المصطلح من الزوائد) مرده ـ في نظرنا ـ إلى كون مادة معجم ابن البيطار ـ في أغلبها ـ مصطلحات أعجمية وبالتالي لا تخضع للنظام الصرفي والصوتي العربي، فيصعب أو يستحيل تجريدها من الزوائد على نمط الألفاظ العربية، فاضطر ابن البيطار إلى اتباع هذه الطريقة للخروج من هذا الإشكال، والسبب الثاني روْم التسهيل على الطالب وتقريب مأخذه، وقد أشار ابن البيطار في مقدمة معجمهإلى الطريقة التي اتبعها في الترتيب قال:"الغرض الرابع: تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ليسهل على الطالب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب"[1]، والمقصود من كلامه بالمقفى أي مراعاة تتابع الحرف الأول والثاني من اللفظ، وكلامه إشارة إلى منهجه في الترتيب بشكل عام دون تفصيل، وقد التزم ابن البيطار في ترتيب مداخل معجمه بالمنهج الذي وضعه لنفسه وأشار إليه في مقدمة كتابه، حيث رتب مداخل معجمه على حسب تتابع الحرفين الأول والثاني وأهمل بقية الحروف، فأول حرف بدأ به ترتيب معجمه هو حرف الهمزة، على النحو التالي:(آالسن) ثم

[1] ـ الجامع، ج1، مقدمة، ص4.

(آاطريلال)، يتلوهما مصطلح (آاكثار)[1]... حيث بدأ بحرف الألف المهموز الممدودة يتبعها ألف هوائية، وهذا الترتيب سببه أن المصطلحات أعجمية (يونانية وبربرية) ونطقها يختلف عن العربية، فاختار ابن البيطار وضعها في صدارة الترتيب بحكم أن الحرفين الأولين الأول مهموز ممدود والثاني لين، فاعتبرهما حرفين مختلفين. ثم ينتقل إلى الكلمة التي تبدأ بهمزة يتلوها باء مثل: (أبهل)، (إبريسم)، (أبنوس)، (أبو قابس)...[2]، نلاحظ أنه رتب الكلمة (أبهل) وحرفها الثالث هاء قبل كلمة (إبريسم) التي حرفها الثالث راء وهو أسبق رتبة في حروف الهجاء من الهاء.

والملاحظ أن ابن البيطار التزم بالمنهج الذي رسمه لنفسه في ترتيب مداخل معجمه إلى آخر كتابه، فإذا انتقلنا إلى آخر كتابه نجده قد اختتمه بحرروف الوالواو والهاء والياء، وبقي محافظا على الترتيب نفسه، ومثال ذلك: (ودح)، (ورد)، و(هاسيمونيا) ثم (هال)...ثم ينتقل إلى الحرف الثاني بعد الألف وهو الباء (هبيد)[3]، أما ما تعلق بحرف الياء فنجد (ياسمين)، (ياقوت)، (يبروح)، (يتوع)، وهكذا إلى أن ينهي معجمه. ونلاحظ أنه قدم الواو على الهاء على خلاف المجمع عليه في ترتيب المشارقة والمغابية.

ويحسب لابن البيطار هذا الالتزام بترتيب واحد من بداية معجمه إلى نهايته، وهذا يدل على اكتمال الفكر المعجمي عنده ونضوجه، ولم يكن هذا الالتزام سائدا عند كل من ألف في المعاجم المختصة قبل ابن البيطار، حيث وقع الكثير من المؤلفين في عدم الالتزام بمنهج موحد في الترتيب، كإهمال بعض الحروف أو ترتيبها ترتيبا خاطئا لا يراعي تتابع الحروف.

---

[1]- الجامع، ج1، ص 5-6-7.

[2] - الجامع، ج1، ص10-9-11-12.

[3] - الجامع، ج4، ص498.

وإن كان التزام ابن البيطار في الترتيب بالحرفين الأولين من المصطلح وإهمال بقية الحروف يعد منهجا غير كامل ويعتريه بعض النقص مقارنة بالترتيب الذي يراعي كل حروف المصطلح، إلا أن التزام ابن البيطار بما رسم لنفسه من منهج يحسب له ويجبر خلل الطريقة المتبعة.

وقد اختار ابن البيطار لنفسه هذه الطريقة في الترتيب ليسرها وسهولة البحث من خلالها في المعجم، في حين اعتمد غيره ممن ألف في الطب والصيدلة على طرق في ترتيب مداخل معاجمهم تختلف عن طريقة ابن البيطار (الألفبائية)، وهي طرق تندرج تحت الترتيب بحسب المواضيع، أو ما يعرف حديثا بالترتيب بحسب الحقول الدلالية أو المفهومية، وبما أن المدونة التي تتعامل معها معاجمنا المختصة هي في الطب والأدوية، فالترتيب يكون على حسب هذين الحقلين.

وأولى الطريقتين هي: الترتيب بحسب درجات الأدوية: حيث صنف الأطباء والصيادلة الأدوية إلى درجات من الحرارة والبرودة أو اليُبس والرطوبة، وهذا النوع من الترتيب أصعب من الترتيب الألفبائي إذ ترتب الأدوية تحت عنوان واحد يمثل درجة كل دواء على حسب التقسيم الذي رأيناه، وهو ترتيب موجه لأهل الاختصاص والعارفين حق المعرفة بخصائص الأدوية، أما من كان مبتدئا في هذا الفن فسيجد صعوبة في الوصول إلى ضالته.

وقد اعتمد ابن الجزار في كتابه (الاعتماد) هذا المنهج في الترتيب، وصرح بذلك في مقدمة كتابه إذ قال:"وقد قسمت هذا الكتاب على أربع مقالات لأن الأوائل اكتفوا بأن وضعوا أربع درجات في قوى الأدوية، وقد أوضحت السبب في ذلك في المقالة الرابعة، وذكرتُ في كل مقالة الأدوية التي قواها من حر أو برد في تلك الدرجة، لما في ذلك من حفظ معاني الكتاب وتقريب

مأخذه وسهولة استخراج ما قُصد منه"[1]، ورغم إشارة ابن الجزار إلى سهولة استخراج ما قُصيد من معجمه، إلا أن الواقع يثبت أنه طريقته أصعب من الطريقة التي اتبعها ابن البيطار (الألفبائية)، والدليل على ذلك إعادة ترتيبه من قبل مؤلفين جاءوا بعده بغرض تسهيل مأخذه على الطلاب.

أما الترتيب الثاني فكان بحسب أبواب الطب: أي بحسب أنواع الأمراض، وبحسب أعضاء الإنسان، أو بحسب أسماء الأطعمة والأشربة... وهذا النوع من الترتيب اختصت به كتب الطب، وهو أقرب للترتيب حسب الموضوعات من الترتيب السابق، فأبواب الطب كثيرة ومتنوعة وأعم من أبواب الأدوية التي تصنف ضمن باب من أبواب الطب.

أما الترتيب الثالث فهو خاص بكتب الأدوية المفردة ويكون بحسب الأمراض: ومن عيوب هذه الطريقة تكرار أسماء الأدوية التي تكون نافعة لأكثر من مرض، وهي مفيدة جدا للأطباء وأصحاب العلل وتسهل عليهم الوصول إلى ضالتهم بتحديد المرض والدواء النافع له. وقد اعتمد هذه الطريقة أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتاب (الأدوية المفردة).

2 ـ 3 ـ التعريف في معجم (الجامع):

التعريف المعجميهو الأساس الثاني الذي يقوم عليه المعجم، وقد عدّ الدكتور حاج هني محمد التعريف بأنه:"هو الركن الأساسي في صناعة المعجم، مهما كان نوعه، وبدون تعريف يغدو المعجم ركاما من الكلمات لا طائل من ورائه، إذ تتجلى أهميته فيما يقدمه من شروح وافية

---

[1] ـ ابن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة، ت إبراهيم بن مراد، مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن، ط1، 2019، ص135.

للمفردات اللغوية، وفيما يسمح به من ضبط لمفاهيم المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية"[1]، وقد بين حاج هني أهمية التعريف ومكانته في المعجم، إذ لا يمكن أن يكون المعجم دون تعريف.

ويعد التعريف من أصعب مراحل صناعة المعاجم، خاصة إذا تعلق بالمعاجم المختصة، فالمصطلحات العلمية ليست كالألفاظ اللغوية العامة، ومن بين التحديات التي واجهت صناع المعاجم القدماء العمل الفردي الذي يقوم به المعجمي، في حين صارت الصناعة المعجمية الحديثة تعتمد على مؤسسات ولجان مختصة، يقول حاج هني محمد في معرض حديثه عن صعوبات التعريف: "ولهذه الأسباب (يقصد العناصر التي تدل على صعوبة التعريف) كان المعجمي يتذرع بأن مهمته لغوية ممكنة، فهو لا ينصرف بالضرورة إلى المضامين العلمية للمصطلحات، ولحل هذا الإشكال لا بد من إقامة صلة بين المحتوى المعرفي، والصيغة اللغوية للمصطلح من خلال تقسيم العمل بين لجنة علمية مختصة...ولجنة لغوية... وهذا ما قام به مكتب تنسيق التعريب..."[2]. وهذا يبين لنا صعوبة تعريف المصطلحات ومشقة إقامة الصلة بين مفهوم المصطلح وصيغته اللغوية، ولهذا أنشئت لجان مهمتها الاضطلاع بهذه المهمة الحساسة، في حين كان علماؤنا قديما يتصدون لها فرادى.

وقسم العلماء التعريف إلى قسمين: الأول هو (التعريف اللفظي أو اللغوي)، وهذا النوع من التعريف خاص بالمعاجم اللغوية العامة بشكل أساس، وقد يُلجأ إليه في تعريف بعض المصطلحات التي تنتمي إلى حقل مفهومي تعريفا لغويا. أماالقسم الثاني هو (التعريف المنطقي

---

[1] ـ حاج هني محمد، تقنيات التعريف في المعاجم المدرسية العربية قراءة وصفية نقدية في المنجز، مجلة المرتقي، المدرسة العليا للأساتذة مستغانم، الجزائر، مج1، ع1، 2018، ص29.

[2] ـ حاج هني محمد، تقنيات التعريف في المعاجم المدرسية العربية قراءة وصفية نقدية في المنجز، ص30،31. بتصرف.

أو الموسوعي)، وهذا النوع من التعريف يناسب المعاجم المختصة، إذ يتعلق بذكر خصائص الأشياء كالتعريف بجنسها، ونوعها، وحجمها ومقدارها، ووظيفتها...إلى غير ذلك من الخصائص التي تعرف عن طريق المشاهدة أو التجربة.

وهناك من أضاف قسما ثالثا وهو (التعريف المصطلحي): وهو خاص بالمعاجم المختصة، وبنوك المصطلحات، ويسعى إلى توضيح مفهوم المصطلح ولا يختص بتوضيح اللفظ أو الشيء[1].

2 ـ 3 ـ1 ـ التعريف المنطقي أو (الموسوعي): وقد سماه إبراهيم بن مراد بالتعريف (المعقد)[2]، وهو التعريف الشائع استعماله في المعاجم المختصة في الطب والصيدلة، وقد ذكر له ابن مراد خمسة أركان قد نجدها مجتمعة كلها أو قد نجد بعضها وبعضها الآخر قد يغيب، وهي: نسبة المصطلح اللغوية خاصة إذا كان أعجميا وقد يُرد إلى معناه الأصلي، أما الركن الثاني فهو ضبط رسم المصطلح ضبطا دقيقا حتى تسهل قراءته ويتجنب فيه التحريف والتصحيف، أما الركن الثالث فيتمثل في تعريف المصطلح تعريفا لغوياترادفيا بذكر مقابله العربي (وقد يكون عاميا مولدا أو عربيا فصيحا) وقد يعرف بمقابل أعجمي، أما الركن الرابع فيتمثل في التعريف العلمي، حيث تُذكر الخصائص العلمية للمصطلح التي تميزه عن غيره، أما الركن الخامس فهو ذكر الموضع الذي يوجد فيه الدواء حيث يذكر البلد الذي ينبت فيه إذا كان نباتا أو مكان وجوده إذا كان معدنا أو حجرا أو نحو ذلك[3].

---

[1] ـ ينظر: حاج هني محمد، تقنيات التعريف في المعاجم المدرسية العربية قراءة وصفية نقدية في المنجز ، ص33.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ج2، ص10.

[3] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ج2، ص11.

وقد أخذ العرب هذا النوع من التعريف عن اليونان، وبالتحديد عن كتاب ديوسقريديس، وهذا أمر واضح وجلي، فبما أن العرب قد أخذوا علوم الطب والصيدلة عن اليونان فمن المنطقي أن يأخذوا عنهم الأدوات التي عالجوا بهذا هذا العلم، والمتصفح لكتاب الجامع والكتب التي سبقته كالاعتماد لابن الجزار، يجد أن تعريفات ديوسقريديس وجالينوس قد أخذت حرفيا ونسبت إلى قائليها توخيا للأمانة العلمية، إلا أن ابن البيطار لم يكتف بأقوال هذين العالمين بل ذكر الكثير من أقوال العلماء العرب.

وما يحسب لجهود العلماء العرب أنهم لم يكتفوا بما أخذوه عن اليونانيين في مسألة التعريف بل أضافوا عليها ما يوافق طبيعة العمل الذي هم بصدد القيام به، حيث إن الركنين الأول والثاني من التعريف المنطقي هما من تأليف العرب ولم يرد ذكرهما عند اليونان، ومثال ذلك عند ابن البيطار في شرحه لمصطلح "(كراث): بفتح الكاف وتخفيف الراء"[1]، وفي موضع آخر "(قضاب مصري): اسم عربي أوله قاف مضمومة ثم ضاد معجمة مفتوحة مشددة ثم ألف ثم باء بواحدة اسم لنوع من عصا الراعي بأرض مصر..."[2]، (قرط): بضم القاف وإسكان الراء المهملة بعدها طاء مهملة"[3] ومثال آخر (مرار):"بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف ثم راء مهملة اسم لنوع من النبات الشوكي..."[4]ومن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا أن ابن البيطار قد قام بضبط رسم المصطلحات ضبطا دقيقا تجنبا للتصحيف كما ذكر أصل المصطلح (قضاب مصري) وهو اسم عربي، وكذلك يفعل مع المصطلح إذا كان أعجميا، حيث يذكر أصله، ومثال ذلك (مروية

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج4، ص325

[2] ـ الجامع، ج4، ص270.

[3] ـ الجمع، ج4، ص258.

[4] ـ الجامع، ج4، ص434.

يلبوشة): "هذا الاسم لطيني للدواء الذي سماه ديسقوريدوس في الثالثة بلوطي...[1] ومثال آخر (وراجالوز):" اسم بربري للكرمة البيضاء المعروفة بالفاشرا بأفريقية وأعمالها"[2]. والملاحظ أن هذان الركنان (ضبط رسم المصطلح ونسبته اللغوية)، هما من خصائص التعريف العربي ولم يردا عند ديسقوريدوس أو جالينوس، وهذا يدل على حرص العرب على تجنب التصحيف في المصطلحات.

وبما أن معجمنا المدروس ينتمي إلى المعاجم العلمية المختصة، فلا بد أن يكون هذا النوع من التعريف هو الغالب على التعريفات التي اعتمدها ابن البيطار، لكن السؤال هو: هل التزم ابن البيطار بالأركان الخمسة المذكورة في تعريفاته أم اعتمد بعضها وأهمل بعضها الآخر؟

والظاهر من خلال تصفحنا لمعجم ابن البيطار أن هذا النوع من التعريف له حضور قوي، ومثال ذلك نجده في أول مصطلح عرّفه ابن البيطار في كتاب الجامع وهو (آالُسن): اسم يوناني، أوله ألفان، الأولى منهما مهموزة ممدودة، والثانية هوائية ولام مضمومة ثم سين مهملة مفتوحة بعدها نون، وبعضهم يكتبها بواو ساكنة بعد لام، وبعضهم يحذفها، وهو الدواء المعروف اليوم بالشام بحشيشة اللجاة وحشيشة السلحفاة أيضا... هو دواء يستعمل في وقود النار وهو في المجس إلى الخشونة ما هو ذو ساق واحدة وله ورق مستدير وله في أصول الورق ثمر في شكل الترس ذو طبقتين فيه بذر صغير إلى العرض... وينبت في مواضع جبلية وأماكن وعرة، وإذا شرب طبيخه سكن البرد إذا كان بلا حمى... وإذا سحق وخلط بالعسل ولطخ على البثور اللبنية والكلف نقاه... هذا النبت يشبه الفراسيون إلا أنه أخشن منه وأكثر شوكا..."[3]، والملاحظ

---

[1] ـ الجامع، ج4، ص443.

[2] ـ لجامع، ج4، ص495.

[3] ـ الجامع، ج1، ص5-6.

أن هذا التعريف يجمع الأركان الخمسة، أما الركن الأول وهو نسبة المصطلح إلى أصله فقد ذكر ابن البيطار أن المصلح هو اسم يوناني الأصل، أما ثاني الأركان وهو ضبط رسم المصطلح فنجد أن ابن البيطار قد التزم بهذا الركن ولم يكتف بضبط رسم المصطلح الذي أورده، بل جاء بأوجه أخرى عند بعضهم ككتابة واو ساكنة بعد اللام أي (آالوسن) وقال أن بعضهم يحذفها وهو الرسم الذي أورده في معجمه أي (آالُسن). أما الركن الثالث والمتمثل في التعريف الترادفي بذكر المقابل العربي للمصطلح فقد ذكر ابن البيطار المرادف العربي للمصطلح (آالسن) وهو (حشيشة اللجاة) (وحشيشة السلحفاة)، وهما مصطلحان من عامية بلاد الشام، أما الركن الرابع وهو التعريف العلمي وذكر خصائص الدواء، فنجد أن ابن البيطار قد استفاض في ذكر خصائص الدواء، حيث ذكر خشونته وساقه وورقه وثمره، كما أسهب في ذكر خصائصه العلاجية واستعمالاته المتنوعة، والأمراض التي يعالجها، ولم يكتف بهذا بل ذكر حتى ما يشبهه من نبات وهو (الفراسيون) وهذه طريقة في التعريف تقرب المعنى وتنفي الخلط بين المصطلحات والوهم الذي قد يقع فيه غير المتبصر بهذا الفن، إلا أننا لاحظنا أن ابن البيطار لم يقم بالإحالة إلى تعريف المصطلح المشبه به (أي الفراسيون) في موضع آخر من كتابه وتركه دون شرح. أما الركن الخامس فقد ذكر ابن البيطار الموضع الذي ينبت فيه هذا النبات وهي مواضع جبلية وأماكن وعرة.

والتعريف المنطقي أو الموسوعي هو الأنسب للتعامل مع الأدوية المفردة، وقد أخذ العرب هذا النوع من التعريف عن اليونان من خلال ترجمة كتابي ديوسقريديس وجالينوس، وقد ذكر ديوسقريدس ثلاثة أركان للتعريف وهي التعريف اللغوي الموجز للدواء، ثم الوصف العلمي

الدقيق لبنيته، ثم الحديث باستفاضة عن خصائصه ومنافعه[1]. والكتب المختصة في الأدوية المفردة تحتوي على الكثير من التعريفات التي وردت في كتابي ديوسقريديس وجالينوس، ومن بين هذه الكتب كتاب الجامع لابن البيطار حيث اعتمد على هذين العالمين اعتمادا كبيرا في معجمه، من أمثلة ذلك نذكر:"بنفسج: هو معروف: ديسقوريدوس في الرابعة: هو نبات له ورق أصغر من ورق النبات الذي يقال له قسوس، وأدق منه وأشد سوادا...وله ساق يخرج من أصله عليه زغب صغير... جالينوسفي السادسة: ورق هذا النبات جوهره جوهر مائي بارد قليلا، ولذلك صار متى صنع ورقه كاضماد... سكن الأورام الحارة... ديسقوريدوس: ورق هذا النبات إذا تضمد به وحده أو مع السويق يبرد، وينفع من إلتهاب المعدة والورام الحارة العارضة في العين..."[2]، وعند الاطلاع على هذا التعريف الخاص بالعالمين اليونانيين نلاحظ التزامهما بركني التعرف وهما: الوصف الدقيق لبنية النبات، ثم الاستفاضة في ذكر منافعه وطرق استعماله.

وبالعودة إلى معجم ابن البيطار نجده قد التزم بالأركان الخمسة للتعريف ـ في غالب الأحيان ـوأوردها في معجمهوقد يلتزم ببعضها دون الآخر في أحيان أخرى، وأمثلة ذلك: (فالنجيقن):" تأويله باليونانية الرتيلاء لأنه ينفع من لدغتها، ديسقوريدوس في الثالثة: ومن الناس من يسميه فالانجيطس، ومنهم من يسميه لوقاقيس له قضيبان أو ثلاثة، وربما زاد متفرقة بعضها عن بعض وزهر أبيض شبيه بزهر السوسن فيه تشريف قليل...وورقه وبزره وزهره إذا شرب بالشراب نفع من لسعة العقرب ونهشة الرتيلاء ويحلل المغص: جالينوس في الثامنة:

---

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص113-114.

[2]ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص156.

فالانجقون هذا النبات يسمى باليونانية بهذا الاسم..."[1]. الملاحظ من هذا التعريف أن ابن البيطار ذكر المرادف اللغوي للمصطلح بأكثر من لغة، كما ذكر طرق نطقه المختلفة وهي من الخصائص اللغوية للمصطلح، ثم انتقل إلى ذكر خصائص الدواء وشكله ومكوناته، ثم طريقة تحضيره والمرض الذي يداويه. ونذكر مثالا آخر: (فاشرا):"وهزارجشان بالفارسية وباليونانية إنالين لوقي ومعناه الكرمة البيضاء وبالبربرية ورحالوز. ديسقوريدوس: هذا نبات له أغصان وورق وخيوط شبيه بأغصان وورق وخيوط الكرم الذي يعتصر منه الشراب إلا أنها كلها أكثر زغبا وتلتف على ما يقرب منها من النبات..."[2]. فالواضح من هذين المثالين التزام ابن البيطار بالأركان التي وضعها ديسقوريدوس، إلا أنه قد يتخلى عن ركن من الأركان المذكورة كما في المثال الآتي:(فتيت):"الرازي: والفتيت أيضا أجود ما يستعمله الناس للاغتذاء استعمالا كثيرا وهو أيضا منفخ ويولد الأمراض..."[3]، وفي هذا المثال يظهر لنا تخلي ابن البيطار عن ركن التعريف اللغوي وانتقاله مباشرة للحديث عن خصائص الغذاء ومنافعه وأضراره.

هذا فيما يخص الأركان التي وضعها ديسقوريدوس للتعريف المنطقي، أما ما طوره العرب من أركان لهذاالنوع من التعريف فتزيد عن اثني عشر ركنا وقد حددها الأنطاكي في مقدمة كتابه (تذكرة الألباب والجامع للعجب العجاب) وهي: ذكر أسماء الأشياء بالألسن المختلفة، والثاني ذكر ماهيته من قصر وطول وملامسة ولون ورائحة وطعم وخشونة ولزوجة، والثالث ذكر جيده ورديئه، والرابع ذكر درجته من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والخامس ذكر منافعه، وسادسا كيفية التصرف به مفردا أو مع غيره، سابعا ذكر مضاره، ثامنا ذكر ما

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص212.

[2] . الجامع، ج3، ص 210.

[3] ـ الجامع، ج3، ص214.

يُصلحه، وتاسعا ذكر المقدار الذي يؤخذ منه، عاشرا ذكر ما يعوضه إذا فقد... وزاد بعضهم ركنين آخرين: الزمان الذي يقع فيه الدواء، والثاني المكان الذي يجلب منه[1].وإذ تمعنا في هذه الأركان نجدها عبارة عن تفصيل لما أجمله ديسقوريدوس في الأركان الثلاثة التي حددها.

أما عن ابن البيطار فقد يلتزم بذكر أغلب الأركان التي ذكرها الأنطاكي أو قد يذكر بعضها، وأحيانا يكتفي بركن واحد وهو ذكر مرادف الشيء بلغة مختلفة مثل: (غالوطا):" هو الباقلا القبطي"[2]، وهذا ما يعرف عند المحدثين بالتعريف بالترادف، إذ يذكر صاحب المعجم مرادفا للفظ دون إسهاب في الشرح وأمثلته كثيرة عند ابن البيطار، وهذا النوع من التعريف غير ملائم للمعاجم العلمية المختصة، حيث يكون مختصرا ولا يظهر خصائص المصطلح المُعرف وهو أقرب للتعريف اللغوي الملائم لألفاظ اللغة العامة منه إلى تعريف المصطلح العلمي.

ومن أهم الخصائص التي تميز بها التعريف عند ابن البيطار ذكر تعريفات عديدة لعلماء كثر للمصطلح الواحد، ولم يكن ابن البيطار متفردا بهذا المنهج، وإنما كان منهج الكثير من العلماء في زمانه وفي الزمن الذي سبقه، وقد أرجع ابن مراد هذا لتأثرهم برواة الحديث في بداية القرن الثالث الهجري، فكانوا يلجأون إلى طريقة الإسناد في تفسير الألفاظ، فيذكرون تفاسير كثيرة للفظ الواحد ويسندونها إلى أصحابها من أئمة اللغة السابقين لهم[3]. وهذه الطريقة في التعريف تضفي مزيدا من الإيضاح والموسوعية على المعجم، كما أن إيعاز التعريفات لأصحابها ينبئ على أمانة علمية عالية عند المؤلف، ومن أمثلة هذا عند ابن البيطار نذكر:"أنزروت: ديسقوريدوس في الثالثة: هو صمغ شجرة تنبت في بلاد الفرس...جالينوس في

---

[1] ـ الأنطاكي، تذكرة أولي اللباب، ج1، ص18.

[2] ـ الجامع، ج3، ص202.

[3] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ص12-13.

الثامنة: قوته مركبة من قوتين: إحداهما مسدّدة لاحجة، والأخرى فيها بعض المرارة... الطبري: إنه يجبر الوثي ويلحم القروح... ابن ماسويه: خاصته إسهال البلغم اللزج والشربة منه إن خلط بغيره... حبيش بن الحسن: هو حديد جدا ثقاب يأكل اللحم الغث من الجراحات... لي: أكثر الطباء قد حذر أن لا يستعمل من الأنزروت أكثر من هذا المقدار الذي ذكرناه قبل...[1]، فالواضح في التعريف أن ابن البيطار أسند عدة تعريفات للمصطلح، حيث ذكر قول ديسقوريدوس ثم جالينوس، ثم قول الطبري وبعده ابن ماسويه ثم حبيش بن الحسن وختم بنفسه حيث أشار إليها بـ(لي)، والملاحظ أن هذا التعدد في التعريفات لم يكن اعتباطا أو حشوا، بل كان كل تعريف يضيف شيئا لم يذكره صاحب التعريف الذي سبقه، وبهذا يكون الغرض من هذا التعدد زيادة الإيضاح وتفصيل في ذكر خصائص الدواء ومنافعه واختلاف استعمالاته.

لكن مع هذه الموسوعية في التعريف، قد يكتفي ابن البيطار في بعض الأحيان بقول أو قولين لعالم من العلماء، وفي أحيان أخرى قد يعرف بالمرادف، وفي مرات أخرى قد لا يعزو التعريف لأي عالم بل يكتفي بالتعريف فقط دون إحالة.

ومن أمثلة التعريف الذي يذكره ابن البيطار دون إحالة:"أندراسيون: هو النبات الذي يسمى باللطينية وهي عجمية الأندلس بريطورة وسيأتي ذكره في حرف الياء"[2] ومثال آخر:"أنقاق: هو الزيت المعتصر من الزيتون الفج الذي لم يكمل نضجه وسيأتي ذكره في حرف الزاي[3]. ومثال آخر:"أنبالس: هو الكرم باليونانية"[4]. والظاهر أن ابن البيطار يلجأ إلى التعريف بهذه الطريقة

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص87-88.

[2] ـ الجامع، ج1، ص91.

[3] ـ الجامع، ج1، ص91.

[4] ـ الجامع، ج1، ص91.

(دون إيعاز) عندما يحيل القارئ إلى موضع آخر سيشرح فيه المصطلح، وهذا ما يعرف بالتعريف بالإحالة، ويُعمد إلى هذه الطريقة تجنبا للتكرار والحشو وطلبا لاختصار الجهد.

كما قد يعتمد ابن البيطار على الترجمة في التعريف، ومثال ذلك: "أنبالوس أنوقورس: تأويله كرم الشراب باليونانية"[1]، حيث عرف المصطلح من أصل يوناني بترجمته ترجمة حرفية إلى اللغة العربية، ومثال آخر: "أنبالس باليا: ومعناه الكرم الأسود"[2]، وهي ترجمة حرفية كذلك لمصطلح يوناني.

أما التعريف الذي يكتفي فيه ابن البيطار بذكر قول لعالم واحد فمن أمثلته: "انطونيا: قال ابن ماسة: هو الهندبا الشامي العريض الورق..."[3]، ومثال آخر: "أوبوطيلون: ابن سينا: نبات يشبه القرع..."[4]، ونجد أن ابن البيطار قد يكتفي في كثير من الأحيان بقول أو قولين لعالم من العلماء للتعريف بالمصطلح لواحد.

2 ـ 3 ـ 2 ـ التعريف بالإحالة أو(التعريف المرجعي):يقوم المؤلف في هذا النوع من التعريف بإدماج مصطلحين في تعريف واحد، إلا أنه يحيل القارئ إلى أن تعريف المصطلح قد تم أو سيتم مع مصطلح آخر، إذ قد تكون الإحالة قبلية (أي أن المصطلح قد عرّف من قبل)، أو بعدية (أي أن التعريف سيكون مع المصطلح اللاحق)، ومن أمثلة ذلك:"(أندراسيون): هو النبات الذي يسمى باللطينية وهي عجمية الأندلس يربطوره، وسيأتي ذكره في حرف الياء"[5]، ومثال آخر:"(أتب): هو الباذنجان عن أبي حنيفة، وسنذكره في الباء"، (أنجلرك): هو

---

[1]ـ ابن البيطار، الجامع،ج1، ص91.

[2] ـ الجامع، ج1، ص91

[3] ـ الجامع، ج1، ص91.

[4] ـ الجامع، ج1، ص93.

[5] ـ الجمع، ج1، ص91.

المرزنجوش في بعض الأقوال، وسنذكره في الميم"[1]. والملاحظ من هذا النوع من التعريف هو النزعة الموسوعية لابن البيطار، طلبه بالاختصار وعدم التكرار مع حرصه على ذكر أكبر عدد ممكن من المصطلحات، فالتعريف الإحالي يتيح للمعجمي إيراد عدد من المصطلحات التي تشترك في مفهوم واحد دون حشو أو تكرار، والملاحظة الثانية هي تعريف المصطلح تعريفا ترادفيا قصيرا ثم إحالة القارئ إلى التعريف الموسوعي في الحرف الذي أحال إليه، وبهذا يكون قد حقق للقارئ الغاية الكبرى وهي معرفة المعنى بالمرادف، وإن أراد أن يستزيد فهو يحيله إلى موضع الزيادة.

وقد تكون الإحالة قبلية، وهو أن يشير صاحب المعجم إلى أن المصطلح قد عُرّف في موضع سابق، ومثال ذلك:"(أناكبرا): هو أناغالس بالنبطية عن حنين، وقد تقدم ذكره"[2]،ومثال آخر:"(بجم): هو ثمر الأثل بالديار المصرية معروف بها بهذا الاسم وقد ذكرته مع الأثل في حرف الألف"[3]. إلا أن هذا النوع من التعريف الإحالي (القبلي) هو قليل جدا مقارنة بالتعريف الإحالي البعدي، وفي نظرنا أن السبب في ذلك هو الاستفاضة التي يعمد إليها ابن البيطار في ذكر معاني المصطلح ومرادفاته وترجماته أحيانا حتى لا يترك شاردة ولا واردة عن المصطلح إلا ذكرها، فلا ينفلت منه إلا الشيء القليل فيضطر إلى إحالة القارئ إلى موضع عرّف فيه مصطلحا آخرولم يذكر المصطلح المحال ضمنه.

والملاحظ كذلك أن الكثير من المصطلحات قد تظهر في التعريف كمرادف للمصطلح المُعَرَّف ويتم إهمالها، ويمر المعجمي عليها مرور الكرام دون إحالتها أو تعريفها وتكون مبهمة

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص91.

[2] ـ الجامع، ج1، ص91.

[3] ـ الجامع، ج1، ص115.

أو غريبة وتحتاج إلى شرح، فيقع صاحب المعجم في إشكالية تعريف المبهم بالمبهم، ومثال ذلك:"(برغوثي): هو البزر قطونا"[1]، ففي هذا المثال نجد المُعَرِّف أكثر جهالة من المعَرَّف.

وقد ذكر ابن مراد نوعا آخر من التعريف الإحالي، وهو إدماج مصطلحين في مصطلح واحد، ويقوم المعجمي بتعريف أحدهما مع الآخر، فيُحال المصطلح المُعرف إلى تعريف مصطلح آخر[2]، والفرق بينه وبين التعريف الإحالي الذي ذكرناه من قبل، هو أن التعريف الإحالي يحيل فيه المُعجمي إلى الحرف الذي سيذكر فيه تعريف المصطلح، كما يقوم بتعريف موجز ويكون بالمرادف في أغلب الأحيان ثم يحيل إلى موضع آخر لمن أراد الاستزادة والتوسع في الشرح، أما التعريف الإحالي الذي ذكره ابن مراد فلا يقوم المعجمي بتعريف المصطلح مطلقا، ويحيل القارئ إلى مصطلح آخر قام فيه بتعريف المصطلح ضمن تعريف المصطلح المحال إليه.

وقد يكتفي ابن البيطار بالإحالة دون ذكر الموضع الذي ذكر فيه المصطلح من قبل مثل:"(ملح سبخي): هو ملح العجين وقد ذكرناه" ومثال آخر "(ملح وسخ): وهو ملح يوجد في نفس الأرض وقد ذكرناه"[3].نلاحظ أن ابن البيطار يحيل إلى موضع مجهول باستخدام كلمة (ذكرناه) دون تحديد الموضع الذي ذكر فيه، وهذا من العيوب التي وقع فيها ابن البيطار.

---

[1] ـ الجامع ، ج1، ص123.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ص16.

[3] ـ ابن البيطار، الجامع، ج4، ص458.

وقد يجمع ابن البيطار بين الطريقتين، أي يحيل إلى المصطلح والحرف في موضع واحد ومن أمثلة ذلك:"(نطرون): مذكور مع البورق في حرف الباء"[1]. حيث أحال إلى المصطلح (بورق) وحرف الباء في آن.

كما وقفنا على طريقة أخرى في التعريف الإحالي عند ابن البيطار تجمع بين التصحيح والإحالة، ومثال ذلك:"(موش دربندي): صوابه بوش بالباء بواحدة من تحتها وقد ذكرته هناك"[2]، حيث قام ابن البيطار بتصحيح كتابة المصطلح (بوش بدلا من موش)، أي استبدل الباء بالميم، ثم قام بالإحالة إلى الحرف الذي عرّف فيه المصطلح وهو حرف الباء.

2 ـ 3 ـ 3 ـ التعريف اللغوي:يمكن تقسيم هذا النوع من التعريف إلى ثلاثة أقسام، أما القسم الأول فهو التعريف اللغوي الذي يكون ضمن التعريف المعقد أو التعريف الموسوعي الذي ذكرناه آنفا، أما القسم الثاني فهو التعريف اللغوي المحض، والقسم الثالث هو التعريف التصحيحي بتصحيح التصحيف الذي يقوم فيه ناقلو المصطلح باستبدال حرف بحرف أو بالخطأ في نطق المصطلح أو الخلط بينه وبين مصطلح آخر.

أما التعريف اللغوي المحض فهو التعريف الذي يُكتفى فيه بتعريف المصطلح تعريفا لغويا محضا دون زيادة، وهو قليل جدا في معجمنا المدروس مقارنة بالتعريف المنطقي، وهذا راجع إلى طبيعة المعجم العلمي المختص. ومن أمثلته (أونومالي): معناه شراب وعسل لأن أونو

---

[1] ـ الجامع، ج4، ص479.

[2] ـ الجامع، ج4، ص465.

باليونانية شراب ومالي عسل"[1]، حيث اكتفى بتعريف المصطلح لغويا دون شرح أو ذكر لخصائصه، ويعد هذا النوع من التعريف ناقصا إذا كان في المعاجم العلمية المختصة.

ومن أمثلة التعريف اللغوي إعطاء بعض المعلومات اللغوية عن اللفظ المُعرف كما في المثالين الآتيين:"(الليني): الألف واللام فيه أصليتان"[2]، و"(الأسفافس): "الألف واللام فيه أصلية تعد من نفس الكلمة وعماد حروفها"[3]، وهنا يقوم ابن البيطار بالتنبيه على أن الألف واللام أصلان من أصول الكلمة الأعجمية ولم يتم إضافتهما كأداتي تعريف بعد تعريب المصطلح، وهذا يبين لنا حرصه على ضبط المصطلحات ـ ذات الأصول الأعجمية خاصة ـ ضبطا لغويا دقيقا تجنبا للوقوع في الخطأ والتصحيف.

والتعريف التصحيحي، هو نوع من التعريف اللغوي، حيث يقوم فيه المعجمي بتصحيح تعريفات سابقة تكون خاطئة فينبه إلى مكان الخطأ فيها[4]. ومن أمثلة ذلك عند ابن البيطار:"(بلوطي): تسميه عامة الأندلس مرويه يلبوسه وهو اسم لطيني وغلط من جعله اللاعية أو ضربا منها"[5]، ومثال آخر:"(بنجنكثت): تأويله بالفارسية ذو الخمسة أصابع وغلط من جعله البنطافلن"[6]. وبهذه الطريقة يكون ابن البيطار قد اضطلع بدور المحقق زيادة على جهده المعجمي.

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص94.

[2] ـ الجامع، ج1، ص72.

[3] ـ الجامع، ج1، ص73.

[4] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ص15.

[5] ـ الجامع، ج1، ص153.

[6] ـ الجامع، ص157.

2 ـ 3 ـ 4 ـ التعريف بالمرادف: استعمل ابن البيطار هذا النوع من التعريف كثيرا، وفي أغلب الأحيان يأتي به مع التعريف الإحالي مثال ذلك:"(بنات الرعد): هي الكمأة وسيأتي ذكرها في الكاف"[1]، ومثال آخر حين عرف مصطلح:"(بوريطش): هو حجر المرقشيشا وقد ذكرته في حرف الميم"[2]، والأمثلة على هذا كثيرة، ولا نكاد نجد ابن البيطار يستعمل هذا النوع من التعريف إلا مع الإحالة إلى موضع آخر يكون قد شرح فيه معنى المرادف الذي عرّف به المصطلح، وهذا يعود إلى أن المرادف في أغلب الأحيان يكون من المصطلحات التي تحتاج إلى شرح وتوضيح، إما لعجمته أو لغرابته، ففي المثالين السابقين نجده قد عرف المصطلح (بوريطش) بـ (حجر المرقشيشا) وهو مرادف غريب غير معروف، وأحيانا يكون المرادف عربيا ومفهوما من الناحية اللغوية، لكنه في حقيقته عبارة عن مصطلح يحتاج إلى تعريف مثال ذلك:"(بوغلصن): باليونانية، معناه لسان الثور بالعربية، وسنذكره في حرف اللام"[3]، فلسان الثور عبارة عربية لكنها تحتاج إلى شرح وتفسير كونها مصطلحا له مفهوم خاص، كما نلاحظ في هذا المثال استعمال ابن البيطار لأسلوب الترجمة في تعريف المصطلحات خاصة في التعريف بالمرادف، ومثال ذلك:"(جل): هو الورد بالفارسية وسيأتي ذكره في الواو"[4]، وهذا أسلوب (الترجمة) يستخدمه ابن البيطار كثيرا خاصة في التعريف بالمرادف.

ومن خلال تتبعنا للمرادفات التي اعتمدها ابن البيطار في تعريفاته نجدها تتوزع على عدة لغات، فقد يستعمل المرادف العربي لشرح المصطلح الأعجمي مثل:"(سمار): هو الأسهل"[5]،

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص165.
[2] ـ نفسه، ج1، ص173.
[3] ـ نفسه: ج1، ص173.
[4] ـ نفسه، ج1، ص228.
[5] ـ نفسه، ج3، ص47.

ومثال آخر: "(سيكران): هو الينج بالعربية"[1]، وقد يعرفه بمرادف عامي مثل:"(شمار): هو الرازيانج عند أهل مصر والشام"[2]، ومن أساليب التعريف بالمرادف عند ابن البيطار كذلك تعريف المصطلح العامي بمرادف أعجمي مثل:"(شيخ الربيع): هو الدواء المسمى باليونانية أريقارون"[3]، كما قد يعرف العامي بمصطلح أعجمي مثل: "(ظفائر الجن): هي البرشاوشان"[4]، و"(ظفر القطة): ...يسمى باليونانية لوماين"[5]، كما قد يعرف ابن البيطار المصطلح الأعجمي بمصطلح أعجمي آخر:"(غليجن اغريا): هو المشكطرامشير"[6]، كما نجده يعرف المصطلح الأعجمي بأكثر من مصطلح أعجمي واحد مثل:"(فاشرا): وهزارجشان بالفارسية وباليونانية إينالس لوقي ومعناه الكرمة البيضاء وبالبربرية ورحالوز"[7]، في هذا المثال جاء ابن البيطار بأربعة مرادفات من لغات مختلفة، الفارسية واليونانية والعربية والبربرية. إن تعدد اللغات التي استعان بها ابن البيطار في تعريفاته تنم عن شخصية علمية فريدة ومطلعة على ثقافات مختلفة أغنى بها معجمه ووسع أفق مدونته لطلاب العلم.

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص62.

[2] ـ نفسه، ج3، ص92.

[3] ـ نفسه، ج3، ص100.

[4] ـ نفسه، ج3، ص127.

[5] ـ نفسه، ج3، ص154.

[6] ـ نفسه، ج3، ص207.

[7] ـ نفسه، ج3، ص210.

المبحث الثالث: الاقتراض اللغوي ومعالجة المصطلحات الدوائية في معجم الجامع

تعدكتب الأدوية المفردة من أهم المصادر التي يمكن البحث فيها عن ظاهرة التداخل اللغوي بين اللغة العربية واللغات الأخرى، حيث لجأ مؤلفوها إلى الاعتماد على الاقتراض من لغات أعجمية،وهذا راجع إلى كون أولى المصادر التي اعتمدها المؤلفون العرب في مجال الأدوية المفردة والطب كانت يونانية الأصل قام العرب بترجمتها إلى العربية واعتمادها بعد ذلك كمدونة للكثير من الكتب التي ألفت في هذا الفن.

ويمكن القول إن من أهم اللغات التي تم الاقترض منها هي اليونانية والفارسية والبربرية واللاتينية، حيث لعبت الترجمة دورا كبيرا في نقل العلوم الطبية والصيدلانية إلى العربية، إلا أن ضلوع أهل الأندلس وسكان المغرب العربي بهذا الميدان مكنهم من إدخال مصطلحات من لغات لم تكن لها مؤلفات في هذا الفن، بل أدخلت من خلال التحري الميداني والاحتكاك المباشر بأهل تلك اللغات كالبربرية ولغة أهل الأندلس (العامية الأندلسية) ولغة أهل المغرب (العامية المغربية) وعامية إفريقية (تونس حاليا).

ولم تكن اليونانية اللغة الوحيدة التي اقترض منها العرب مصطلحاتهم الطبية والدوائية، بل كان للفارسية واللاتينية والبربرية والسريانية حضور قوي في مؤلفات الأدوية المفردة، مع تفاوت في نسبة الاعتماد على لغة من اللغات من مؤلف إلى آخر، ومن بلد إلى آخر.

وقد لعبت البيئة الجغرافية دورا كبيرا في تحديد نسبة الاقتراض من لغة معينة مقارنة بلغة أخرى، حيث غلب الاقتراض من الفارسية في المشرق العربي، وهذا راجع إلى القرب الجغرافي

بين بلاد العرب وبلاد فارس، أما اللاتينية والبربرية فقد شاع الاقتراض منها عند المغاربة والأندلسيين بسبب أن اللاتينية أو اللاطينية ـ وهي التسمية التي استعملها ابن البيطار ووصفهابأعجمية الأندلس في مقدمة كتابه:"وذكرت كثيرا منها(أي أسماء الأدوية) بما يعرف به في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة، كالألفاظ البربرية واللاطينية وهي أعجمية الأندلس، إذ كانت مشهورة عندنا، وجارية في معظم كتبنا"[1]ـ كانت لا تزال جارية على لسان أهل الأندلس وفي كتاباتهم أيضا، وهذا ما يفسر اعتماد ابن البيطار عليها، والسبب نفسه ينطبق على البربرية وهي لغة كانت سائدة عند سكان شمال إفريقيا، كما أن القرب بين الأندلس وشمال إفريقيا جعل هجرة الألفاظ والتداخل اللغوي بين أهل البلدين أمرا طبيعيا، كما أن لابن البيطار سببا آخر وهو رحلته إلى المشرق والتي كانت عبر بلاد المغرب فكانت فرصة له لتدوين الكثير من المصطلحات بلغة أهل تلك البلاد التي زارها.وقد استنتج ابن مراد أن ابن البيطار كان يتقن لغتين أعجميتين على الأقل، وهما اليونانية واللاتينية.[2]ونرى أن ابن مراد قد وفق في هذا الاستنتاج بحكم أن ابن البيطار اشتغل كثيرا على كتابي جالينوس وديسقوريدوس، والظاهر انه لم يكتف بالتعامل مع النسخة المترجمة بل اعتمد على النسخة اليونانية الأصلية، والدليل على ذلك تصحيحه للكثير من الأخطاء التي وقع فيها من ترجم النسخة الأصلية، كما أوجد الكثير من المقابلات العربية لمصطلحات يونانية ظلت عصية على المترجمين إلى أن قام هو بترجمتها. أما عن اللاتينية فلا غرابة أن يتحكم فيها ابن البيطار بحكم أنها كانت لغة أهل الأندلس قبل الإسلام وكانت الكثير من عباراتها لا تزال عالقة على ألسنة الأندلسيين.

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص4.

[2] ـ ينظر: ابن مراد، دراسات في المعجم، ص285.

وإذا أتينا إلى معجم ابن البيطار فإننا نجده قد ضم لغات عديدة بنسب متفاوتة بين الكثرة والقلة، وقد قام ابن مراد بإحصاء المصطلحات الأعجمية في كتاب الجامع لابن البيطار، فوجد أن من أكثر اللغات التي اقترض منها ابن البيطار الفارسية (454 مصطلحا) ثم تليها اليونانية (428 مصطلحا)، وفي المرتبة الثالثة تأتي اللاتينية (60 مصطلحا)، وبعدها السريانية (47 مصطلحا)، ثم الآرامية (29 مصطلحا)، وبعدها البربرية (27 مصطلحا)، ثم العبرية (11 مصطلحا)، والمركبة (5 مصطلحات)، ثم الهندية (8 مصطلحات)، والمجهولة (9 مصطلحات)، والمصرية القديمة (مصطلح واحد)، والمشكوك فيها (مصطلح واحد)، والنبطية (مصطلح واحد) وأخيرا السنسكريتية (مصطلح واحد)[1]. ومجموع هذه الألفاظ هو 1082، والظاهر من هذه الإحصائية أن اللغة الفارسية تأتي في المرتبة الأولى كأكثر لغة اقترض منها ابن البيطار في معجمه، ثم تليها اليونانية ثم اللاتينية في المرتبة الثالثة، وهذه اللغات الثلاث هي اللغات المهيمنة على ظاهرة الاقتراض في اللغة العربية في ذلك الزمن، فلا غرابة من هيمنتها على اللغات المقترض منها في معجم ابن البيطار، أما باقي اللغات فيمكن اعتبارها لغات ثانوية.

1 ـ اللغات التي اقترض منها ابن البيطار في كتاب الجامع:

إن ظاهرة الاقتراض اللغوي تنتج عن اتصال الأمم بعضها ببعض، ويكون هذا الاتصال بطرق متعددة، فقد يحدث بسبب القرب الجغرافي أو الغزو أو عن طريق التبادلات التجارية والهجرات أو عن طريق التبادلات الفكرية والعلمية المتنوعة... وتحدث هذه الظاهرة ضمن ما يسمى بالتبادل اللغوي، أي أن تأخذ لغة من لغة ألفاظا أو تراكيب أو دلالات غريبة عنها، كما تُصَدِّر

[1] ـ ينظر: ابن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة، ص8-9.

هي بدورها ألفاظا أو تراكيب أو دلالات إلى لغات أخرى وهذا هو مفهوم التبادل، يقول ستيفن أولمان عن أنواع الاقتراض:"فهو (المتكلم) إما أن ينقل الكلمات بصورها كما هي من استعمال خاص إلى آخر، وإما أن يترجمها إلى لغته القومية، وتسمى الطريقة الأولى (اقتراض الكلمات) والثانية (الاقتراض بطريق الترجمة)"[1]. وابن البيطار استعمل الطريقتين أي (اقتراض الكلمات) و(الاقتراض بالترجمة) كما سنرى فيما سيأتي من البحث.

أما الحمزاوي فيرى أن الاقتراض هو (استعارة لغوية) ويعرف الظاهرة بقوله:"ما شهر بالمعرب والدخيل وهو كل ما تستعيره لغة معينة من لغة أخرى مجاورة أو مباعدة أو وراثة في مستوى الألفاظ والصرف والنحو والأساليبسعيا وراء تحقيق توازن نظامها الذي خلا من مقولات لغوية لم توفرها بوسائلها الذاتية"[2]، واستعمل الحمزاوي مصطلح الاستعارة بدلا عن الاقتراض، وهناك من يسمي الظاهرة با (النقل) وهناك من يسميها بظاهرة (الاقتباس اللغوي)، لكن المصطلح الشائع عند القدماء والمحدثين هو (الاقتراض)، وبالعودة إلى تعريف الحمزاوي للظاهرة نجده يذكر سبب وجود الظاهرة وهو (خلو اللغة من مقولات لم تستطع توفيرها بوسائلها الذاتية)، والقصد هنا من الوسائل الذاتية هي الاشتقاق والتوليد اللفظي أو المعنوي والنحت أو الترجمة...، وهذه كلها وسائل تُنمي بها اللغة ذاتها من داخلها، وفي حالة ما قصُرت اللغة عن توفير ما يحتاجه مستخدموها من ألفاظ أو عبارات، يُجأ إلى الاقتراض اللغوي من أجل تلبية تلك الحاجة، لكن إذا عدنا للواقع فلن نجد أن ظاهرة الاقتراض المستفحلة في اللغة العربية خاصة في العصر الحديث والمعاصر كانت بسبب عجز اللغة عن إيجاد مقابلات للألفاظ المُقترضة،

---

[1] ـ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق، كمال بشر، دار غريب، القاهرة ط12، د . ت، ص167.

[2] ـ الحمزاوي محمد رشاد، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص157

أو قصورا عن التعبير على المعاني المستحدثة، وإنما السبب يكمن في تشتت جهود مستعمليها وتهاونهم في تنمية لغتهم والبحث عن بدائل فصيحة للألفاظ والأساليب المقترضة.

أما ما تعلق بمعجمنا المدروس (الجامع) لابن البيطار، أو من عاصره ومن كان قبله من علماء الطب والصيدلة، فالعذر في الإكثار من المقترضات مقبول ومفهوم، لأن العرب لم تكن تعرف لهذين العلمين طريقا، ولم تكن لهم بهما أي صلة، وما عرفوه منه كان عن طريق الترجمة، والكثير من المصطلحات التي احتوتها تلك الكتب لم تكن معروفة عند العرب، ومنها الكثير من الأعشاب والأطعمة التي لم تكن موجودة في بلادهم فلم يحتاجوا إلى تسميتها، والأمر كذلك بالنسبة للأمراض والعلل.

وسنذكر فيما يأتي اللغات التي اقترض منها ابن البيطار المصطلحات التي أوردها في كتابه، ونرتبها حسب كثرة الاقتراض من كل لغة:

1 ـ 1 ـ الفارسية:رأيناآنفا من خلال الإحصائيات أن اللغة الفارسية هي أكثر لغة اقترض منها ابن البيطار في كتابه الجامع، وهذا رغم أنه اعتمد على ما جاء في كتابي ديسقوريدوس وجالينوس من مصطلحات في مدونة معجمه، إلا أن اللغة الفارسية كان لها الحضور القوي في معجمه وهذا راجع إلى أن ابن البيطار اعتمد على الكثير من المصادر العربية كابن سينا والغافقي والدينوري وابن ماسويه... والكثير من علماء المشرق العربي الذين كان لهم علاقة وطيدة مع الفرس ولغتهم، بحكم القرب الجغرافي والاحتكاك الحضاري بينهم، ومن أمثلة

المصطلحات الفارسية التي شرحها ابن البيطار نذكر:"(أفثرج): معناه بالفارسية رب حيثما وقع"[1]، ومثال آخر عرّف فيه المصطلح الفارسي: "(أشثرغاز): تأويله بالفارسية شوك الجمال"[2]

1 ـ 2 ـ اليونانية: تأتي اللغة اليونانية في المرتبة الثانية من حيث المصطلحات المقترضة منها في معجم ابن البيطار، حيث احتوى "الجامع" على (428) مصطلحا يونانيا قام ابن البيطار بمعالجتها وشرحها، ولا غرابة أن نجد أول مصطلح افتتح به معجمه كان مصطلحا يونانيا وهو:"(آالسن): اسم يوناني، أوله ألفان، الأولى منهما مهموزة ممدودة، والثانية هوائية ولام مضمومة ثم سين مهملة مفتوحة بعدها نون، وبعضهم يكتبها بواو ساكنة بعد اللام، وبعضهم يحذفها..."[3]، ويُظهر لنا هذا المثال عناية ابن البيطار بضبط نطق المصطلح الأعجمي تجنبا للتصحيف والتحريف، ويزيد على ذلك بذكر الكتابات المختلفة للمصطلح مما يدل على سعة اطلاعه. إلا أنه لم يلتزم بهذا الضبط مع كل المصطلحات الأعجمية التي أوردها في كتابهومثال ذلك:"(أسطراغالس): معناه الجريري باليونانية وهو النبات المعروف بمخلب العقرب الأبيض عند شجّاري الأندلس"[4]، والملاحظ أن ابن البيطار لا يضبط نطق الكلمات إلا قليلا، والغالب على منهجه عدم ضبطها، وهذا قد يعود إلى رؤيته أن المصطلحات واضح نطقها ولا تحتاج إلى ضبط خاصة عند أهل الاختصاص.

والملاحظة الثانية هي أن ابن البيطار لا يشير في كل مرة إلى أصل المصطلح، فكما رأينا في المثالين الماضيين أنه ذكر أن المصطلحين يونانيان.

---

[1] ـ الجامع، ج1، 63.

[2] ـ نفسه، ح1، ص48.

[3] ـ نفسه، ج1، ص5.

[4] ـ نفسه، ج1، ص37.

1 ـ 3 ـ اللاتينية: أو اللطينية أو عجمية الأندلس وهي مرادفات استعملها ابن البيطار للدلالة على اللاتينية ومن أمثلتها: "(أندراسيون): هو النبات الذي يسمى باللطينية وهي عجمية الأندلس يربطوره"[1]. كما استخدم ابن البيطار مصطلح (عجمية مشرق بلاد الأندلس)، ولا نعلم ماهو الفرق بينها وبين عجمية الأندلس، والظاهر أنها لهجة من لهجات اللطينية، ومن أمثلتها في شرح مصطلح: "(ببرالة): اسم بعجمية مشرق بلاد الأندلس للزراوند الطويل معناه قريعة صغيرة"[2]،

1 ـ 4 ـ السريانية:وهي لغة سامية مشتقة من اللغة الآرامية، وهناك من يعتبرها تطورا طبيعيا لها، وتعتبر السريانية لغة الآشوريين المستوطنين للعراق وسوريا وهي اللغة التي كانت تجمعهم. ومن أمثلة المصطلحات السريانية في معجم ابن البيطار:"(جسمى):هو بالسريانية بقلة تشبه الصعترة ويسمى أيضا الحسك"[3]، ومثال آخر :"(سندريطس): البطريق: تأويل هذا الاسم الحديدي ويسمى بالسريانية مسميقا"[4]

1 ـ 5 ـ البربرية:وهي اللغة التي كان يتحدث بها سكان شمال القارة الأفريقية، وقد ذكر ابن البيطار ألفاظا كثيرة من اللغة البربرية نذكر منها: "(آاطريلال): اسم بربري وتأويله رِجْل الطائر" ونذكر أيضا:"(آاكثار): اسم بربري أيضا" "(آارغيس): اسم بربري"[5]، "(ادرييس):هو اسم بربري"[6] وفي هذه الأمثلة جاءت المصطلحات البربرية مداخل للمعجم قام ابن البيطار بتعريفها، كما نجد

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص91.
[2] ـ نفسه، ج1، ص114.
[3] ـ نفسه، ج1، ص223.
[4] ـ نفسه، ج3، ص51.
[5] ـ نفسه، ج1، ص8.
[6] ـ نفسه، ج1، ص21.

في مواضع كثيرةأن المصطلح البربري كان وسيلة من وسائل الشرح التي استعملها ابن البيطار، حيث أوردها باعتبارها مرادفات للكثير من المصطلحات الأعجمية الأخرى ومثال ذلك:"(أشخيص): هو شوكة الملك عند أهل الأندلس...وبالبربرية أداد"[1]، ومن الطرق التي اعتمدها ابن البيطار في الشرح إيراد مرادفات المصطلح المُعرف بلغات مختلفة غير العربية، ومن بينها البربرية، وكذلك المرادفات المأخوذة من عاميات البلدان العربية.

كما قد ينسب ابن البيطار بعض المصطلحات العربية إلى البربر مثل:"آذان الأرنب: الغافقي: وتسميه البربر آذان الشاة"[2]، والظاهر أنه يقصد عامية البربر الذين عُرّبوا بعد الفتح الإسلامي.

1 ـ 8 ـ الهندية:تعد اللغة الهندية من أقل اللغات التي اقترض منها ابن البيطار في معجمه حيث لا تتجاوز المصطلحات المقترضة ثمانية مصطلحات، ويعد هذا منطقيا بحكم أن العرب أخذت علوم الطب والصيدلة بشكل أساسي عن اليونان والفرس، أما الهنود فلم يأخذ العرب عنهم في هذا الجانب، ومن الأمثلة التي وردت في الجامع عن المصطلحات الهندية نذكر:"(انفرديا): بالرومية هو البلاذر بالهندية وسنذكره في الباء"[3]، والظاهر من هذا المثال أن المصطلح جاء ضمن الشرح ولم يكن مدخلا للمعجم.

1 ـ النبطية: وهي لهجة للغة الآرامية كتب بها النبط نقوشهم حتى أواخر القرن الثالث للميلاد، وهي نسبة للنبط وهم شعب عربي استوطن شمال الجزيرة العربية وجنوب بادية الشام، وقد ذكر ابن البيطار مصطلحا واحدا باللغة النبطية وهو:"(أناكبرا): هو أناغالس بالنبطية عن حنين، وقد

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص50.

[2] ـ نفسه، ج1، 24.

[3] ـ نفسه، ج1، ص91.

تقدم ذكره".[1]ويعد هذا الشح في ورود المصطلحات النبطية أمرا طبيعيا، إذ لم يُعرف عنهم اضطلاعهم بعلمي الطب والصيدلة ولم يُعثر لهم على أثر مكتوب فيهما.

2 ـ المصطلحات العامية والمولَّدة في كتاب الجامع:

كان للمصطلحات العامية والمولَّدة حضور قوي في كتاب الجامع لابن البيطار، فكثيرا ما لجأ ابن البيطار إلى عاميات الأقطار العربية التي زارها إذا لم تسعفه العربية الفصيحة في إيجاد مقابلات للمصطلحات الطبية التي صادفها وقام بتدوينها، والملاحظ على منهج ابن البيطار أنه كان متفتحا ليس على العاميات فقطبل على اللغات الأعجمية كذلك، وهذا ما يفسر حجم المصطلحات العامية والأعجمية التي أوردها في كتابه. ومن المصطلحات العامية التي ذكرها ابن البيطار في كتابه:

2 ـ 1 ـ عامية أهل الشام: ومثال ذلك:"(أربيان): قال البكري: إن الأربيان هو من لغة أهل الشام ضرب من البابونج..."[2]، والمقصود بلغة أهل الشام عاميتهم، وقد يأتي بألفاظ عامية تخص مدينة من مدن الشام مثل:"(زيزفون): اسم دمشقي"، أي أنه لفظ معروف عند عامة أهل دمشق.

2 ـ 2 ـ عامية أهل الأندلس:يعبر ابن البيطار عن العامية الأندلسية بعبارات مختلفة، فمرة يقول (عاميتنا بالأندلس) ومرة ينسب المصطلح (لأهل الأندلس) أو (عامية أهل الأندلس)،ومن الأمثلة التي أوردهاعن عامية أهل الأندلس نذكر:"(إجاص): أهل الأندلس يسمون الإجاص

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص91.

[2] ـ نفسه، ج1، ص31.

عيون البقر"[1]، ولا بد أن نفرق بين عامية أهل الأندلس واللغة الأصلية لأهل الأندلس والتي يشير إليها ابن البيطار (بعجمية الأندلس) وهي (اللاطينية)،ومثال ذلك:"(أمسوح): ومعناه الأنابيب بالعربية ويسمى بعجمية الأندلس النبشالة..."[2]، وفي مثال آخر يوضح فيه ابن البيطار معنى (اللطينية):"(أندراسيون): هو النبات الذي يسمى باللطينية وهي عجمية الأندلس يربطوره.."[3]، أما إذا قصد العامية الأندلسية فإنه يشير إليها إما بعبارة (أهل الأندلس يسمون...) أو يذكرها بطريقة أكثر وضوحا وهي عبارة (تسميه عامة الأندلس) كما في هذا المثال:"(أنتلة بيضاء): هو نبات تسميه عامة الأندلس بالقيهق"[4]. وقد لاحظنا اهتماما كبيرا لابن البيطار بترجمة المصطلحات إلى أعجمية الأندلس (اللاطينية) أو (اللاتينية)، وكذلك إلى عامية أهل الأندلس، وهذا لتحقيق المنفعة كما قال في مقدمة كتابه، ولإتقانه للغة اللاتينية والعامية الأندلسية بحكم نشأته في تلك البلاد، ونرى أنه بلغ القصد وحقق المنفعة وربط بهذا بين المشرق والمغرب العربيين، وفائدة أخرى من استعانته بالعامية، هي لجوؤه إليها حين لا تسعفه العربية الفصحى في إيجاد مقابل للفظ الأعجمي، ولا يجد ما يفسر به اللفظ ويُقرب معناه إلا اللجوء إلى العامية أو اللاتينية (عجمية أهل الأندلس) من أجل شرح المصطلح ورفع الجهالة عنه.

وقد يفرق ابن البيطار بين شجّاري الأندلس وعامتهم، ففي تعريفه لمصطلح يقول:"(حاشا): يعرفه شجارو الأندلس وعامتها بصعتر الحمير"[5]،ونجده هنا قد ذكر أن معنى المصطلح (صعتر الحمير) مشترك بين الشجارين والعامة، كما قد يقتصر على نسبة المصطلح إلى

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص18.
[2] ـ نفسه، ج1، ص77.
[3] ـ نفسه، ج1، ص91.
[4] ـ نفسه، ج1، ص90.
[5] ـ نفسه، ج2، ص249.

الشجارين دون العامة مثل:"(خبز القرود): بعض شجاري الأندلس يوقع هذا الاسم على النوع الكثير من اللوف"[1]، وهذا الفصل هو فصل بين لغة أهل الاختصاص (الشجارون) ولغة العوام، مع إمكانية اتفاقهما كما رأينا في المثال السابق.

2 ـ 3 ـ عامية أهل مصر: عاش ابن البيطار في مصر وألف كتابه (الجامع) وهو مقيم بها، فلا غرو أن يكون للعامية المصرية حضور في كتابه، ومن الأمثلة على ذلك:"(أناغورس): هي الشجرة المعروفة بخروب الخنزير وثمرها يعرف بالديار المصرية عند عامتها بحب الكلى..."[2]ونذكر مثالا آخر على العامية المصرية وهو:"(بامية): أبو العباس النباتي: هي بمصر ثمرة سوداء صلبة على قدر الكرسنة..."[3].

2 ـ 4 ـ عامية أهل اليمن: من المصطلحات العامية التي ذكرها ابن البيطار في معجمه مصطلحات العامية اليمنية ومن أمثلتها نذكر:"(بتج): هو شراب مسكر يتخذ باليمن يصنع من التمر الرطب..."[4]"(صن وبر): اسم يمني لصمغة يؤتى بها من اليمن"[5].

2 ـ 5 ـ عامية أهل أفريقية (تونس): كانت تونس قديما يطلق عليها اسم أفريقية، ولم يخل معجم ابن البيطار من عامية أهل تونس حيث أورد الكثير من الألفاظ الأفريقية فيه، ومن الأمثلة على ذلك:"(بخور مريم): يعرف بأفريقية بخبز المشايخ وأهل الشام يعرفونه بالركف"[6]، ومن الأمثلة التي نسب فيها المصطلح إلى عامة أهل إفريقية نذكر:"(خبز المشايخ): عامة أهل

---

[1] ـ الجامع، ج2، ص316.
[2] ـ نفسه، ج1، ص79.
[3] ـ نفسه، ج1، ص111,
[4] ـ نفسه، ج1، ص115.
[5] ـ نفسه، ج2، ص120.
[6] ـ نفسه، ج1، ص115.

إفريقية يسمون بهذا الاسم الدواء المسمى بخور مريم"[1]. كما قد ينسب اللفظ إلى إفريقية (تونس) بشكل عام وإلى أهل إحدى مدنها كما في تعريف ابن البيطار للمصطلح:"(قلجونة):...اسم لنبتة معروفة بأفريقية وبعض عربان القيروان"[2].

2 ـ 6 ـ عامية أهل المغرب:ذكر ابن البيطار الكثير من الألفاظ بعامية أهل المغرب ومثال ذلك:"(كاكنج): تعرفه عامة المغرب بحب اللهو"[3]. ونرى في هذا المثال كيف أنه يلجأ إلى العامية للتعريف بالمصطلح الأعجمي إذا لم يجد في الفصحى ما يقابله لتعريفه. وقد يذكر عامية أهل المغرب مقترنة بعامية أهل الأندلس، مثلا:"(كهيلا): عامة الأندلس والمغرب يسمون بهذا الاسم لسان الثور"[4]، ونذكر مثالا آخر:"(عيون البقر): أهل المغرب والأندلس يسمون بهذا الاسم الإجاص"[5]، كما قد يذكر ما يسميه عامة المغرب بالأندلس مثل:"(حسك): تسميه عامة المغرب بالأندلس حمص الأمير"[6]، وهذا المثال يدل على تقارب العاميتين واشتراكهما في بعض الألفاظ بسبب قرب المسافة بين البلدين وهجرة الكثير من أهل المغرب إلى الأندلس للعيش والتجارة أو التعلم، ولا نجد ابن البيطار يجمع بين عاميتين تشتركان في تسمية الشيء الواحد إلا عامية أهل المغرب وأهل الأندلس.

---

[1] ـ الجامع، ج2، ص316.

[2] ـ نفسه، ج4، 282.

[3] ـ نفسه، ج4، ص299..

[4] ـ نفسه، ج1، ص310.

[5] ـ نفسه، ج2، ص196.

[6] ـ نفسه، ج2، ص270.

3 ـ منهج ابن البيطار في معالجة المصطلحات الدوائية:

تنوعت أصول المصطلحات الدوائية التي أوردها ابن البيطار في كتابه الجامع، حيث نجد منها العربي الفصيح والأعجمي والعامي والمولَّد، ولمعالجة هذه المادة المصطلحية لابد من اتباع منهج محدد، وكان لابن البيطار منهجه وأسلوبه الخاص في معالجة تلك المصطلحات، فنجده مثلا فيما يخص ثنائية الفصيح والأعجمي أو الفصيح والعامي أو العامي والأعجمي له طرق متعددة في التعامل مع المصطلحات وفق هذه الثنائيات، فمرة نجده يجعل مداخل معجمه من المصطلحات الفصيحة، وتارة أخرى يقدم المصطلح الأعجمي على الفصيح، وأحيانا يبدأ بالعامي، ولا نرى أن هذا التقديم والتأخير نابع من عنايته بنوع على حساب نوع آخر أو تفضيل للأعجمي على الفصيح أو العكس، وما نراه أن المنهج الذي اتبعه هو ما أملاه عليه تخصصه كعالم في الأدوية ومعجمي ركز اهتمامه على الخصائص الدوائية والعلاجية للمصطلحات ومفاهيمها أكثر من اهتمامه بخصائصها اللغوية وفصاحتها أو عُجمتها. لهذا لا نجد لابن البيطار أي إشارة لهذه الإشكالية سواء في مقدمة كتابه أو في متنه، ولا نكاد نقع على اهتمام لابن البيطار بما هو عربي فصيح أو أعجمي أو عامي إلا ما يدل على أصل المصطلح، فنجده يشير إلى بعض المصطلحات أنها يونانية أو فارسية أو بربرية أو سريانية... مثال ذلك: "(حنما): هو النعنع بالسريانية من الحاوي ويأتي ذكره في النون"[1]، ومثال آخر:"(ذافنوبداس): ومعناه باليونانية الشبيه بالغار يعني في ورقة خاصة..."[2]، فهنا يشير ابن البيطار إلى أصل المصطلح الأول أنه سرياني والثاني يوناني. إلا أن هذا المنهج (الإشارة إلى أصل المصطلح) لم يلتزم به مع كل المصطلحات الأعجمية، فنجد الكثير من المصطلحات ذات الصول

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج2، ص255.

[2] ـ نفسه، ج2، ص413.

الأعجمية إلا أنه لا يذكر أصلها ولا إلى أي اللغات تنتمي، والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها:"(آبنوس): ديسقوريدوس في الأولى: أقوى ما يكون من الحبشي وهو أسود وليس فيه طبقات..."[1]، ومثال آخر:"(آثوا): ديسقوريدوس في الثانية: هو صنف من الطير إذا ملح كبده وجفف وشرب منه فلجيارين بالشراب المسمى أدرومالي أخرج المشيمة"[2]. فالملاحظ من خلال المثالين أن ابن البيطار لم يشر إلى أصل المصطلحين بل اكتفى بشرحهما فقط، وهذا دليل على عدم التزامه بمنهج رد المصطلحات إلى أصولها خاصة إذا كانت أعجمية (يونانية أو فارسية)، وقد يكون هذا راجعا إلى شيوع استعمالها بين أهل الاختصاص ومعرفتهم بأصولها فلم يحتج إلى تبيان أصلها، كما أنها مصطلحات كانت مبثوثة في كتب الطب والصيدلة من بداية عصر الترجمة،فهي متداولة بين أهل الاختصاص ومعروفة عندهم، إضافة إلى ذكره للعالم ديقوريدوس وهو يوناني.

إلا أن عدم التزام ابن البيطار بذكر جميع أصول المصطلحات الأعجمية التي عالجها لا نجده إذا تعلق الأمر بالمصطلحات التي تنتمي إلى عاميات البلدان العربية، إذ لا نكاد نجده يهمل ذكر أصل المصطلح إذا كان من إحدى العاميات العربية، ويعود هذا ـفي نظرنا ـ إلى أن تلك المصطلحات في أغلبها هي من مشاهداته العينية، أو مما نقله حكاية عن أهل تلك الأقطار، فهي مصطلحات كانت تنقل مشافهة وهو أول من دونها في معجمه، أو استعمل المصطلح العامي لشرح معنى مصطلح آخر فلا بد من ذكر أصله حتى يتميز عن الأول، ومن

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص11.

[2] ـ نفسه، ج1، ص18.

أمثلة ذلك:"(إجاص): أهل الأندلس يسمون الإجاص عيون البقر"[1]، (فعيون البقر) هو تسمية عامية لأهل الأندلس للإجاص.

3 ـ 1 ـ معالجة ابن البيطار للألفاظ المقترضة في كتاب الجامع:

للمتكلم أو مستعمل اللغة طريقتان للتعامل مع الألفاظ المقترضة، وقد ذكرنا آنفا قول ستيفن أولمن الذي جعل المتكلم بين خيارين، الخيار الأول سماه (اقتراض الكلمة) ويعني به نقل الكلمة كما هي دون تغيير، والخيار الثاني هو (الاقتراض بطريق الترجمة) أي ترجمة الكلمة إلى لغته الأم[2]، وإذا عدنا إلى مدونة الجامع نجد ابن البيطار قد اعتمد الطريقتين في التعامل مع الألفاظ المقترضة من لغات أعجمية، فمرة ينقل المصطلح كما هو في الأصل دون تغيير، وأحيانا يلجأ إلى ترجمته، أو نقله كما هو ثم ترجمته حين يعرفه، والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها:"(أزاذدرخت): معناه بالفارسية حر السحر)"[3]، وفي هذا المثال جمع بين الطريقتين، حيث ذكر المصطلح الفارسي (أزادرخت) على أصله دون تغيير ثم قام بترجمته إلى العربية في الشرح، ومثال آخر ذكر فيه مصطلحا بربريا هو:"(آاطريلال): اسم بربري وتأويله رِجْل الطائر..."[4]، وهنا كذلك لجأ ابن البيطار لطريقة النقل الحرفي للكلمة ثم ترجمتها إلى العربية، وقد أشار في الغرض السادس الذي ألف من أجله كتابه إلى السبب الذي دعاه إلى اللجوء إلى ترجمة المصطلحات قال:"الغرض السادس: في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات، مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه منفعة مذكورة، أو تجربة مشهورة"[5] . ونجده

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص18.

[2] ـ ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص167.

[3] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص31.

[4] ـ نفسه، ج1، ص6.

[5] ـ الجامع، ج1، ص4.

في موضع آخر يقترض الكلمة كما هي لكن دون ترجمتها ومثال ذلك:"(آاكثار): اسم بربري أيضا..."[1].

يرى ابن مراد أن ابن البيطار لا يهتم بإدماج المصطلح المقترض من لغة أعجمية وإدخاله في نظام اللغة العربية (أي النظام الصرفي والصوتي)، ويرى أنه يبقي عليها في غالب الأحيان على عُجمتها، وفي نظره أن سبب ذلك هو معرفته بتلك المصطلحات بحكم أنه من أهل الاختصاص وهي مصطلحات ليست غريبة عن اختصاصه[2]. إلا أننا نرى أن ابن مراد قد جانب الصواب في حكمه هذا، خاصة وأن ظاهرة إدماج الألفاظ الأعجمية صوتيا وصرفيا في العربية ليست بالجديدة، بل هي طريقة قديمة لجأ إليها العرب القدامى خاصة على المستوى الصوتي فقد اضطر العرب إلى تبديل الأصوات الأعجمية التي ليس لها وجود في العربية بما يقابلها من صوت عربي، وقد اعتبر اللغويون العرب هذا الإبدال لازما حتى "لا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم"[3]، أما ما يتعلق بمدونتنا فقد وقفنا على مصطلحات أعجمية كثيرة أُخضعت للنظام الصوتي والصرفي العربيين وأُدمجت فيهما، ونذكر منها:

3 ـ 1 ـ 1 ـ دمج المصطلحات على المستوى الصوتي: كان من عادة العرب تغيير أصوات الألفاظ الأعجمية المعربة ليتناسب نطقها مع النطق العربي ويتطابق مع الحروف العربية، فيعمدون إلى إيجاد مقابلات للحروف الأعجمية التي لا توجد في العربية تجنبا لإدخال الحروف الأعجمية على العربية، ولم يكن هذا فحسب بل أحيانا كان اللغويون العرب يستبدلون حروفا عربية بأخرى أعجمية حتى ولو كانت موجودة في النظام الصوتي العربي مع أنه موجود في

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص7.

[2] ـ ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، 288.

[3] ـ الجواليقي، المعرّب، ص7-8.

العربية مراعاة للذوق العربي ولكي يتناسب مع البنية الصوتية للكلمة العربية، ومن ذلك إبدال الصوت الذي بين الباء والفاء (v) في الألفاظ الفارسية المعربة فاء أو باء وأحيانا تبدل واوا مثل: (فالوذج)، (فرند)، أو (برند)، وهذه الحالة مثال على إبدال الأصوات غير الموجودة في العربية،ومن أمثلة استبدال الأصوات رغم وجودها في النظام الصوتي العربي ما ذكره ابن البيطار في (الجامع): مصطلح :"(باطس)(Bàtos): هو العليق باليونانية"[1]، فالمصطلح هنا جاء بحرف (الطاء) وهو حرف عربي لا وجود له في الحروف اليونانية ويقابله باليونانية حرف (t)، وهذا مثال على دمج المصطلح اليوناني في النظام الصوتي العربي، ورغم أن الصوت (t) له ما يقابله في العربية (ت) إلا أن البنية الصوتية لكلمة (باطس) حتّمت تغيير الصوت من المهموس إلى المجهور لأن ما قبله (باء) وهو حرف مجهور، ومن الأيسر أن يأتي بعده حرف مجهور لا مهموس، فالبنية الصوتية العربية تنتظم بشكل متناغم تراعى فيه مخارج الحروف وصفاتها.

ونذكر مثالا آخر لمصطلح يوناني أدمج صوتيا في النظام الصوتي العربي وهو:"(بربينة) (Verbena): الغافقي: ويقال بربانة ويسمى بالبربرية أبو يموت وهو نبات له ورق طويل..."[2]. الملاحظ أن المصطلح تم دمجه على المستوى الصوتي بإبدال الصوت (V) وهو غير موجود في العربية بالصوت (ب) حتى لا يدخل على العربية صوت ليس منها، كما أضيفت تاء التأنيث في آخر الكلمة (ـة) حتى يتوافق نطقها مع الذوق العربي ومن أجل إعطاء الكلمة شكلا عربيا.

---

[1] ـ الجامع، ج1، 114.

[2] ـ الجامع، ج1، ص121.

كما قد يُبدل الحرف (k) في اليونانية بالحرف (ق) العربي، رغم أن الحرف اليوناني له ما يقابله في العربية وهو حرف (ك)، كما في المصطلح اليوناني الذي جاء في كتاب الجامع:"(برطانيقي): ديسقوريدس في أول الرابعة: هو من النبات المستأنف كونه في كل سنة له ورق..."[1] ويكتب بالحرف اللاتيني (Bretanniké)، فنرى أن الحرف (k) أُبدل بالحرف العربي (ق) وهذا مراعاة للذوق العربي والبنية الصوتية للفظة العربية.

ومن الحروف التي يطرأ عليها الإبدال إذا أدخلت إلى العربية حرف (P) وهو عبارة عن باء مهموسة غير موجودة في النظام الصوتي العربي فتبدل بحف (الباء)، ومن أمثلة ذلك عند ابن البيطار المصطلح اللاتيني:"(بَستيناج) (Pastinaca): هي الحسكة والأخلة بالديار المصرية جميعها..."[2]، والملاحظ أن التغيير قد طرأ على أول المصطلح بإبدال الحرف (p) بالحرف العربي (ب)،كما غُيّر آخر المصطلح وهو الصوت المركب (ca) بالحرف (ج)، أما التغيير الأول فواضح أن السبب هو عدم وجود الصوت اللاتيني في العربية، والتغيير الثاني سببه دمج المصطلح حتى يتناسب مع البنية الصوتية العربية.

وقد يكون الباء بديلا للحرف اللاتيني (V)، كما جاء عند ابن البيطار في تعريفه للمصطلح اللاتيني:"(بشكراني) (Viscarago): بعجمية الأندلس هو الأشخيص بالعربية..."[3]، والبيّن من المثال أن التغيير لم يطرأ على الحرف (V) فقط بل على بنية الكلمة كلها حتى صارت تتوافق

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص120.

[2] ـ نفسه، ج1، ص130.

[3] ـ نفسه، ج1، ص132.

مع النطق العربي، ومن طرق إدماج المصطلحات المقترضة على المستوى الصوتي إبدال الحرف (k) بالحرف (ق) كما جاء في المصطلح:"(خاماقيس)[1] (khamaikissos).

يتبين لنا من الأمثلة السابقة أن معجم ابن البيطار قد احتوى على الكثير من المصطلحات الأعجمية التي أُدمجت في النظام الصوتي العربي حتى صارت وكأنها عربية خالصة، ولم تترك على عُجمتها ولم يُدخل على العربية ما ليس من حروفها.

غير أن هذا الالتزام لم يكن تاما، بل شابهُ بعض الألفاظ التي لم يلتزم فيها ابن البيطاربالنظام الصوتي العربي ولا قواعد نطق العربية المعهود، مما أدى ذلك إلى مخالفته لقواعد الإملاء العربية، فالعربية مثلا غذا التقت همزتان في بداية الكلمة تخفف الثانية وتقلب مدا مثل (آمن) أصلها (أَأْمن)،إلا أن ابن البيطار جاء بأكثر من مصطلح يبدأ بألفين دون تخفيف للهمزة الثانية نذكر منها:"(آالُسن): اسم يوناني، أوله ألفان"[2] "(آاطريلال): إسم بربري..." "(آاكثار): اسم بربري"[3]، والواضح من هذه الألفاظ الأعجمية أنها تخالف قواعد الإملاء والخصائص الصوتية العربية. كما جاء بمصطلح فيه ألفان وهمزة متابعة وهو ما يتعارض مع نسق الكلمة العربية الفصحى وإيقاعها الصوتي، ومثال ذلك:"(زاآء): باليونانية وهو الإشقالية بعجمية الأندلس"[4].

---

[1] ـ الجامع، ج2، ص308.

[2] ـ نفسه، ج1، ص5.

[3] ـ نفسه، ج1، ص5.

[4] ـ نفسه، ج2، ص454.

ومن المحظورات التي وقع فيها ابن البيطار مخالفة بعض القواعد الإملائية العربية، ونذكر مثالا على ذلك:"(طُوْلُهْ): يقال بضم الطاء المهملة وإسكان الواو وضم اللام وتسكين الهاء"[1]، فكلمة (طُوْلُهْ) كما أوردها ابن البيطار هي مخالفة للقواعد الصوتية العربية، ففي العربية إذا كان الحرف الذي قبل الواو مضموما والواو ساكنة تقلب الواو حرف مد للثقل فيصبح نطقها (طُولُه) بمد حركة الطاء.

كما قام ابن البيطار بمخالفة قاعدة معروفة في العربية وهي (أن العربية لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك)، يقول ابن جني:"وأما أول الكلمة إذا لم يخلط بما قبله فمتحرك لا محالة"[2]، وقد أشار السيوطي في (المزهر)، في معرض حديثه عن سنن العرب في كلامها إلى هذه المسألة ويؤكد على أن الحرف الذي يُبدأ به لا يكون إلا متحركا[3]، وهذا ما خالفه ابن البيطار حين نقله لبعض المصطلحات الأعجمية، حيث أورد بعض المصطلحات أول حرف منها ساكن مثل:"(سْطاخيس): هو النبات المعروف ببلاد الأندلس بالفأرة"[4]، وبهذا يكون قد خالف القاعدة، وكان يمكنه تجنب هذه الإشكالية بالطريقة التي اتبعها العرب حتى لا يبدأوا بساكن وهي إضافة همزة الوصل قبل الحرف الساكن في بداية الكلمة تخفيفا لنطقها أو تحريك الحرف الأول منها. ومازالت هذه الإشكالية مطروحة إلى الآن، وقد درس مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه المسألة وتوصل إلى قرار مفاده أنه إذا كان اللفظ العَلَم الأعجمي يبدأ بساكن فإنه ينطق بألف وصل تشكل بحركة تناسب ما بعدها، والطريقة الثانية هي تحريك الحرف الساكن الأول مراعاة للذوق

---

[1] ـ الجامع، ج3، ص142.

[2] ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت محمد علي النجار، ج2، دار الهدى، بيروت لبنان، د ت ، ج2، ص331.

[3] ـ ينظر: السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ت أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، دار الكتب العربية، مصر، ط1، د ت.

[4] ـ نفسه، ج3، ص19.

العربي[1]، والبدء بالساكن في العربية يخالف الذوق العربي كما أشار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولا بد من مراعاة هذه المسألة حين تعريب المصطلحات الأعجمية ودمجها في النظام الصوتي العربي.

وقد خالف ابن البيطار مرة أخرى إحدى القواعد العربية وهي عدم الجمع بين ساكنين إلا في حالات ذكرها ابن جني في الخصائص وهي: أن يكون الحرف الأول الساكن حرف علة ثم يليه حرف صحيح مدغم مثل: (شابّة) و (دابّة)، وفي هذه الحالة الإدغام أنبى اللسان عنالمثلين نبوة واحدة. أما الحالة الأخرى فهي اجتماع الساكنين في آخر الكلمة، نحو (بكْرْ) و(حُجْرْ)[2].

لكن مع أن ابن البيطار قد خالف قواعد الإملاء العربية وخرج أحيانا عن الإيقاع الصوتي العربي، إلا أن الإشكالات التي تطرحها هذه الظاهرة وهي الاختلاف بين طبيعة اللغة العربية واللغات الأعجمية لازالت مطروحة إلى يومنا هذا ولا يزال الجدل قائما حولها، فقد لا يتيسر دائما تحريك أحد الساكنين أو حذف أحد الحروف كحرف المد مثلا، وهذا قد يؤثر على بنية الكلمة وتجد نفسك أمام كلمة أغرب مما كانت عليه[3]. كما أن جهد ابن البيطار كان فرديا فلا يمكن تحميله فوق ما يطيق، ونحن نرى اليوم مؤسسات قائمة بذاتها وهيئات تضم خلقا كثيرا من الدارسين والعلماء ومع ذلك نجد الكثير من النقائص في جهودهم وأبحاثهم.

3 ـ 1 ـ 2 ـ دمج المصطلحات على المستوى الصرفي:كما لاحظنا في دمج المصطلحات من الناحية الصوتية أن هذه العملية تُحتم على ناقل المصطلح إجراء تغييرات على بنية اللفظ

---

[1] ـ ينظر: مجمع اللغة العربية، مجموعة القرارات العلمية، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984، ص209.

[2] ـ ينظر: ابن جني،الخصائص، ص496.

[3] ـ ينظر: وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص475.

المقترض حتى يتناسب مع البنية الصوتية للفظ العربي ومع الذوق العربي كذلك، فإن المبدأ نفسه يُطَبق على مستوى البنية الصرفية للمصطلح المقترض من لغة أعجمية حتى توافق الوزن العربي، غير أن الكثير من المصطلحات تدخل العربية دون تغيير في بنيتها بسبب موافقتها في أصلها للوزن العربي، أو قد تترك على حالها حتى ولم توافقه.يقول الجواليقي في هذه المسألة: "وربما غيروا (أي العرب) البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب...ومما ألحقوه بأبنيتهم: (درهم) ألحقوه بـ (هجرع) ومما تركوه على حاله ولم يغيروه (خراسان) و (خرّم)[1]، وما يقال عن الفارسية ينطبق على باقي المقترضات من لغات أخرى، وإنما خص الجواليقي الفارسية لأن العرب في الجاهلية كانت أغلب ألفاظهم المقترضة من الفارسية لأسباب جغرافية وحضارية، كما أشار الجواليقي إلى أن من عادة العرب إلحاق الألفاظ الأعجمية بالأوزان العربيةحتى صارت الكثير من المُعربات في حكم العربية وذكرت في القرآن الكريم، كما أن من سنن العرب في كلامها ترك المُعربات على حالها دون تغيير، خاصة إذا كان اللفظ يوافق الذوق العربي .

ومن أمثلة دمج المصطلح في النظام الصرفي العربي نذكر المصطلح الفارسي:"(بختج): معناه بالفارسية مطبوخ والجمع بخاتج"[2]، إذ قام ابن البيطار في هذا المثال باشتقاق صيغة الجمع (بخاتج) على وزن (فعالل) من المصطلح العجمي المفرد (بختج)، وهو ما يثبت أن هناك الكثير من المصطلحات الأعجمية أُدمجت في النظام الصرفي العربي، وصارت كأنها عربية يُشتق منها صيغ كثيرة. ومعروف أن العربية هي أكثر اللغات اعتمادا على الاشتقاق في بناء ألفاظها، وأهم وسيلة من وسائل تنمية اللغة هي الاشتقاق، ويمكن القول إنه إذا صيغت من اللفظ المقترض مشتقات فإن اللفظ يصير في مثل اللفظ العربي أصلا. وقد أشار ابن جني إلى

---

[1] ـ الجواليقي، المعرب، ص8-7.

[2] ـ نفسه، ج1، ص117.

هذه المسألة نقلا عن شيخه أبي علي الفارسي فيما ذكره:" ويؤكد هذا عندك أن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها"[1]، ومن الأمثلة على هذا عند العرب قديما ما ساقه السيوطي في المزهر حول اشتقاق العرب من اللفظ العجمي (لجام) وهو معرب (لغام)، فجمعوه: لُجُم على الوزن العربي فُعُل كقولك كُتُب، كما أجروا عليه صيغة التصغير فقالوا: لُجيْم، وصاغوا منه فعل الأمر أَلجِمه واسم المفعول مُلجَم واسم الفاعل مُلجِم[2]، فالاشتقاق من اللفظ الأعجمي ظاهرة قديمة عند العرب لكنها لم تكن بالغزارة التي صارت عليها بعد الإسلام وخاصة مع ظهور الحاجة إلى الترجمة في بداية الحضارة العربية الإسلامية.

غير أنه ليس هناك إجماع من قبل علماء العربية قديما أو حديثا حول مسألة ضرورة دمج المصطلح المقترض في النظام الصرفي العربي، فهناك من يرى أن العرب لم تكن تُلحق كل المُعربات ببناء كلامها، والدليل على ذلك أن الكثير من الكلمات يخالف وزنها الأوزان العربية مثل كلمة (إبراهي) و(إسماعيل)، وبناء على هذا فلا ضير أن نجد ألفاظا أعجمية أوردها ابن البيطار ولم يلحقها بأوزان العربية،ومن الأمثلة على ذلك:"(سطرونيون)"[3] و"(سطراطيوطس)"[4] و "(سقونيوبداس)"[5]، وأمثلة كثيرة تركها ابن البيطار على بنيتها الأعجمية لصعوبة إخضاعها للوزن العربي أو استحالة ذلك دون إحداث تغيير كبير في بنيتها الأصلية، أما السبب الآخر فهو عدم اهتمامه بدمج تلك المصطلحات صرفيا لعدم حاجته للاشتقاق منها، ومع ذلك عمل

---

[1] ـ ابن جني، الخصائص، ت محمد علي النجار، بيروت، لبنان، ط2، 1952ج 1، ص358.

[2] ـ السيوطي، المزهر، ص288.

[3] ـ الجامع، ج4، ص17.

[4] ـ نفسه، ج4، ص19.

[5] ـ نفسه، ج4، ص27.

على تغيير ما لم تقبله العرب وشددت على إنكاره وهو البدء بالساكن والتقاء الساكنيين إلا في بعض الحالات القليلة التي ذكرناها من قبل.

إلا أن هناك رأيا يرى وجوب إخضاع الكلمات الأعجمية للأوزان العربية وصيغها ومن أشهرهم من قال به الحريري صاحب (درة الغواص)، غير أن الكثير من العلماء ممن جاء بعده خطأوه في كثير مما ذهب إليه[1].

3 ـ 1 ـ 3 ـمنهج ابن البيطار في شرح المصطلحات الأعجمية:

يعتمد ابن البيطار عدة طرق في التعامل مع المصطلحات الأعجمية، فمرة يذكر المصطلح الأعجمي ثم يأتي بمرادفه العربي ولا يقوم بشرح المصطلح الأعجمي بل يحيل إلى موضع شرح فيه المرادف العربي وأحيانا يقوم بالعكس، ومرة يقوم بضبط المصطلحات الأعجمية صوتيا وإملائيا ومرات أخرى يهمل ذلك فلا يقوم بضبط تشكيلها، كما قد يعمد في مرات عديدة إلى ترجمة المصطلح ترجمة حرفية بالعربية ثم تعريفه، كما قد يبدأ في تعريف المصطلح مباشرة دون ترجمته أو ذكر ما يقابله بالعربية، وإذا لم يجد للمصطلح الأعجمي ما يقابله من مصطلح فصيح قد يذكر مقابله العامي أو حتى الأعجمي من لغة أخرى، ومن الأمثلة على ذلك:

أ ـ ترجمة المصطلح ترجمة حرفية: ومن الأمثلة على ذلك:"(بولوفاناطن): تأويله كثير الركب وكثير العقد أيضا باليونانية" ومثال آخر: "(بولوقيتمن): تأويله باليونانية كبير الرؤوس"[2]، وأحيانا يلجأ ابن البيطار إلى ترجمة أكثر دقة خاصة إذا كان المصطلح مركبا مثل:"(بطراساليون):

---

[1] ـ ينظر: محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة، دار الفكر العربي القاهرة، 1990م، ص72-73.

[2] ـ الجامع، ج1، ص170.

معناه الكرفس الصخري لأن بطرا باليونانية صخر وساليون كرفس"[1]، وهذا دليل على تمكنه من اللغة اليونانية ومعرفته الجيدة بها.

ب ـ ذكر المصطلح الأعجمي ثم ذكر مرادفه العربي ولا يقوم بشرح المصطلح الأعجمي بل يحيل إلى موضع شرح فيه المرادف العربي: ومن الأمثلة على ذلك:"(بوغلصن): باليونانية، معناه لسان الثور بالعربية، وسنذكره في حرف اللام"[2]، "(تاسممت): هو الحماض بالبربرية، وسيأتي ذكر الحماض في حرف الحاء"[3]، وطريقة ابن البيطار هذه تنبئنا بأمرين اثنين، أما أولهما فهو اهتمامه بالمصطلح الأعجمي وعنايته به وعدم إهماله حتى مع وجود المقابل العربي، أما الفائدة الثانية فهي حرص ابن البيطار على الاستفاضة في الشرح للمصطلح العربي دون الأعجمي في مواضع كثيرة مما يدل على حرص ابن البيطار على العناية بالمصطلح العربي وإعطائه حقه من الاهتمام والشرح.

ج ـ ضبط المصطلحات الأعجمية صوتيا وإملائيا، وإهمال ذلك في كثير من المرات: يمكننا القول إن ابن البيطار لا يقوم بضبط نطق المصطلحات إلا في حالات قليلة جدا، وإذا قارناها بالمرات التي لا يقوم بضبط نطقها فإننا نجد البون شاسعا، ومن الأمثلة القليلة التي ضبط فيها طريقة نطق المصطلحات الأعجمية نذكر:"(تن): بضم التاء المنقوطة باثنتين من فوقها بعدها نون"[4]، ولم يكتف هنا بضبط الشكل بل قام بذكر طريقة كتابة الحرف الأول (التاء)، كما ذكر الحرف الثاني (النون)، ونذكر مثالا آخر:"(جلبهنك): أوله جيم مفتوحة بعدها لام ساكنة ثم باء

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص139.

[2] ـ نفسه، ج1، ص173.

[3] ـ نفسه، ج1، ص184.

[4] ـ نفسه، ج1، ص194.

بواحدة مفتوحة بعدها...وهاء ساكنة بعدها نون مفتوحة ثم كاف"[1]. أما عن المصطلحات التي لم يقم بضبط نطقها فهي كثيرة وقد تكون جل المصطلحات التي احتواها معجم الجامع.

د ـ ذكر مرادف أعجمي أو عامي للمصطلح الأعجمي: ومن أمثلة ذلك:"(جليف): الغافقي: هو البزر المعروف بعجمية الأندلس بالشست ويسمونه الزوان أيضا"[2]، في هذا المثال جاء بالمرادف الأعجمي للمصطلح وهو الشست أو الزوان وهما مصطلحان ينتميان لعجمية الأندلس (اللاتينية)، وقد يأتي ابن البيطار بمرادف عامي لمصطلح أعجمي مثال ذلك:"(كاكنج): تعرفه عامة المغرب بحب اللهو"[3]. ومن هذا ندرك أن ابن البيطار يجعل همّه الأول وغايته الكبرى تعريف المصطلح وتقريب معناه إلى القارئ دون الالتفات إلى أصل الكلمة فصيحة كانت أم لا.

هـ ـ تعريف المصطلح دون ذكر مرادف له: يقوم ابن البيطار في أحيان كثيرة بالدخول مباشرة في تعريف المصطلح وذكر خصائصه الدوائية، وصفاته من يُبس ولين، أو حرارة أو برودة والعلل التي يصلح لها وكيفية تحضيره، دون أن يذكر أي مرادف عربي أو عامي أو أعجمي للمصطلح مثل:"(كركي): جالينوس في أغذيته: لحمه عضلي ليفي ولذلك يؤكل بعد أن يذبح بأيام"[4]، وقد يكون سبب عدم ذكر مرادف المصطلح الأعجمي أو ترجمته إلى العربية هو عدم وجود مرادف له في العربية ولم يكن للعرب سابق معرفة بذلك الصنف من النبات أو الطعام، أو أن يكون الدواء شائعا بين أهل الصنعة فلم ير ابن البيطار حاجة لذكر مرادفه أو معناه.

---

[1] ـ الجامع، ج1، ص226.

[2] ـ نفسه، ج1، ص228.

[3] ـ نفسه، ج4، ص299.

[4] ـ ابن البيطار، الجامع، ج4، ص326.

3 ـ 2 ـ مكانة المصطلح الفصيح مقارنة بالأعجمي والعامي في كتاب الجامع:

قبل أن نتطرق إلى هذه الفكرة لابد من الوقوف على حقيقة أن ابن البيطار هو عالم في الطب والأدوية، وليس عالما في اللغة ولا مشتغلا بها، لهذا نجده يصب جلّ اهتمامه على إيضاح الخصائص الدوائية والعلاجية للمادة العلمية التي عالجها، ومهملا إلى حد ما الجانب اللغوي لتلك المصطلحات إلا ما تعلق بمفاهيمها، أو بضبط نطق بعضها، أو تصحيح الأغلاط التي وقع فيها الأطباء والعلماء قبله.

كما أن ابن البيطار لم يذكر في مقدمة كتابه منهجه في التعامل مع المصطلحات في مستواها الفصيح أو الأعجمي، حتى إنه لم يشر أبدا إلى وصف (فصيح) لا في مقدمة كتابه ولا في متنه،ولا نجده إلا في مرات قليلة يصف المصطلح بأنه (عربي)، ومما وقفنا عليه من خلال تتبعنا لطريقة معالجته للمصطلحات الفصيحة أو الأعجمية والعامية هو عدم تتبعه لمنهج واضح وثابت، فتارة يقدم الفصيح على الأعجمي والعامي، وأحيانا يقدم الأعجمي على الفصيح (مع وجود اللفظ الفصيح)، وأحيانا يبدأ بالعامي دون الفصيح، والظاهر أن ابن البيطار ــ بحكم تخصصه الطبي ــ كان همه الأول شرح المصطلحات وتتبع الخصائص الدوائية للأعشاب، وكانت هذه أولوية بالنسبة إليه على حساب تتبع ما هو فصيح من الألفاظ أو ما هو غير ذلك، ومن الأسباب كذلك ــ في نظرنا ــ نشأته في بلاد الأندلس وبعده عن الجزيرة العربية وبالتالي تحرره من القيود التي وضعها علماء العربية الأوائل وتشددهم في ما يتعلق بالعربية الفصيحة ورفضهم لكل ماهو دخيل عليها.

ومن الأمثلة الدالة على اضطراب منهج ابن البيطار في تعامله مع المصطلحات الفصيحة والأعجمية أو العامية نذكر:"(باطس): هو العليق باليونانية وباطس آذاء هو باليونانية عليق

آذاء وآذاء جبل بالشام ينسب هذا الدواء إليه، وسيأتي ذكر العليق بأنواعه في حرف العين"[1]، نجد في هذا المثال ابن البيطار يجعل اللفظ الأعجمي (باطس) مدخلا ويقدمه على المصطلح العربي (العليق)، ويجعل المصطلح العربي الفصيح مرادفا للمصطلح الأعجمي، ومع أنه استفاض في شرح المصطلح العربي دون المصطلح الأعجمي وهذا واضح من خلال إحالة القارئ إلى حرف العين للاستزادة من الشرح، إلا أن هذا لا ينفي اهتمام ابن البيطار باللفظ الأعجمي حتى إنه جعله مدخلافي معجمه، في حين كان يمكن أن يذكره عرضا في شرحه للمصطلح الفصيح (عليق). ونذكر مثالا آخر عن هذا:"(باباري): هو الفلفل الأسود باليونانية، وسيأتي ذكره في الفاء"[2]، وهناك أمثلة كثيرة عن هذه الظاهرة منها:"(بطراسليون): معناه الكرفس..." و "(بطباط): هو عصا الراعي" ، "(بطارس): هو السرخس باليونانية)، "(بطراخيون): تأويل هذا الاسم باليونانية الضفدعي"[3]، وهذه الأمثلة كلها تدل على اهتمام ابن البيطار بالمصطلح الأعجمي وتقديمه على الفصيح في كثير من الحالات.

---

[1] ـ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص114.

[2] ـ نفسه، ج1، ص114.

[3] ـ نفسه، ج1، ص139.

خاتمة:

في ختام بحثنا هذا يمكننا القول إن الدرس المعجمي العربي من بين أفضل ما أبدعت العقول العربية، وكانت المعاجم بأنواعها المختلفة محط اهتمام كبير من علماء العربية، غير أن هذا الاهتمام كان متباينا ولم يكن على نسق واحد بين المعاجم اللغوية العامة والمعاجم المختصة، حيث نجد المعاجم اللغوية العامة قد أخذت جل اهتمام الدارسين وذاع صيتها واتسع انتشارها، في حين نجد أن المعاجم المختصة ــ وخاصة العلمية منها ــ لم تحظ بذلك القدر من الاهتمام والانتشار.

ولم يكن هذا التباين راجعا إلى قلة التأليف في المعاجم المختصة، بل هي كثيرة وغزيرة، وإنما يعود سبب انتشار المعاجم اللغوية العامة وشهرتها مقارنة بالمعاجم المختصة إلى طبيعة الفئة المستهدفة من المعجمين، وبالتالي طبيعة المادة التي يعالجها كل نوع من المعاجم، فالمعجم اللغوي العام يتخذ من اللغة العربية مادة له، وهي اللغة التي يتحدث بها عموم الناطقين بالعربية، والمأخوذة من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي الجاهلي والإسلامي والمروي من كلام العرب الفصحاء مشافهة، في حين أن المعاجم المختصة موجهة لفئة ضيقة من الناس، وتؤلف في مجال محدد، أما مصادرها فأغلبها أعجمية (يونانية وفارسية...)، وتضم مصطلحات دخيلة ومولدة ومعربة وحتى ألفاظا عامية، وهذا ما يجعلها محل جدل عند أهل اللغة وقلة اهتمام من عامة الناس وطلاب العربية لعدم تلبيتها لحاجاتهم التعليمية.

ورغم هذا الاختلاف بين المعاجم اللغوية العامة والمعاجم المختصة من حيث طبيعة المصادر والمستويات اللغوية التي تعالجها، إلا أنها تشترك في كونها معاجم تخضع لطريقة

واحدة في التأليف، وأهم ما يرتكز عليه المعجم عموما هو قضيتا الجمع والوضع، ولا يمكن لصانع المعجم أن يتجاوز هاتين الركيزتين الأساسيتين.

ومن خلال بحثنا هذا فقد توصلنا إلى نتائج نراها مهمة يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- للمعجم العربي المختص إرهاصات سبقت ظهوره واكتماله وتتمثل في كتب غريب القرآن والحديث والرسائل اللغوية، وهي عبارة عن رسائل أُلفت في مواضيع محددة كالنبات والحيوان والحشرات...
- اتُخذت الرسائل اللغوية مدونات للمعاجم المختصة التي ظهرت بعدها.
- تأخر ظهور المعاجم المختصة مقارنة بالمعاجم اللغوية العامة، وهذا راجع إلى المادة التي يدرسها كل صنف من المعاجم، فالمعاجم اللغوية كانت نتيجة لما عرف بمرحلة جمع اللغة وحفظها من الضياع بعد تفشي ظاهرة اللحن، أما المعاجم العلمية المختصة والمعاجم الفنية فظهورها ارتبط بالنهضة العلمية والثقافية التي عرفتها الدولة الإسلامية في بداية القرن الثالث الهجري.
- مصادر المعاجم اللغوية العامة هي مصادر تحتكم إلى شرط الفصاحة والذي حدد زمانا ومكانا، في حين إن المعاجم المختصة مصادرها في أغلبها أعجمية، وبالتالي أبرز ما يميز مدونة المعاجم العلمية المختصة غلبة المولد والدخيل والمعرب عليها.
- يمكن القول إن المعاجم العلمية المختصة هي ثورة على المبادئ والقيود التي وضعها العلماء العرب لقبول اللغة الفصيحة والسماح بتدوينها وبالتالي الاستشهاد بها والقياس عليها، حيث تحرر واضعو المعاجم المختصة من تلك القيود وتوسعوا في استعمال الألفاظ المولدة والدخيلة والمعربة وحتى العامية، ولم يكن صنيعهم هذا ترفا فكريا أو فعلا طائشا بل

كان ضرورة حتمية أملتها عليهم الحاجة إلى تدوين علوم لم يعرفها العرب من قبل ولم يجدوا لها ما يقابلها من الألفاظ العربية الفصيحة.

- أما فيما يخص مسألة الوضع فقد تميزت المعاجم المختصة في الطب والصيدلة بترتيب مادتها على حسب حروف المعجم أي ترتيبا ألفبائيا، كما تميزت بوضع الكلمة على حالها دون الرجوع إلى أصلها أو نزع الزوائد عنها، وكانت الغاية من هذا الترتيب توخي السهولة ورفع الحرج عن الطلاب. وهذه الطريقة تختلف عن طريقة الترتيب في المعاجم العامة التي تلجأ إلى اعتماد الجذور واتخذت مداخل للمعجم، كما أن الترتيب في الغالب يتنوع بين الترتيب على حسب الموضوعات، والترتيب الصوتي وهو منهج الخليل، والترتيب الألف بائي وهو أنواع... وغيرها من أنواع الترتيب.
- أما في مسألة الشرح فنجد المعاجم اللغوية تعتمد على النصوص والشواهد اللغوية من قرآنية وحديثية وغيرهما في شرح مداخلها، في حين إن المعاجم العلمية المختصة تعتمد التعريف المنطقي وهو التعريف الذي يبين خصائص المصطلح العلمي واستعمالاته المختلفة، كما تبتعد المعاجم المختصة عن ذكر الشواهد والإطناب في الشرح.
- يمكن القول إن الفضل في ازدهار الصناعة المعجمية المختصة في الطب والصيدلة يعود إلى علماء الأندلس وبلاد المغرب.
- تعد قرطبة حاضرة بلاد الأندلس مهد الحضارة العربية الإسلامية، ومنارة العلم وكان لها إسهام كبير في تطوير العلوم المختلفة ومن بينها صناعة المعاجم المختصة في الطب والصيدلة.
- كان للرحلات العلمية بين المشرق العربي والأندلس مرورا بالشمال الإفريقي دور هام في تزويد المعجم المختص في الطب والصيدلة بالمادة المصطلحية، ومن إتاحة الفرصة

للمعاينة والمشاهدة للأنواع المختلفة من النباتات التي تنبت في مختلف الأقطار العربية والإسلامية. كما كانت الرحلة فرصة لأخذ أسماء الأعشاب والدواء مشافهة من أفواه أطباء وعشابي البلدان المختلفة.

- كان للمشرق العربي دور كبير في ازدهار الدراسات اللغوية في الأندلس بشكل عام، وتأثير على بداية ظهور المعاجم بشكل خاص، ولأبي علي القالي الأثر الكبير في تطور الدرس اللغوي العربي في الأندلس وغيره من العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس.
- أبدع ابن البيطار في صناعة معجمه من جوانب عدة، فمن حيث المصادر يعد من أغنى المعاجم مصادر وتنوعا، حيث جمع بين المصادر الأعجمية والعربية والعامية، كما اعتمد على مصدري المشاهدة العينية للنبات والسماع عن أهل العلم ومن لهم دراية بالأعشاب والأدوية من سكان البلدان التي زارها، مما أثرى معجمه ورفع قيمته العلمية.
- كان ابن البيطار جريئا في معالجته للمصطلح الأعجمي، ونفس الوصف ينطبق على المصطلح العامي، حيث أعطى لهما مكانة عالية في معجمه، ولم يلتفت إلى الآراء التي تحض على الالتزام بما هو فصيح من الألفاظ.
- يمكن القول إن المكانة الكبيرة التي خصها ابن البيطار للمصطلح الأعجمي لم تكن اختيارا بقدر ما كانت ضرورة حتمتها ظروف نشأة علم الصيدلة كامتداد للثقافة الأعجمية.
- أكثر الألفاظ الأعجمية ورودا في معجم الجامع هي الفارسية تليها اليونانية فالبربرية والسريانية.
- وجد ابن البيطار في العاميات التي كانت سائدة في عصره مخرجا للتعريف بالكثير من المصطلحات الأعجمية التي بقيت عصية على الترجمة لقرون قبله.

- اختار ابن البيطار أيسر الطرق لترتيب مادة معجمه وهي الألفبائية، كما يمكن وصف طريقة تعريفه للمصطلحات بأنها من أكمل الطرق وأوفاها للمعنى.
- لم يكن لابن البيطار موقف واضح في مسألة المصطلحات الأعجمية والفصيحة أو العامية حيث تعامل مع المصطلح الدوائي من منظور علمي بحت.
- اعتمد ابن البيطار على التعريف المنطقي بكل أركانه بشكل أساسي، كما اعتمد على التعريف اللغوي والتعريف بالمرادف والتعريف بالإحالة بصورة أقل من التعريف المنطقي.
- اعتمد ابن البيطار على الاقتراض من اللغات الأعجمية فيما يخص المصطلحات التي ضمنها معجمه.

وفي الأخير نقدم جملة من التوصيات التي نراها مهمة للنهوض بالصناعة المعجمية العربية المختصة وهي:

- لابد من الاهتمام بالتراث المعجمي المختص بشكل عام والمختص في الطب والصيدلة على وجه الخصوص، فتراثنا ما يزال حبيس الخزائن ولم يرفع الستار إلا عن النزر القليل جدا.
- على الدارسين المحدثين دراسة المعاجم العلمية العربية القديمة والاهتداء بمناهجها في التأليف من أجل تطوير الصناعة المعجمية العربية.
- لابد من الارتقاء بالمعاجم العربية المختصة الحديثة من كونها معاجم ثنائية اللغة، لا تؤدي إلا دور ترجمة المصطلحات، إلى ما كان عليه أسلافنا من صناعة معجمية حقيقية ومعجم ابن البيطار دليل على مستوى الصناعة المعجمية التي كانت سائدة.

- على الدارسين المحدثين إعادة النظر في طريقة تعاملهم مع المصطلحات الأجنبية وفق منهج القدماء، دون إفراط ولا تفريط.
- تعد المعاجم العربية القديمة منجما مصطلحيا ضخما لابد من الرجوع إليه لحل المشكلة الاصطلاحية التي نتخبط فيها الآن.
- وأخيرا فإن هذا هو جهد المقل أرجو من الله تعالى أن ينفع به لغة القرآن الكريم والمشتغلين بها وأن يتقبله عملا خالصا لوجهه الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ✓ **إبراهيم بن مراد**، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1993
- ✓ **إبراهيم بن مراد**، دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1987
- ✓ **إبراهيم بن مراد**، كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري بين المعجم العام والمعجم المختص، مجلة المعجمية، تونس، عدد 14-15، 1999.
- ✓ **إبراهيم بن مراد**، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997.
- ✓ **ابن أبي أصيبعة**موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت امرؤ القيس بن الطحان، المطبعة الوهبية، ط1، 1882.
- ✓ **ابن الأبار** أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، ت عبد السلام الهراس، ج4، دار الفكر، بيروت، 1995م.
- ✓ **ابن الأثير**مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت الطناحي، دار الحلبي، ط1.
- ✓ **ابن الأجدابي**أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الطرابلسي، كفاية المتحفظ في اللغة، ت السائحي علي حسين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

- ✓ **ابن البيطار**رضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة 1، 1992
- ✓ **ابن البيطار**، تفسير كتاب ديسقوريدوس في الأدوية المفردة، ت إبراهيم بن مراد، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، 1990.
- ✓ **ابن الجزار** أبو جعفر أحمد، الاعتماد في الأدوية المفردة، ت إبراهيم بن مراد، دار ابن حزم، 2019
- ✓ **ابن الحشاء** أبو جعفر أحمد بن محمد، مفيد العلوم ومبيد الهموم، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، ت جورج س كولان و.هـ.ب.ج.رنو، ط1، الرباط، ،1941م.
- ✓ **ابن الفرضي** عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ت إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، 1989،
- ✓ **ابن القوطية** أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، كتاب الأفعال، ت علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ✓ **ابنالنديم** أبو الفرج محمد بن إسحاق، كتاب الفهرست، ت أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009.
- ✓ **ابن بشكوال** أبو القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، مج1، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010
- ✓ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت لبنان، د ت.
- ✓ **ابن جني** أبو الفتح عثمان،الخصائص، دار الكتاب العربي، طبعة دار الكتب المصرية، 1957م، .

- ✓ **ابن حارث** بن أسد القيرواني، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.
- ✓ **ابن حزم** القرطبي أبو محمد علي بن أحمد، رسائل ابن حزم، ت إحسان عباس، بيروت.
- ✓ **ابن خلدون** عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1983، .
- ✓ **ابن خير**، فهرست ابن خير، ت فرنكشة قدارة زيدين وخليان زيادة، بيروت، بغداد، القاهرة، طبعة جديدة، 1963
- ✓ **ابن رشد** محمد بن أحمد بن محمد، الكليات في الطب، ت محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م.
- ✓ **ابن سماك العالمي**، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، ت محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد.
- ✓ **ابن سيده** أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- ✓ **ابن سينا** أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، ت محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- ✓ **ابن قتيبة** أبو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ✓ **ابن منظور**أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب.
- ✓ **أبو بكر** الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ت أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م.
- ✓ **أبو عبيدالقاسم بن سلام**، الغريب المصنف، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1989.

- ✓ **أبو عبيد**القاسم بن سلام، كتاب الأموال، صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفق، المكتبة التجارية الكبرى، 2000.
- ✓ **أبو عبيدة معمر بن المثنى**، كتاب الخيل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، 1358هـ.
- ✓ **أحمد الشرقاوي إقبال**، معجم المعاجم تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1993م.
- ✓ **أحمد أمين**، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ط5، 1956م.
- ✓ **أحمد أمين**، ظهر الإسلام، شركة نوابغ الفكر،القاهرة، 2009، ط1.
- ✓ أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012
- ✓ **أحمد فرج الربيعي**، مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس هجري، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001
- ✓ **آدم ميتز**، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده، دار الكتاب العربي، لبنان، ط5، دت.
- ✓ **الأزهري** أبي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت عبد العظيم محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.
- ✓ **الأصمعي** أبو سعيد عبد الملك بن قريب، كتاب النبات، تحقيق نوري حمودي القيسي، مطبعة الحكومة بغداد، 1970م.
- ✓ **الأنطاكي داود بن عمر**، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب،
- ✓ **إيميلي سافاج سميث**، موسوعة الدراسات العربية، مركز الدراسات العربية، بيروت، لبنان، 1997م.

- ✓ **الباتلي أحمد بن عبد الله**، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية، الرياض، ط1، 1992.
- ✓ **البخاري** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، شرح الكرماني، كتاب المغازي، المطبعة البهية المصرية.
- ✓ **البغدادي** عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1996.
- ✓ **البغدادي**، هدية العارفين، وكالة المعارف، اسطنبول، 1955.
- ✓ **البير حبيب مطلق**، الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1967.
- ✓ **الثعالبي**أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، ت يحيى مراد، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2009م.
- ✓ **الجرجاني** علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، ت محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- ✓ **جواد حسني سماعنة**، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات وتأثيرها في المعاجم المصطلحية اللاحقة، مجلة اللسان العرب، عدد 53، 2002.
- ✓ **جواد حسني سماعنة**، المعجم العلمي المختص، المنهج والمصطلح، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط.
- ✓ **الجواليقي**، المعرب من الكلام العجمي على حروف المعجم، ت خليل عمران المنصف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998م.

- ✓ **الجوهري** أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح،ت محمد محمد تامر، دارالحديث، القاهرة، 2009.
- ✓ **حاج هني** محمد، تقنيات التعريف في المعاجم المدرسية قراءة وصفية نقدية في المنجز، مجلة المرتقي، المدرسة العليا للأساتذة مستغانم،مج1، عدد1، 2018.
- ✓ **حاجي خليفة**، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة لندن.
- ✓ **الحباس محمد**، بحوث في فقه اللغة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2023م.
- ✓ **حسين بن محمد نصار**، كتب غريب القرآن الكريم.
- ✓ **حسين نصار**، المعجم العربي نشأته وتطوره، القاهرة، ط2، 1968.
- ✓ **حسين نصار**، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط4، 1988م.
- ✓ **حسين نصار**، دراسات لغوية، دار الرائد العربي،بيروت، لبنان، 1981م.
- ✓ **حسين نصار**، معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت.
- ✓ **حلام الجيلالي**، المعجم العربي القديم مقاربة في الأصناف والمناهج، ندوة المعجم العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.
- ✓ **الحمزاوي** محمد رشاد، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1986.
- ✓ **حلمي خليل**، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2003.
- ✓ **الحميري** محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
- ✓ **الخطابي**أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البُسي، غريب الحديث، ت عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1982م.

- ✓ **الخطيب البغدادي** أبو بكر أحمد بن علي،تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ✓ **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1980م، ج1.
- ✓ **الخوارزمي** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ، مفتاح العلوم، القاهرة،ط2، 1981.
- ✓ **الخوارزمي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرة، مصر، ط1، 1342هـ.
- ✓ **ديزيره سقال**، نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995.
- ✓ **الدينوري** أبي حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، ت برنهارد لقين، دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن، .1974
- ✓ **الرازي**أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، ت محمد محمد إسماعيل، مجلد1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000.
- ✓ **الرافعي** مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1954م.
- ✓ **الزبيدي** أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، ت أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م.
- ✓ **الزهراوي**، أبو القاسم خلف بن عباس، التصريف لمن عجز عن التأليف، ت عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- ✓ **الزهراوي**، كتاب الزهراوي في الطب لعلم الجراحين، ت محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

- ✓ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق، كمال بشر، دار غريب، القاهرة ط12، د . ت
- ✓ **سليمي** محجوب، أبو الخير الاشبيلي وكتابه " عمدة الطبيب في معرفة النبات" مجلة التراث العربي، عدد 85، 2002.
- ✓ **السيد الشرقاوي**، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 2001.
- ✓ **السيوطي** جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، دار الكتب العربية، مصر، ط1، د ت
- ✓ **السيوطي** جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، 1996.
- ✓ **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، 1998.
- ✓ **شهاب الدين المقري التلمساني**أحمد بن محمد، نفح الطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968
- ✓ **الشهابي** مصطفى، المصطلحات العلمية، جامعة الدول العربية، 1955.
- ✓ **شوقي ضيف**، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
- ✓ **صاعد الأندلسي** أبو القاسم بن صاعد، طبقات الأمم، ت لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الكاثوليكية، 1912
- ✓ **الطبري** أبو الحسن علي بن سهل، فردوس الحكمة في الطب، ت محمد زبير الصديقي، مطبع آفتاب، برلين، 1928م.
- ✓ **صلاح محمد الخيمي**، فهر مخطوطات الكتب الظاهرية الطب والصيدلة، مج2، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1981م

- ✓ **عبد الحميد حسين السامرائي**، تاريخ الفكر الأندلسي في العلوم العقلية، دار دجلة، الأردن، 2016.
- ✓ **عبد الحميد محمد أبو سكين**، المعاجم العربية، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1981م.
- ✓ **عبد الرحمـن الحاج صالح**، منطق العرب في علوم اللسان، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ط1، 2010.
- ✓ **عبد العلي الودغيري**، المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعرفة للنشر والتوزيع الرباط، ط1، 1984.
- ✓ **عبد العلي الودغيري**، المعجم فيالمغرب العربي إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، مطبعة النجاح الجديدة المغرب، ط1، 2008
- ✓ **عبد الملك المراكشي**، الدليل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، ت إحسان عباس، ط1، بيروت، 1965
- ✓ **عبده الراجحي**، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، 1972
- ✓ **علي القاسمي**، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، 1411هـ.
- ✓ **علي عبد الفتاح**، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، دار ابن حزم، بيروت، ط1،2010
- ✓ **الغساني**يوسف بن عمر بن علي بن رسول، المعتمد في الأدوية المفردة، ت محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000
- ✓ **فوزي يوسف الهابط**، المعاجم العربية موضوعات وألفاظ، الولاء للطبع والتوزيع، ط1، 1996م

- ✓ **فيشر**، معجم اللغة العربية المعجم اللغوي التاريخي، القسم1، نشره مجمع اللغة العربية القاهرة، ط1، 1967م
- ✓ **قاسم بن ثابت**، دلائل في غريب الحديث، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، 1976
- ✓ **كارل بروكلمان**، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة،ط2
- ✓ **الكفوي**أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، ت عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998
- ✓ **لسان الدين ابن الخطيب**، الإحاطة في أخبار غرناطة، ت يوسف علي الطويل، بيروت، 2003
- ✓ **مالك ياسين**، التعريف بكتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 35، عدد 4، 2013
- ✓ **مجمع اللغة العربية**، مجموعة القرارات العلمية، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984
- ✓ **محمد حسين آل ياسين**، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث هجري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط1، 1980
- ✓ **محمد العربي الخطابي**، فهارس الخزانة الحسينية، الرباط، 1983
- ✓ **محمد الفجر**، مراحل ظهور المعجم العربي المختص، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد 85 الجزء2
- ✓ **محمد بشير العامري ونهاد عباس زينل**، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، دار غيداء للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2016

- ✓ **محمد بشير حسن راضي العامري**، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م
- ✓ **محمد حسن عبد العزيز**، التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة، دار الفكر العربي القاهرة، 1990م
- ✓ **محمد خالد الفجر**، إرهاصات المعجم المختص المعاصر في التراث العربي، الألوكة، ت ط، د ت
- ✓ **محمد خالد الفجر**، أسس المعجم المصطلحي التراثي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2017
- ✓ **محمد رشاد الحمزاوي**، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986م
- ✓ **محمد سليمان ياقوت**، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث
- ✓ **محمد غلاب**، الفلسفة الإسلامية في المغرب، القاهرة، 1940،
- ✓ **محمد كاظم الطريحي**، ابن سينا، دار نينوى، سوريا، 2009
- ✓ **محمد كامل حسين**، القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية، مجمع القاهرة، ج11
- ✓ **محمود سليمان ياقوت**، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002
- ✓ **المعافري** أبو عثمان سعيد بن محمد، كتاب الأفعال، ت حسين محمد محمد شرف و محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1970

- ✓ **المقري أحمد بن محمد**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988
- ✓ **المقريأحمد بن محمد**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م
- ✓ **مكي أبو محمد بن أبي طالب القيسي**، العمدة في غريب القرآن، شرح وتعليق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981
- ✓ **موسى بن ميمون**، أبو عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي، شرح أسماء العقار، ت ماكس مايرهوف، طبعة المعهد الفرنسي، القاهرة
- ✓ **النصراوي الحبيب**، التعريف القاموسي بنيته الشكلية وعلاقاته الدلالية، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، 2009م
- ✓ **هيثم زينهم مرسي**، معاجم الغريبين في العربية، دار النشر للجامعات القاهرة، ط1، 2017
- ✓ **الودغيري عبد العلي**، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989م
- ✓ **الودغيري**، المعجم العربي في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديد المغرب، ط1، 2008.
- ✓ وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008
- ✓ **يسري عبد الغني عبد الله**، معجم المعاجم العربية، دار الجيل بيروت، ط1، 1991

- ✓ **يوسف أحمد المطوع**، نحاة القيروان، حوليات كلية الآداب، كلية الآداب جامعة الكويت، الرسالة 25، الحولية6، 1985م
- ✓ **يوسف عيد**، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992

ملاحق:

صور كتاب الجامع (مخطوط)

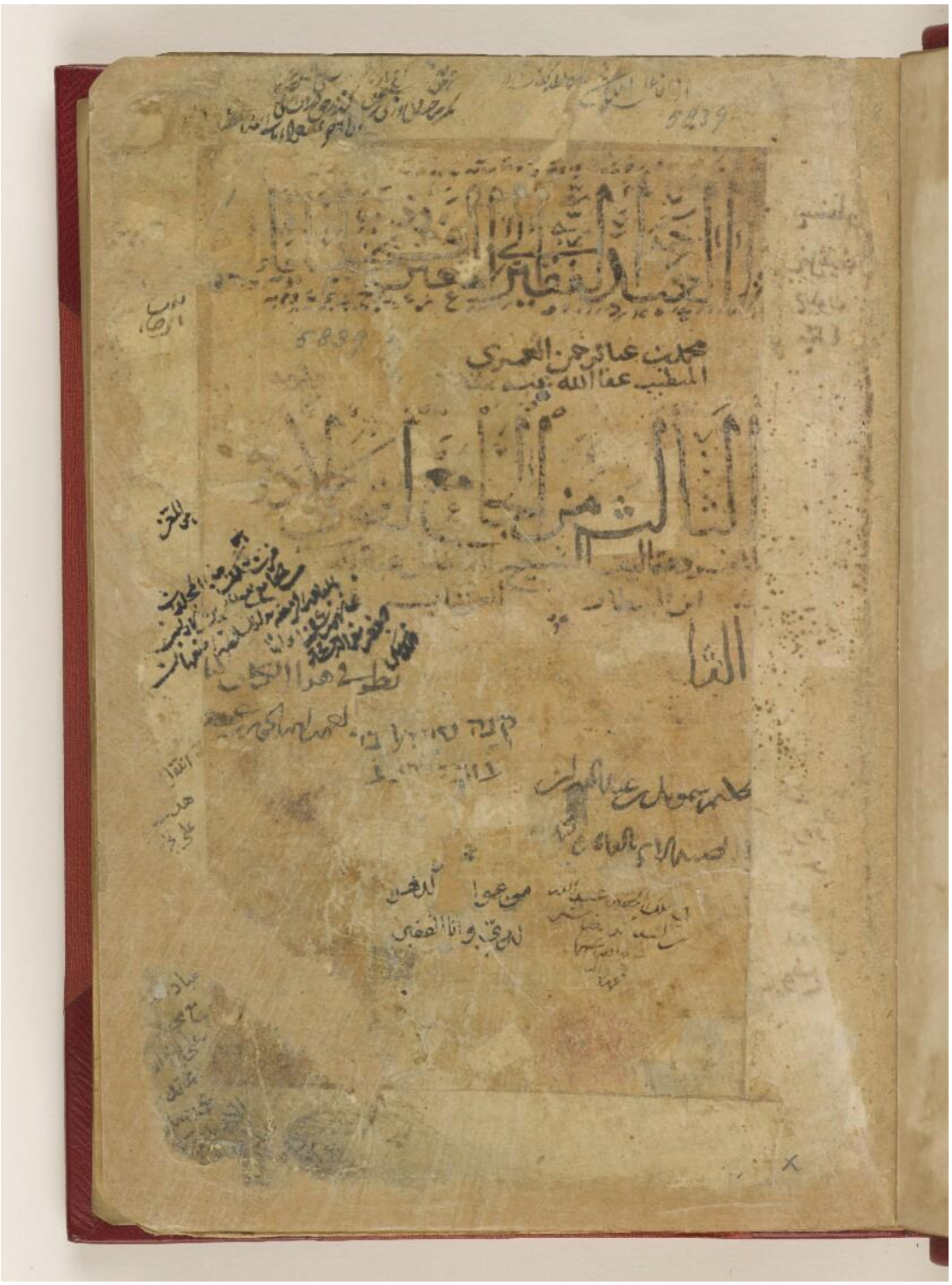

الذي فيه من اجزا الحجاره تنبو عنه الاسنان ولا ينطحن كالذي
لا يغش واما ما كان مغشوشا بالقلقنت فانه يتعرف بالمحنه بالنار
بان يوخذ منه شي ويذر على صفيحه نحاس او على خزفه فيوخذ احدهما فيوضع
على رماد حار او على جمر فان ما كان فيه من القلقنت يتغير ويحمر ايضا واما
الصنف الثاني من الزنجار وهو الذي يتعارفه اليونانيون فيما بينهم
باسقلوقس ومعناه الدوده فانه صنفان احدهما يخرج من معدن والاخر
يعمل وعمله على هذه الصفه توضع صلايه من نحاس قبرسي لها يد منها
يصب على الصلايه نصف قوطولي من خل ابيض ثقيف ويدلك على الصلايه
بيدها الى ان يثخن الخل ثم يلقى عليه من الشب الذي يتعارفه اليونانيون
فيما بينهم باسطرنخولي ومعناه المستدير اربع درخميات ومن الملح
الذراني الصافي اللون او من البحري الشديد البياض الصلب ومن
النطرون مثله ويسحق بالخل في الشمس في حميه الصيف حتى يصير لونه
شبيها بلون الزنجار وقوامه شبيها بقوام الوسخ ويثخن ويحبب حبا
ثم يقطع في خلقه الدود التي بالبلاد التي يقال لها رودس ويرفع وهذا
الصنف من الزنجار ان عمل على هذه الصفه التي انا مخبرك بها كان
لونه حسنا وفعله قويا وصفته ان يوخذ من الخل جزو ومن البول المعتق
جزان ومن ساير الادويه على حسب ما ذكرنا من المقادير ومن الناس
من يغش هذا الزنجار بان ياخذ زنجارا مجرودا ويخلط به صمغا ويطبخه
في شحم الدود وهذا الصنف ينبغي ان يزهد فيه لانه ردي وقد
يعمل الصاغه صنفا من الزنجار من بول صبي يسحق على صلايه متخذه
من نحاس قبرسي بيد منها وبهذا الصنف من الزنجار يلزقون الذهب
جالينوس في التاسعه للزنجار كيفيه حاده يجدها فيه من
يذوقه وهو يحلل وينقص اللحم وياكله ويدبيه وليس يفعل ذلك باللحم

بسم الله الرحمن الرحيم وهو ثقتي وبه

زنجار

زنجار دسقوريدوس ما كان منه تسميه اليونان قسنطر
[illegible] ومعناه المجرود فانه يعمل على هذه الصفه بصب خل ثقيل
في اجانيه او في اناء اخر يشبه بالخابيه ويغطا الانا بغطاء من نحاس ويكون
الغطا مقببا فانه اصلح فان لم يتهيا ان يكون مقببا فليكن مبسوطا
وليكن مجليا ولا يكون فيه ثقب ولا يخرج منه البخار اصلا وفي كل عشره
ايام يوخذ الغطا فيجرد عن باطنه ما اجتمع عليه من الزنجار او يوخذ [illegible]
واحده من نحاس او عده سبايك فتجبى في تخير من عصير عنب جديد او
فيما قد حمض ويفعل ايضا كما يفعل بالصفيحه والغطا وبعد حين يقلبه وقد
يستقيم ايضا ان يعمل الزنجار من سحاله النحاس ويستقيم ان يعمل من الصفايح
المتخذه من النحاس التي يصير فيها بينهما الذهب ويطرق اذا رش على
السحاله والصفايح خلا ثلاث مرات او اربع في كل اليوم وحركت في كل يوم
مره ولم يزل يفعل ذلك بها الى ان يستحيل فيصير زنجارا وقد يقال
انه يتولد زنجار في المعادن او الغيران التي بقبرس وان بعضه يظهر
على بعض الحجاره التي فيها زنجار وبعضه يقطر في الصيف من مغاره
عند طلوع نجم الكلب والذي يظهر منه على الحجاره يسير وهو جيد
بالغ والذي يقطر منه في المغاره هو كثير حسن اللون ردي خبيث
للاستعمال لكثره ما [illegible] من الحجاره وقد يغش باشيا كثيره وخاصه
بالحجاره التي يقال لها [illegible] واما الرخام فان تبل الابهام الايسر
ويصير عليه شي من [illegible] زنجار ويدلك الابهام الايمن فانه يغوص
حينيذ للزنجار ان يذوب واما ما كان من القيشور والرخام فانه يبقى
غير ذايب ويبيض مع كثره الدلك بالما وقد يتعرف ايضا بان يوضع
بين الاسنان وذلك ان [illegible] الذي

فهرس أعلام الأندلس:

أسماء أطباء الأندلس وعلمائها	الصفحة
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن روبيل الأنصاري بن السراج	129
ابن حسان أحمد الغرناطي	129
الشفرة أبو الوليد القربلياني	130
الشقوري أبو عبد الله محمد بن علي	130
ابن حزم القرطبي	123
أبو موسى الهواري	124
جودي النحوي	124
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي	125
ابن الخطيب	130
لابن حزم	131
ابن الطفيل	131
أبو عبيد البكري	131
مسلمة بن أحمد المجريطي	131
عباس بن فرناس التكرني	131
ابن بشرون	132
ابن الذهبي أبو محمد عبد الله بن محمد	132
أبو عبيدة مسلم بن أحمد الملقب بصاحب القبلة	132
المجريطي	132
أبو عبيدة مسلم بن أحمد	132
يحيى بن يحيى المشهور بابن السمينة	135
عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحرّاني	136
محمد بن عبدون الجبلي	136
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت	136
أبو جعفر أحمد بن حسان	136

ابن القوطية أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم عيسى بن مزاحم	142-143-144—145
لسعيد بن محمد المعافري	143
القالي	145
أبو حفص عمر بن محمد القضاعي البلنسي	146
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشني	146
قاسم بن ثابت السرقسطي	146
ابن الخراط عبد الحق بان عبد الرحمن الإشبيلي	147
ابن عسكر أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر الغساني المالقي	146
البياني القرطبي قاسم بن أصبع بن محمد بن يوسف أبو محمد،	125-129
أبو مروان عبد الملك	128
محمد بن عبدون العذري	128
موسى بن ميمون	129
الغازي بن قيس	124
ابن البيطار	147-153-154-157-158-160-161-168-169-170-171-172إلى آخر البحث
أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي	148-149
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي	150
الوزير أبو بكر محمد بن عبد الملك	150
أبو داود سليمان حسان بن جلجل	153-159-156-155-152--157—151--159---158
أبو الحسن علي بن عبد الله الإشبيلي المعروف بغلام الحرة	154-153-
أبو عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي	159
أبو بكر حامد بن سمجون	160-159-
أبو الوليد مروان بن جناح	159
أبو المطرف عبد الرحمن بن وافد	159
أبو جعفر أحمد الغافقي	160-159
أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي	162-129--161
أبو مروان ابن جربول الأندلسي	161
أبو أحمد بن هارون الترجالي	161

أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد المعروف بابن وافد	164
يوسف أبو يونس بن إسحاق بن بكلارش	165-164
أبو جعفر أحمد بن محمد بن سند	165
أبو الخير الاشبيلي	166
ابن الرومية النباتي	168

فهرس كتب الطب والصيدلة ومعاجمها:

كتب الطب والصيدلة ومعاجمها	الصفحة
كتاب الأدوية المفردة لأبي يعقوب إسحاق بن عمران	96
كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار	99
كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لابن الحشاء	100
الحاوي في الطب للرازي	105
كتاب القانون في الطب لابن سينا	194-108
المعتمد في الأدوية المفردة للغساني	111
فردوس الحكمة في الطب للطبري	115
الاقتصاد في صلاح الأجساد	127
الترياق السبعيني	127
الكليات	128
تلخيص لكتاب جالينوس	128
مقال الترياق	128
شرح أسماء العقاقير	128
كتاب تدبير الصحة	128
كتاب عمل طب لمن حب	
المنظومة في الطب	129
رسالة في الطاعون	129

الوصول لحفظ الصحة في الفصول	129
المعتمد في الأدوية المفردة	129
كتاب الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام	129
الرجز في عمل الترياق الفاروقي	129
رسالة تكوين الجنين	129
أرجوزة في العلاج من صنعة الطب	129
كتاب الحشائش	129
كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء	135
رسالة في الإسطرلاب	135
الأدوية المفردة	136 - 146
الجامع لمفردات الأغذية والأدوية	-136-146 - -170-160-152 181-178-172
المقالات الخمس	-153-152-146 -176-157-154 180
الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام	170-146
فردوس الحكمة	147
المنصوري	147
التصريف لمن عجز عن التأليف	147
الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والألية	149
مختصر كتاب حيلة البُرء لجالينوس	149
الكتاب المستعيني	150
تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس	150
تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقريديس	151
مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه	151
رسالة التبيّن فيما غلط فيه المتطببين	151
مقالة في أدوية الترياق	151
طبقات الأطباء والحكماء	151
الاعتماد في الأدوية المفردة	152
الأدوية المفردة	152

المقالات الست	180-152
شرح أدوية دياسقوريدوس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها	153
تفسير كتاب دياسقوريدوس	153 -156 - 160-171 - 172- 185
شرح كتاب دياسقوريدوس	154 -170
شرح أسماء العقار	158
الإبانة والإعلام بما في المناهج من الخلل والأوهام	160
المغني	160
مناهج البيان فيما يستعمله الإنسان	160-170-171
الكليات في الطب	160—161- 162
شرح أرجوزة ابن سينا في الطب	161
مقالة في الترياق	161
كتاب شرح أرجوزة ابن سينا في الطب.	161
مقالة في الترياق.	161
تلخيص كتاب الحميات لجالينوس.	161
مقالة في أصناف الميزاج.	161
تلخيص كتاب الحميات لجالينوس.	161
مقالة في أصناف الميزاج.	161
مسألة في نوائب الحمى.	161
تلخيص الثلاث من كتاب قوى الطبيعة لجالينوس.	161
كتاب في اختصار العلل والأعراض لجالينوس.	161
كتاب التشريح	162
كتاب الصحة	162

كتاب المرض	162
كتاب العلامات	162
كتاب الأدوية والأغذية	162
كتاب حفظ الصحة	162
كتاب شفاء الأمراض	162
كتاب الأدوية المفردة	163
المستعيني في الأدوية المفردة	164
رسالة التبيين والترتيب	164
الأدوية المفردة	165
عمدة الطبيب في معرفة النبات	165
الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام	170-171
المغني في الأدوية المفردة	177
الكناش في الطب	188
علل النساء	188
الفصول	188
تقدمة المعرفة	188
أفيذيميا	188
الأمراض الحادة	188
الجبر والخلع	188
طبيعة الإنسان	188
الأخلاط	188
القروح وجراحات الرأس	188
كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس	193
فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب	193

فهرس الموضوعات

الموضوعالصفحة

مقدمة:..... أ - ط

الفصلالأول: إرهاصات المعجم المختص في التراث العربي..... 01

تمهيد:.....02

المبحث الأول: غريب القرآن.....03

1 ـ الغريب لغة:.....03

2 ـ الغريب اصطلاحا:.....04

3 ـ بداية التأليف في غريب القرآن:.....05

المبحث الثاني: غريب الحديث.....13

المبحث الثالث: الرسائل اللغوية.....19

المبحث الرابع: معاجم الموضوعات.....34

الفصلالثاني:المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص.....49

تمهيد:.....50

المبحث الأول: المعاجم اللغوية العامة والمعاجم المختصة.....51

1 ـ مفهوم المعجم العام والمعجم المختص:.....51

1.1ـ معنى لفظة المعجم:.....51

1ـ 2 ـ المعجم اللغوي العام:.....52

1ـ 3 ـ مراحل ظهور المعجم اللغوي:.....53

1ـ4ـ مدارس المعاجم العامة:.....55

2 ـ المعجم المختص:.....57

2ـ 1 ـ تصنيف المعجم المختص:.....59

3 ـ المعجم المختص والمعجم العام:.....64

3ـ1 ـ مصادر المعاجم العامة والمعاجم المختصة:.....71

3 ـ 2 ـ المستويات اللغوية في المعجمين:.....72

3 ـ 3 ـ الوضع في المعاجم العامة والمتخصصة:.....73

المبحث الثاني: المعجم العلمي المختص.....75

1ـ المعاجم المتخصصة في العلوم المختلفة:.....76

1 ـ 1 ـ المعاجم الفنية أو متعددة الموضوعات:.....79

1 ـ 1 ـ 2 ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي.....79

1 ـ 1 ـ 2 ـ 1ـ منهج مفاتيح العلوم.....82

1 ـ 1 ـ 3 ـ المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي.....88

1 ـ 1 ـ 3 ـ 1 ـ منهج الجواليقي في معجمه: 89

1 ـ 1 ـ 4 ـ معجم التعريفات للجرجاني:.....92

1 ـ 1 ـ 5 ـ الكليات لأبي البقاء الكفوي.....96

1 ـ 1 ـ 5 ـ 1 ـ منهج الكفوي في تأليف معجم الكليات.....97

2ـ المعاجم المختصة في الطب والصيدلةفي المغرب والمشرق العربيين:.....95

2 ـ 1 ـ المعجم المختص في الطب والصيدلة في المغرب العربي:.....99

2 ـ 1 ـ 1 ـ كتاب الأدوية المفردة لأبي يعقوب إسحاق بن عمران:.....100

2 ـ 1 ـ 2 ـ كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار:.....103

2 ـ 1 ـ 3 ـ كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لابن الحشاء:.....104

2 ـ 2 ـ المعجم المختص في الطب والصيدلة في المشرق العربي:.....108

2 ـ 2 ـ 1 ـ الحاوي في الطب للرازي:.....108

2 ـ 2 ـ 2 ـ كتاب القانون في الطب لابن سينا:.....112

2 ـ 2 ـ 3 ـ المعتمد في الأدوية المفردة للغساني:.....115

2 ـ 2 ـ 4 ـ فردوس الحكمة في الطب للطبري:.....119

الفصل الثالث:جهود علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة.....120

تمهيد:.....121

المبحث الأول: الحياة اللغوية والعلمية في الأندلس.....122

1 ـ الحياة اللغوية في الأندلس:.....122

1 ـ 1 ـ أثر الرحلة بين المشرق والأندلس في الدرس اللغوي الأندلسي:.....126

2 ـ الرحلات العلمية للأطباء والصيادلة الأندلسيين إلى المشرق:.....130

المبحث الثاني: ظهور المعجم المختص في الأندلس.....137

1 ـ بداية التأليف المعجمي في الأندلس:.....137

2 ـ التأليف في المعجم المختص:.....139

2 ـ 1 ـ معاجم الأبنية:.....140

2 ـ 1 ـ 1 ـ معاجم الأفعال.....140

2 ـ 1 ـ 2 ـ معاجم الأسماء:.....143

2 ـ 1 ـ 3 ـ معاجم الغريبين:.....144

المبحث الثالث: المعجم المختص في الطب والصيدلة في الأندلس.....145

1 ـ الحياة العلمية والفكرية في الأندلس:.....147

1 ـ1 ـ إسهامات علماء الأندلس في العلوم الطبية:.....147

1 ـ 2 ـ إسهامات علماء الأندلسفي مجال الأدوية:.....150

1 ـ 3 ـ إسهام علماء الأندلس في علوم مختلفة: 151

2 ـ كتب الطب والصيدلة عند علماء الأندلس:.....153

1 ـ التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي:.....153

2 ـ كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والألية.....154

3 ـ مختصر كتاب حيلة البُرء لجالينوس لبن زهر الأندلسي:.....156

4 ـ تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس لابن جلجل.....150

5 ـ شرح أسماء العقار لابن ميمون:.....165

6 ـ الكليات في الطب لابن رشد:.....166

7 ـ كتاب الأدوية المفردة لأبي المطرف عبد الرحمن بن الوافد: 169

8 ـ الكتاب المستعيني في الأدوية المفردة ليونس بن إسحاق بن بكلارش:.....170

9 ـ الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي: 171

10 ـ عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب لمحمد بن أحمد بن عبدون الاشبيلي:.....171

11 ـ كتاب الأغذية: لأبي مروان عبد الملك بن زهر:.....172

12 ـ كتاب الأغذية وحفظ الصحة لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن خلصون:.....173

13 ـ التبيين في قطع الشك باليقسن لأبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن زهر..174

المبحث الرابع: جهود ابن البيطار المعجمية:.....175

1 ـ كتاب (الإبانة والإعلام بما في المناهج من الخلل والأوهام):.....175

2 ـ عناية ابن البيطار بكتابي ديقوريدوس وجالينوس:.....176

3 ـ كتاب المغني في الأدوية المفردة:.....182

الفصل الرابع: دراسة تطبيقية لمعجم الجامع لابن البيطار.....184

تمهيد:.....185

المبحث الأول: التعريف بابن البيطار وكتابه الجامع.....186

1 ـ التعريف بابن البيطار:.....186

2 ـ كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية):.....187

2 ـ 4 ـ 1 ـ مكانة كتاب الجامع العلمية:.....190

المبحث الثاني: قضيتا الجمع والوضع في كتاب الجامع.....192

1 ـ قضية الجمع في كتاب الجامع:.....192

1 ـ 1 ـ مصادر ابن البيطار في معجم الجامع:.....194

1 ـ 2 ـ المستويات اللغوية في كتاب الجامع:.....207

1 ـ 3 ـ موقف ابن البيطار من اللغات الأعجمية والعاميات:.....218

2 ـ قضية الوضع في معجم الجامع:.....221

2 ـ 1 ـ أنواع الترتيب:.....221

2 ـ 2 ـ الترتيب في الجامع لابن البيطار.....223

2 ـ 3 ـ التعريف في معجم الجامع:.....226

2 ـ 3 ـ 1 ـ التعريف المنطقي أو (الموسوعي):.....228

2 ـ 3 ـ 2 ـ التعريف بالإحالة أو (التعريف المرجعي):.....236

2 ـ 3 ـ 3 ـ التعريف اللغوي:.....239

2 ـ 3 ـ 4 ـ التعريف بالمرادف:.....241

المبحث الثالث: الاقتراض اللغوي ومعالجة المصطلحات الدوائية في معجم الجامع.....243

1 ـ اللغات التي اقترض منها ابن البيطار في كتاب الجمع:.....245

1 ـ 1 ـ الفارسية:.....249

1 ـ 2 ـ اليونانية:.....249

1 ـ 3 ـ اللاتينية:.....249

1 ـ 4 ـ السريانية:.....249

1 ـ 5 ـ البربرية:.....249

1 ـ 6 ـ الهندية:.....250

1 ـ 7 ـ النبطية:.....250

2 ـ المصطلحات العامية والمولدة في كتاب الجامع:.....251

2 ـ 1 ـ عامية أهل الشام:.....251

2 ـ 2 ـ عامية أهل الأندلس:.....251

2 ـ 3 ـ عامية أهل مصر:.....253

2 ـ 4 ـ عامية أهل اليمن:.....253

2 ـ 5 ـ عامية أهل أفريقية (توس):.....253

2 ـ 6 ـ عامية أهل المغرب:.....254

3 ـ منهج ابن البيطار في معالجة المصطلحات الدوائية:.....255

3 ـ 1 ـ معالجة ابن البيطار للألفاظ المقترضة في كتاب الجامع:.....257

3 ـ 1 ـ 1 ـ دمج المصطلحات على المستوى الصوتي:.....258

3 ـ 1 ـ 2 ـ دمج المصطلحات على المستوى الصرفي:.....264

3 ـ 1 ـ 3 ـ منهج ابن البيطار في شرح المصطلحات الأعجمية:.....266

3 ـ 2 ـ مكانة المصطلح الفصيح مقارنة بالأعجمي والعامي في كتاب الجامع:.....269

خاتمة:.....271

قائمة المصادر والمراجع:.....277

ملاحق:.....290

فهرس أعلام الأندلس:.....293

فهرس كتب الطب والصيدلة ومعاجمهما:.....295

فهرس الموضوعات:.....299

ملخص الرسالة:.....312

ملخص:

انطلقنا في بحثنا هذا من إشكالية رئيسية هي: تعد الصناعة المعجمية العربية عملية لغوية حيوية تعمل على تنمية اللغة وحفظها، ويعد المعجم العلمي المختص مدخلا إلى العلوم ورابطة مهمة بين اللغة والعلم والمعرفة، وانطلاقا مما سبق ذكره، نتساءل عن مكانة المعجم العلمي العربي المختص عند العلماء العرب القدماء، وكيف نشأ وتطور وما هي الآليات التي قام عليها، وما هو دور علماء الأندلس في إثراء هذا النوع من المعاجم؟

إن ضعف الاهتمام بالمعاجم المختصة مقارنة بالمعاجم اللغوية العامة، وعدم عناية القدماء وحتى المحدثين بهذا الصنف من المعاجم، دفعنا لأن نشتغل على هذا المبحث المهم في مجال صناعة المعجم العربي، وفي مجال تطوير اللغة العربية وربطها بالعلوم المختلفة، والعمل على مواكبتها للمتطلبات الحضارية الحديثة.

وحاولنا من خلال بحثنا هذا الوقوف على خصائص الصناعة المعجمية العربية المختصة، وإظهار الجهود الكبيرة التي قام بها العلماء العرب في هذا المجال، وبالأخص الجهود التي قام بها علماء الأندلس في صناعة المعجم المختص في الطب والصيدلة، فالمعجم العربي المختص ليس نادرا أو قليلا بل هو كثير وغزير يحتاج إلى من يعمل على إبرازه ورفع الجهالة عنه.

summary:

In our research, we started from a main problem: Arabic lexicography is a vital linguistic process that works to develop and preserve the language, and the specialized scientific dictionary is an introduction to science and an important link between language, science, and knowledge. Based on what was mentioned above, we wonder about the status of the specialized Arabic scientific dictionary among scholars. The ancient Arabs, how did they arise and develop, what are the mechanisms on which they were based, and what is the role of Andalusian scholars in enriching this type of dictionaries?

The lack of interest in specialized dictionaries compared to general linguistic dictionaries, and the lack of interest of the ancients and even moderns in this type of dictionaries, prompted us to work on this important research in the field of creating the Arabic dictionary, and in the field of developing the Arabic language and linking it to the various sciences, and working to keep it up to date with modern civilizational requirements.

Through our research, we tried to identify the characteristics of the specialized Arabic lexicographic industry, and to show the great efforts

made by Arab scholars in this field. The specialized Arabic dictionary is not rare or few, but rather it is many and abundant and needs someone to work to highlight it and remove ignorance from it.